منبر الإسلام

العدد ٧ - السنة ٣٧ - رجب ١٣٩٩ - يونيه ١٩٧٩ - الثمن ١٥ قرشاً

مع العدد هدية

الفردوس : مجلة الطفل المسلم

كتاب الصلاة : الجزء الرابع

شركة الشرق للتأمين

كبرى شركات التأمين فى مصر

هناك أكثر من مفاجأة سارة فى طريقها إليك خلال هذا العام ١٩٧٩

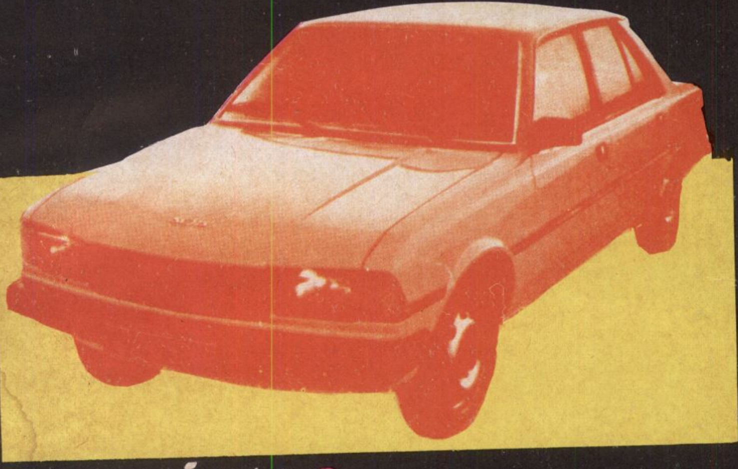

● للمؤمن خلال ١٩٧٩ :

الحق فى الاشتراك فى السحب الذى يجرى كل ٣ شهور للفوز بالسيارة :

بيچو ٣٠٥

إذا كان مبلغ التأمين ٢٠٠٠ جـ أو مضاعفاتها وإذا كان مبلغ التأمين ١٠٠٠ جـ فله الحق فى الاشتراك فى السحب على :

٥ غسالات سرفيس

١٠٠ ساعة رادو

● للمؤمن قبل ٣١/ ١٢/ ١٩٧٨

الحق فى الاشتراك فى السحب الذى يجرى كل ٦ شهور للفوز بالسيارة

بيچو ٣٠٥

إذا كان مبلغ التأمين ٢٠٠٠ جـ أو مضاعفاتها وإذا كان مبلغ التأمين ١٠٠٠ جـ فله الحق الاشتراك فى السحب على :

١٠ غسالات سرفيس

● كما أن هناك ميزة أخرى

فالمؤمن قبل ٣١/ ١٢/ ١٩٧٨ بمبلغ أقل له الحق فى استكمال مبلغ تأمينه إلى ٢٠٠٠ جـ للفوز بالسيارة **بيچو** أو الى ١٠٠٠ جـ للفوز بغسالة من بين ١٠ غسالات **سرفيس** وذلك فى السحب الذى يجرى كل ٦ شهور على الجائزتين

تسلم السيارة من الملحق الجمركى
مركز التنمية والتجارة
. وجيه أباظة .
الوكيل الوحيد لشركة
بيچو الفرنسية بجمهورية مصر العربية

وتسلم الغسالات من [illegible]

حظاً سعيداً لجميع المؤمنين ..

مع تحيات ... أسرة الشرق للتأمين

منبر الاسلام

تصدرها : وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور عبد المعطى محمد بيومى

مدير التحرير

فؤاد هيبة

صورة الغلاف

سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير .

« صدق الله العظيم »

تصدر فى غرة كل شهر عربى
العدد ٧ السنة ٣٧ رجب ١٣٩٩
يونيه ١٩٧٩ الثمن ١٥ قرشا

العنوان :
٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من شارع التحرير خلف عمارة بحرى القاهرة تليفون : ٢٨١٥٦ ـ تلغرافيا : الاسلام ـ القاهرة .

الاشتراكات :
١٦٠ قرشا فى جمهورية مصر العربية ـ ١٤٠ قرشا للعمال والطلبة تدفع مقدماً ، ويضاف إليها البريد خارج جمهورية مصر العربية ، وما يساوى قيمة هذه العملة فى البلاد الأخرى تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين .

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التحرير

اخى القارىء :

فى العدد الماضى لاحظت ان مجلة منبر الاسلام قفزت قفزة كبيرة فى الشكل والجوهر .

فالطباعة انتقلت من الورق القاتم الى الورق الأبيض المريح للنفس كما طبعت المجلة على الأوفست واستطاع الاخراج أن يقدمها لك بالألوان الموحية الداعية الى القراءة .

كذلك دققنا أكثر فى اختيار المقالات والأبحاث ، وكان التزامنا بنشر الجيد فقط هو الالتزام الأساسى بيننا وبين القارىء وبالرغم من اننا زدنا الكمية ثلاثة آلاف نسخة فى العدد الماضى فما زالت الشكوى من انها نفدت قبل أن يدركها كثير من القراء .

ومع تهانينا لقرائنا خاصة الأطفال بعودة الفردوس مجلة الطفل المسلم فان لنا رجاء من الشباب والكتاب ، فرجاؤنا من الشباب أن يواصلوا الكتابة الينا عما يعرض لهم من مشكلات فى الحياة والاجتماع لتكون المجلة جسرا بيننا وبينهم نتواصل فيه على أساس رأى الدين النقى فى هذه المشكلات .

أما رجاؤنا من الكتاب الكرام وهم يقدرون الأمانة الكبيرة التى نحملها نحن واياهم فى صياغة القيم الاسلامية صياغة أمينة وعصرية وفى مواجهة التحديات الكبيرة التى تواجه الاسلام وأبناء الاسلام أن يوافونا بأبحاثهم حول هذه القيم وتلك التحديات شاكرين للجميع ثقتهم بالمجلة واقبالهم عليها .

لقاء الشهر

كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف

فى اجتماعه برجال الدعوة الإسلامية بمحافظة كفر الشيخ يوم ٧٩/٥/٣ .

يقوم فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر وزير الاوقاف بجولات ميدانية فى مديريات الاوقاف بالمحافظات ليلتقى بنفسه مع رجال الدعوة ويتدارس معهم أمور الدعوة ، وما قد يكون هناك من معوقات .

وفيما يلى نص الكلمة التى القاها فضيلته فى لقائه برجال الدعوة بمحافظة كفر الشيخ يوم ٥ جمادى الثانى سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ١٩٧٩/٥/٣ م .

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه واتبع هداه وبعد ..

فهذه لحظات من أسعد اللحظات فى حياتى اذ أجتمع بكم فى محافظة كفر الشيخ وفى ظل هذا الرجل المبارك الطيب الذى سعدت به محافظة كفر الشيخ حينما يكون راعيا لها ومسئولا عنها وهو السيد المحافظ ..

عرفته منذ مدة قليلة ولكنى منذ عرفته انست اليه والى خلقه والى هدوئه والى روحه الطيبة نحو دينه ونحو وطنه الكبير ووطنه الصغير كفر الشيخ .

فكفر الشيخ سعيدة حقا بالمحافظ الشغوف على العمل الدءوب وعلى التفكير فيما ينفع هذه المحافظة دينا ودنيا نسأل الله سبحانه وتعالى أن يبارك فيه وفى خطواته وأن ينفع به هذه المحافظة التى تحتاج الى كثير من الجهد والبذل ..

فضيلة الدكتور الوزير مع السيد اللواء فتح الله سلامه محافظ كفر الشيخ فى المؤتمر الشعبى الذى عقد بمدينة كفر الشيخ .

وان هذه فرصة لألتقى باخوانى وتلامذتى الدعاة ، وان كان الله سبحانه وتعالى قد وضعنى فى هذا المركز فلكى أكون جنديا أكثر مما كنت فى سبيل الدعوة الاسلامية وأعطى كل ما أستطيع فى سبيل الله .

أيها الاخوة والأبناء لا يعرف الشوق الا من يكابده ، فقد عينت اماما وخطيبا فى مسجد سيدى القبارى بالاسكندرية وكان ذلك سنة ١٩٤١ ويشاء الله أن أعود الى وزارة الأوقاف بعد جهد بذلته فى الدعوة فى الأزهر وفى التدريس ، واننى لسعيد بهذا كل السعادة اذ أضع أفكارى — بقدر استطاعتى — فى خدمة الدعوة الاسلامية وأحس بمدى ما يعانيه الداعية فى حياته المعيشية أو فى حياته فى المسجد أو فى حياته وهو يقف بين الناس يدعو الى الله ..

وأعرف تماما أننا لابد أن نوفر له ما يمكن توفيره حتى يكون مستريح النفس ، مستريح الفكر ، مستريح الضمير ..

ومن هنا أيها الاخوة أعمل وأبذل كل ما عندى فى البيت أو فى الوزارة فى أى مكان منتهزا فرصة هذه الأيام وهذا العمل الذى وضعنى الله فيه لكى أقدم شيئا للدين وللدنيا . للدين فى الدعوة ، وللدنيا لدعاة حتى يقبلوا على عملهم بصدر رحب ونفس مستريح .

اننى أيها الاخوة والأبناء ، أعيش معكم وأحس فى كل واحد منكم نفسى وأطلب له ما أطلبه لنفسى وأشعر وربما أكثر من غيرى كما قلت لكم أقول ما قاله الشاعر لا يعرف الشوق الا من يكابده وأسابق الأيام وأرجو وأتمنى لو كان اليوم ثمانية وأربعين ساعة حتى أستطيع أن أعمل فى هذا الوقت ما أقدمه للدعوة وللدعاة ..

وأرجو أن يمكننى الله من تحقيق ـ ولو ـ بعض أفكارى ومشروعاتى . للدعوة وللدعاة فى وزارة الأوقاف وفى الأزهر أيضا فالدعاة فى وزارة الاوقاف وفى الأزهر اخوة يمشون على طريق واحد ويلتقون على هدف واحد أرجو أن أحقق لهم ولنفسى بعض الأمانى التى عشت وأعيش من أجلها .

اننى منذ زمن بعيد أتصور الدعوة انصهاراً مع واقع الحياة وأتصور الدين كما تعلمون صانعا للحياة لأن الدين يسير الانسان فى كل مكان يحل فيه وفى كل لحظة يمر بها فهو معه فى بيته ، وهو معه فى المسجد ، وهو معه فى الشارع وهو معه فى الحقل ، وهو معه فى المصنع ولو قلنا غير هذا لعزلنا الدين عن الحياة وهدفنا الهدف من الاسلام لأن الهدف من الاسلام انما هو صنع الحياة الطيبة المستقرة السعيدة للمسلمين .

ولقد وضع الله سبحانه وتعالى كل تشريعاته من أجل هذا الهدف ..

ان الصلاة التى هى صلة بين العبد وربه جعل الله هدفها تحسين الحياة « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وكذلك الصيام « ومن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » ومن هنا تعرف أن العبادات نفسها هى من أجل الحياة ومن أجل تحسين الحياة والسلوك المستقيم .

والاسلام بهذا صانع الحياة فى كل مكان يحل فيه فى البر أو فى البحر أو فى الجو ، والاسلام يصنع الحياة القوية السعيدة ويدفع الانسان دفعا الى أن يكون من أرقى الناس ، علما وخلقا وعقيدة ومادة فى الصحة والزراعة والصناعة بحيث يكون المسلمون هم السادة وهم القادة وهم دعاة الله فى الأرض ، وبهذا يتحقق قول الله فعلا « كنتم خير أمة أخرجت للناس » من أجل هذا فاننا نتصور أن المسئولية كبيرة وتكبر هذه المسئولية بما يمر بالأمة من أحداث ، فكلما هبت على الأمة عاصفة أو تعرضت للخطر فان النفوس تتحفز لاستقبال هذه العاصفة والاستعداد لها ، وتعمل على أن تدرأ عنها الخطر مهما كان .

والدعاة هم أول الناس حينما تهب على الأمة عاصفة ، أو تتعرض لأى خطر، لانهم هم الذين يبنون النفوس ، وهم الذين يشيعون الاطمئنان فيها وهم الذين يملأونها بالطاقة التى تمكنهم من الوقوف فى وجه العاصفة والتى تعينهم على درء هذا الخطر ..

فالدعاة هم أصحاب الخط الأول فى تقوية الأمة ودرء الخطر عنها ..

اننا الآن ـ وفى هذه الأيام بالذات ـ نتعرض لتنكر واعتداء من العالم العربى الذى عشنا له طول حياتنا وبذلنا له ما بذلنا ونحن لا نمنى ، ولكننا نذكر تاريخا قمنا به ونحن فى أشد الضيق . أذكر وأنا مدير للبعوث أتاح لى هذا المنصب الاطلاع على بعض الحقائق فان مصر وهى فى أشد حالات الضنك والحاجة كانت تخصص للأزهر وحده ثلاثة أرباع المليون من العملة الصعبة للانفاق على البعثات فى البلاد العربية وفى البلاد الاسلامية مع أن مصر كانت فى أشد الحاجة الى دولار واحد مما ينفق على الدعاة فى الخارج ..

لقد أمددنا بالمدد الفكرى والمدد المادى واننا كنا ننشىء معهدا فى ليبيا على حسابنا وندفع له المرتبات الى وقت قريب .

وان الأزهر كان حتى سنة ١٩٧٤ ينفق على بعثات له فى دولة الامارات العربية وترسل لهم مرتباتهم بالعملة الصعبة .

ان مصر كانت دائما الدرع الحامى . لاخوانها كواجب عليها أو كقدر قدره الله عليها ، لأن مصر على مرور السنوات قد أدخرها الله لحفظ الاسلام ذخرا وعملا وثقافة والمحافظة على المسلمين فى أى مكان بقدر استطاعتها .

ومصر فى تاريخها كما تعلمون هى التى استطاعت أن تكسر حدة أعداء المسلمين من المغول والصليبيين وحفظ الله مصر من تخريب هؤلاء لتظل مصر تؤدى دورها وتقوم به من أجل الثقافة والتوعية فى البلاد العربية والاسلامية وحتى الآن لا تزال مصر بأبنائها الأكفاء الذين لايوجد مثلهم فى الكفاءة فى أى بلد آخر فى البلاد التى يعملون بها هى التى تعمر وتبنى المادة وتبنى الفكر .

لو رأت مصر لأمر ما أن تسحب أبناءها الذين يعملون فى الخارج لتوقفت الحياة فى كل هذه البلاد التى تتنكر لها وتحاصر شعبها .

وان كانت مصر من أجل قيامها بأعبائها قد أصابها الكثير من المعاناة والمعايرة من اخواننا الذين عشنا لهم بأننا فقراء وطالت ألسنتهم حتى رمونا بكل عيب فرأينا ورأى اخواننا هناك الكاريكاتير الذى يصور مصر ورئيس مصر فى صورة لا تليق ورأينا ورأى اخواننا هناك .

ان التليفزيون ـ فى بلد عربى ـ يعرض مسلسلا تسأل فيه امرأة صديقة لها موظفة متزوجة ، بأنها ماذا ستعمل فى أبنائها حينما تلد وكان جوابها الفورى : احضر لهم خدامة من مصر .

كما أعرف أن ابنا لى ضرب تلميذا فى الفصل لأن هذا التلميذ قال للأستاذ ان مصر كلها شارع الهرم ، فما كان من هذا الأستاذ الا أن أعطاه ما يستحقه وقدم استقالته ، ولكن كان موقفه الجليل سببا فى بقائه هناك .

هذه البلاد التى تتطاول علينا الآن وتتنكر لنا وتظن بما أعطاها الله من مال انها قادرة على اذلال مصر ، ونحن الرجال لابد أن نثبت أننا أطول قامة وأعلى هامة وأعز نفسا وأعلى شأنا من أن يتطاول علينا أى انسان بماله من مال وليس له رصيد غير ذلك .

اننا مقبلون على فترة حرجة هل يريدون منا أن نركع ؟ لن نركع أبدا ونحن أغنياء ولله الحمد أغنياء بكفاءاتنا ورجالنا أغنياء بخبراتنا ونستطيع أن نفعل من مصر العجب اذا أخلصنا فى أعمالنا ونستطيع أن نستغنى عن كل معونة من الخارج .

لو وجهنا جهودنا الى استغلال خبراتنا والى استغلال أوقاتنا والى استغلال جهودنا ، نعم نستطيع أن نفعل .

لقد عودنا الشعب المصرى انه فى وقت التحدى تظهر بطولته رأينا ذلك فى أثناء حرب العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ حيث أضرب النشالون واللصوص من شواذ المجتمع عن مزاولة أعمالهم .

نحن عمالقة ، كرماء لا نتحرك من قليل ولكننا نتحرك عند التحدى فعلا ، وهذا شأن الرجل القوى فى خلقه وفى امكاناته ، هو لا يتحرك فى كل مناسبة ، ولكنه حينما يجد الجد وتحين ساعة العمل يتحرك ويظهر حقيقته ،، ومن هنا يأتى دورنا ، دورنا كدعاة فى الدعوة الى أن يقوم كل انسان بواجبه فى أى مكان ، يقوم الموظف بواجبه فلا يسخط الناس عليه ، ويقوم الفلاح فى عمله فلا يستثير جارا له ، ويقوم الحارس بعمله فلا يهمل فى شىء ، لاننا لو انتصرنا على نفوسنا سنجنى الخير الكثير والله تبارك وتعالى يقول « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا » .

واجبنا أيها الاخوة الآن أن تعرف النفوس حقيقتها وأن تلوى عنانها الى دينها وأن تذكرهم بالواجب عليهم ، ولا سيما فى هذه الأوقات ، ومصر لا ترفع رأسها وهى تستمد حياتها ومادتها من معونات ، مصر ترفع رأسها بنفسها ،

مصر تعيش كريمة عزيزة بأبنائها وبانتاجها ، (ومرت علينا أيام انهارت فيها الأخلاق وتهدمت فيها المرافق) .

دعاة الفكر ، دعاة الدين ان الدين هو كل شىء فى الحياة ومن لا دين له لا أمانة له .

فأنتم الآن تعملون فى أوقات السلم فى الصف الأول وهو تبصير كل مسلم لأن يقوم بواجبه نحو بلده لان مصر اذا عزت عز الاسلام ، واذا عزت عز العرب ، ولو قويت مصر مالا وعددا وجيشا لما تجرأت دولة كالحبشة أن تمد أسلحتها الى اخواننا فى الصومال ، أو فى السودان أو فى اريتريا ولهابها هؤلاء الذين يتطاولون عليها ولما جاء الكوبيون ليضربوا المسلمين فى بلادهم .

ـ لا أمل لدول العرب ودول الاسلام الا فى قوة دولة كبيرة العدد كبيرة الحجم كبيرة البذل عزيزة التاريخ كمصر وحينما تصل مصر الى هذه الدرجة فانها تستطيع حماية كل عربى وحماية كل مسلم على الأرض .

ومن هنا أقول اذا عزت مصر عز الاسلام لأن مصر فيها كل الامكانيات التى تبنى دولة قوية عزيزة تحمى نفسها وتحمى غيرها .

وأنا أعتقد أن دورنا الآن أصعب من دورنا فى وقت الحرب فى الميدان ، واننا فى جهاد أكبر ، وهو جهاد النفس وواجبنا جميعا كدعاة أن نقوى النفوس وأن ندفعها الى الطهارة ، لا نقول الطهارة الثورية ، ولكن أقول الطهارة السلمية ، الطهارة فى العمل وكل انسان فى مكانه لابد أن يعتبر نفسه كمدفع رشاش ..

هذا هو واجبنا أيها الاخوة ، واجبنا ان نلتزم وندعو الى الالتزام ، واجبنا كبشر أن نكون قدوة وندعو الناس الى الاقتداء ، واجبنا أن نعمل على أن نكون فى دولة عزيزة قوية تحمى نفسها وتحمى غيرها وترفع لواءها وتحمى الألوية الاسلامية والعربية المرفوعة فى كل مكان ، انهم يهاجموننا ويشتموننا انهم يظنون أن المال هو كل شىء وما كان المال شيئا فى الحياة ، انما الشىء الأكيد فى الحياة النفس المعبأة بالدين ، المعبأة بالثقة فى الله سبحانه وتعالى وحينئذ تفعل الأعاجيب .

كان العرب أذلة متفرقين فجعل الله منهم بالاسلام أمة قوية سيدة على العالمين بفضل النفوس القوية المؤمنة ، هذا دوركم وأرجو ان شاء الله أن نؤديه بكل أمانة واخلاص .

بيان للمسلمين

صادر من علماء الأزهر الشريف

الأزهر يعلن الحكم الشرعي
فى المعاهدة المصرية الإسرائيلية

من رحاب الأزهر الشريف ، ومن علمائه الأجلاء الذين يمثلون الزعامة الروحية الحقيقية لأكثر من خمسمائة مليون مسلم فى أنحاء العالم ..

هذا بيان للناس لتوضيح الحكم الشرعى فى المعاهدة المصرية الاسرائيلية .

وقد كان الأزهر حريصا على وحدة المسلمين وعلى الحوار بالحسنى بين شعوبهم وحكامهم كما يأمر الله « فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » (النساء ٥٩) .

لكن ما رآه علماء الأزهر فى الآونة الأخيرة جعلهم يعلنون حكم الشرع فى هذا البيان ..

فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الرحمن بيصار
شيخ الجامع الأزهر

فضيلة الأستاذ الدكتور عبد المنعم النمر
وزير الاوقاف

فضيلة الدكتور موسى لاشين

نص البيان ..

بسم الله الرحمن الرحيم — الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . اما بعد :

فقد عاش الأزهر أكثر من الف عام حافظا لتراث الاسلام ، موضحا لأحكام الشريعة فى كل ما يشغل المسلمين ، حافظا لأحكام الدين ، ومفاهيم الاسلام ، رعاية لحق الله فى النصيحة وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

وكان الأزهر — ولا يزال — حريصا على وحدة الأمة الاسلامية ، وتوثيق روابط الأخوة بين أبنائها ، داعيا الى الوفاق ، والى رأب الصدع اذا ألمت المحن .

ضارعا الى الله تعالى أن يحفظ على الأمة الاسلامية وحدتها وسلامتها ، وأن يقوم قادة الأمة بالعمل على جمع الكلمة وحفظ روابط الأخوة بين المسلمين .

واليوم — وقد اشتبهت الأمور فى أذهان بعض الناس عن جهل بحكم الشرع ، أو عن رأى قابل للمراجعة — فقد رأى الأزهر أن قد آن الأوان لاعلان رأى الاسلام فى محنة لا شك أن الله تعالى سينجى المسلمين من آثارها بتوفيقهم لقبول حكم الله تعالى فيها ، وما وجه فيها رسوله الكريم منذ عهد الرسالة .

ان الأزهر ممثلا فى جميع هيئاته: « مجمع البحوث الاسلامية » ، « وجامعة الأزهر » « والمجلس الأعلى للازهر » ، « ولجنة الفتوى » « والادارة العامة للدعوة والارشاد » « والمعاهد الأزهرية » .

يتقدم اليوم الى العالم الاسلامى ببيان للحكم الشرعى فيما تردده بعض الجهات بخصوص المعاهدة المصرية الاسرائيلية .

ان مصر بلد اسلامى ، وهى ثغر من ثغور المسلمين ، ومن واجب ولى أمرها أن يسهر على حمايتها ، فاذا رأى أن مصلحة المسلمين فى موادعة الأعداء ومهادنتهم جاز له ذلك .

لأن أمر الحرب ، وأمر الصلح ، وتقدير المصلحة فيهما مفوض اليه ، فهو أعلم بشئون رعيته ، وأقدر على تبين مواطن القوة والضعف تجاه عدوه ، فى حدود ما أمر به الله تعالى ورسوله الكريم .

ان لقيام المعاهدات بين المسلمين واعدائهم نظاما أقره الاسلام منذ عهد النبوة بشروط واضحة .

والقرآن الكريم امرنا بالصلح مع العدو اذا رأى الامام مصلحة المسلمين فى ذلك بصريح

قوله تعالى (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) سورة الأنفال آية ٦١ .

وجمهور أئمة المسلمين على أن هـذه الآية مخصصـة لآيات القتال وليست منسوخة بها فقتال العدو واجب لحمـاية المسلمين الا اذا جنـح للسـلم وكان للمسلمين مصلحة فى ذلك .

واسـتدل الأئمة الأربعة على جـواز الصلح مع العـدو متى كان فيه مصلحة للمسلمين بصلح الحديبية الذى صالح فيه الرسول عليه الصلاة والسلام وهو على رأس جيش قوى مظفر يستطيع أن يفرض به رأيه .

صالح الكفار على الشروط المعـروفة لهذا الصلح ، والتى عارض فيها فى بادىء الأمر كثـير من المسـلمين ، حتى أقنعهم الرسول بصواب الصلح وحتميته شرعا .

كذلك عرض الرسـول عليه الصـلاة والسـلام على غطفان أن يتركوا قتاله فى غزوة الأحزاب وأن ينفصـلوا عن تحزبهم مع المشركين على أن يكون لهم ثلث ثمار المدينـة .

ويرى علماء الأزهر أن المعاهدة المصرية الاسرائيلية تقوم فى حدود الحكم الاسلامى فهى قائمة من موضع القوة بعـد خوض معركة الجهاد والنصر الذى أحرزته مصر فى العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ .

كما كان صلح الحديبية من موضع القوة فى جيش الرسول عليه الصلاة والسلام ..

ذلك الى أن ما تحققه هذه المعاهدة هو خير لا شك فيه للمسلمين برد الأراضى الاسـلامية الى أهلها ، بعضها عاجل طبقا لنظام متفق عليه، وبعضها آجل طبقا لشروط كذلك .

ثم ان هذه المعاهدة قد دعت من لهم مصلحة من المسلمين الى المشاركة فى هذا الصلح ، وان يتقدموا لينالوا نصيبهم من مسئولية المفاوضـة للحصول على ما لهم من الأراضى .

ومن أهم شروط هذا الصلح الاحتفاظ بحق الفلسـطينيين فى تقرير مصيرهم ، وهو أمر لم تعترف به قوة من القوى العالمية ، منذ عهـد النكبة الفلسطينية ، حتى حققته مصر فى جميع المجالات الدولية .

كما أن هذه المعاهدة وملحقاتها الرسمية لا تنطـوى على تفـريط مصر فى عروبة القدس واسلاميته بل انها تمسكت بذلك باسم ملايين المسلمين .

وبعد هذا البيان عن الحقيقة الشرعية وحكم الله فيها يتجه علماء الأزهر الى الله سبحانه وتعالى أن يحفظ على الأمة الاسلامية وحدتها ، وأن يدرأ عنها شر أعدائها ، وأن ينجيهـا من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

ثم يتجهـون بعد ذلك الى حـكام المسلمين وعلمائهم وشعوبهم : أن يرعوا الله . وحقـه عليهم وأن يعتصموا بحبـله المتين ، وصراطه المستقيم ، فيتوخوا فى أقوالهم وأعمالهم جمـع كلمة المسلمين ، والحفاظ على تعاليم الاسـلام وكيانه وأحكامه أمام جميع التحديات .

ونذكرهم جميعا بالنداء الالهى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم . .)

وقوله تعالى (ومن يعتصم بالله فقد هـدى الى صراط مستقيم ..)

مع القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّا نحن نزّلنا الذكر

وإنّا له لحافظون

صدق الله العظيم

نظرات ودراسات

تفسير سورة النساء

الآيات من ٥٥ إلى ٥٩

أبناء إبراهيم هم العرب

الإسلام نظام شامل للدين والدولة

الأستاذ احمد حسين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا (٥٤) فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (٥٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (٥٧) * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا (٥٨) يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)

سيدنا ابراهيم واشارة الى قصته من هم آل ابراهيم .

فى ما تنص عليه الآية من أنه آتى آل ابراهيم الحكم والنبوة وملكا عظيما ، فأما قدامى المفسرين ، وكان علمهم يقوم أول ما يقوم ، على ما ينقلونه عمن سبقهم ، وقد كان من سبقهم لم يشهدوا ما وصل اليه المسلمون من عز وسؤدد وملك لم يسبقه سابق أو يلحقه لاحق ، فقد كان قدامى المفسرين يفهمون المقصود من « آل ابراهيم » أنهم اليهود ، وقد يكون الأمر كذلك فنحن لا نستطيع أن نخرج على ما أجمع عليه قدامى المفسرين ، **ولكننا فى ذات الوقت لانستطيع أن نحبس رأينا الذى شرح الله صدرنا له ، ولذلك فاننا نسوقه ونسوق الأدلة النقلية والعقلية على صوابه من وجهة نظرنا .**

تاركين للقارىء الكريم أن يختار ما ينشرح له صدره ، وله علينا أن نلتزم الأمانة العلمية فنقول ما قدمناه من أن قدامى المفسرين (ممن طالعنا أقوالهم) يجمعون على أن المقصود هو ملك سليمان ، ويخوضون فى تفاصيل عن عدد نساء سليمان مما لا نرى أن لا نخوض فيه ، وعندنا أن « آل ابراهيم » هم العرب واليهود على السواء ، ويستحيل قصر هذا التعبير على بنى اسرائيل والا كان ذلك أخذا بنظريتهم الفاسدة الكاذبة من أن نسل « اسحق » هم وحدهم الذين

يعتبرهم الله سبحانه وتعالى أبناء ابراهيم ، أما أبناء اسماعيل (وهو ابن ابراهيم البكر) فهؤلاء أبناء « الجارية » ممن لا ينسبون الى ابراهيم ، واذا جاز لليهود أن يكرروا هذا الافك والهذيان ، فتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، **فالعرب المستعربة الذين نسلوا من سيدنا اسماعيل بن ابراهيم ، حيث كان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام حلقة من هذه السلسلة فعندما يتحدث القرآن الكريم عن «آل ابراهيم» مطلقا التعبير ، فلا ينبغى بحال قصر هذا التعبير على بنى اسرائيل . قال تعالى فى ختام سورة الحج :**

« وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ... الآية .

فنحن بازاء نص صريح قطعى من القرآن الكريم ، يخاطب العرب فى أيام نزول القرآن بقوله **« ملة أبيكم ابراهيم » فالعرب المستعربة من نسل عدنان ابن اسماعيل هم أبناء ابراهيم بلا جدال أو شبهة** ، وبالتالى فان تخصيص آل ابراهيم على بنى اسرائيل ، بدون مخصص هو قول لا نأخذ به ، ويعزز قولنا ، اننا نقول فى التشهد الذى نكرره فى صلواتنا خمس مرات كل يوم **« اللهم صل وبارك على ابراهيم وآل ابراهيم** ويستحيل أن يكون آل ابراهيم هم اليهود فقط المنحدرون من اسحق ولا يشملون من انحدر من اسماعيل وعلى رأسهم النبى صلوات الله عليه .

يتشدقون بالعلم والعلم منهم براء :

وفى النصف الأول من هذا القرن ، عندما كانت أوروبا فى الأوج ، والمسلمون تحت سلطانهم، تسيد اليهود ، وراحوا يخرجون أساتذة ومستشرقين ، جعلوا كل همهم تخريب الاسلام ، باسم العلم والله يشهد أنهم لكاذبون ، فالعلم برىء منهم ، فكان مما قالوه ورددوه فى غير خجل ولا حياء أن اليهود اخترعوا للعرب قصة اسماعيل ليتقربوا الى العرب حيث يعلم هؤلاء « الكذبة » ان قصة اسماعيل وأنه ابن ابراهيم قد وردت فى كتابهم المقدس فى الترجمة المشهورة باسم الترجمة «السبعينية» والتى تمت فى الاسكندرية، قبل الميلاد بثلاثة قرون تقريبا أى قبل بعثة رسول الله بألف سنة تقريبا ، ومن أسف أنهم وجدوا من بعض المسلمين ، من يتصور أن هؤلاء الكذبة علماء بالفعل .

والخلاصة أننا نتصور أن القرآن الكريم عندما يتحدث (ولو بصيغة الماضى) أنه آتى آل ابراهيم الكتاب والحكمة والملك العظيم ، فذلك اعلام كذلك عن المستقبل ، وعما سوف يكون للمسلمين، (وهو ما كان ونرجو أن يكون ثانية) .

ولا داعى لتخصيصه لليهود بغير مخصص والله تعالى أعلم واستغفره وأتوب اليه عما أكون قد أخطأت فيه باجتهادى فما أردت به غير الحق كما استبان لى وشرح الله لى صدرى له .

« ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما » وهذه آية تتضمن اعجازا قرآنيا يشهد بأنه ليس من صنع بشر ، وانما هو بوحى تنزيل من لدن خالق الخلق الذى يعرف من أمرهم كل شىء ، وهو يكشف للبشر على مر الأيام قبسا من هذه المعرفة، ليزدادوا ايمانا به ، وليعرف من لم يكن يعرف ان هذا القرآن هو كلام الله ولقد شغل المتكلمون ، هؤلاء النفر من المسلمين الذين فتنوا يوما ما بالفلسفة الاغريقية كما يفتن بعضنا اليوم بالفلسفة المادية فراحوا يثيرون الاشكالات ، ثم يجهدون أنفسهم فى الرد عليها ومناقشتها ، فبدلا من ان يفهموا من الآية المقصود منها وهو خلود الكافرين فى عذاب النار ، ولما كانت النار تحرق كل شىء الى أن تلاشيه ، فان قدرة الله التى لا يحدها حد ، تنذر الكفار أن لا يتعلقوا بهذا التصور ، من ان النار ستحرقهم ثم ينتهى كل شىء ، فيقول لهم الله تعالى : لا ان الأمور لن تسير على هذا النهج الذى ألفتموه ، بل ان جلد الانسان وهو أول ما تحرقه النار ، بدلا من ان يتلاشى ، فان جلدا جديدا يحل محله ، وهكذا دواليك الى مالا نهاية **« ليذوقوا العذاب » وعبر القرآن الكريم ، اتباعا لأسلوبه فى البيان والبلاغة ، عن حرق الجلد بكلمة « النضج » ونضج الثمار ونضج الطعام ، معروف ومشهور بدلا من أن ينظر بعض المتكلمين الى هذا المعنى الذى يسبق الى كل ذهن سليم ، راحوا يتساءلون ، وما ذنب الجلد الجديد ، فى أن يحرق مع انه لم يرتكب اثما ولا معصية ، كأن الجلد هو الذى يعذب وليس الانسان ويدبج الرازى وغيره عشرات الصفحات للرد على هذه السفسطة الكلامية ، كأن من الواجب (هو قول أى كلام) .**

ونحمد الله .

ان علم التشريح الحديث قد كشف لنا عما فى هذه الآية من اعجاز علمى يثبت ان هذا القرآن يستحيل ان يكون من صنع بشر ، فالاحساس بالألم لا يكون الا تحت الجلد مباشرة حيث توجد خلايا الاحساس ، بالحرارة والبرودة ، والسار المريح المبهج اللذيذ والمحزن المؤلم الردىء المزعج، كل هذه الأحاسيس تتصل بالجلد أى أن عذاب من يحرق بالنار لا يكون الا عند احتراق الجلد ، وأما ما وراء ذلك فعذابه أقل لأن خلايا الاحساس المتصلة بالجلد تكون قد احترقت . وهذه الحقيقة العلمية ، لم تكتشف الا حديثا ، بعد اجراء

التجارب الحديثة على ضوء علم التشريح الحديث، والآلات الحديثة التى تقيس درجة الألم ، فعندما يحدثنا القرآن منذ أربعة عشر قرنا عن شدة عذاب الحريق لاستبدال الجلد المحترق بآخر جديد ، فهذا هو العلم الربانى الذى لم يوقف عليه الانسان الا أخيرا جدا .

ان الله كان عزيزا حكيما .

وتختم الآية بما يفيد قدرة الله المطلقة: عزيز ، أى غالب على أمره ، حكيم فى كل ما يفعل ، لأنه يعرف كل شىء ويدبر كل شىء ويهيمن على كل شىء « والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا » .

وكشأن القرآن دائما على ما نبهنا اليه كثيرا لا يكاد يذكر آية من آيات العذاب حتى يشفعها بذكر آية من آيات الرحمة ، ورحمة الله يوم القيامة هى الجنة يدخل اليها « كل من آمن وعمل صالحا » ولم يذكر الايمان فى القرآن الا وشفع على الفور بالعمل الصالح والعلم فرع من الايمان ولا يكون الايمان حقيقة الا اذا دلت عليه الاعمال الصالحة .

والله سبحانه وتعالى يعد كل من آمن وعمل صالحا بأنه سيدخله الجنة على وجه الخلود ، أى الدوام .

« لهم فيها أزواج مطهرة » .

والحديث عن الجنة هو من أحاديث الغيب فنقف فيه عند حد ما يذكره القرآن ولا نزيد ، وهو هنا يحدثنا عن **« أزواج مطهرة »** ولأمر ما يقصر المفسرون الحديث عن النساء وكونهن سيكن طاهرات مبرآت من الحيض والنفاسة .. الى آخر ذلك من موجبات النجاسة ، وعندنا أن هذا القول كما ينطبق على الاناث فهو ينطبق أيضا على الذكور فهم بدورهم سيكونون أطهارا عن كل ما يسبب لهم نجاسة فى هذه الدنيا

«وندخلهم ظلا ظليلا » .

الظل : هو كل مكان لا تنفذ اليه الشمس مع سطوعها .

ومع ذلك فقد يوجد الظل نتيجة حاجب مؤقت يمنع أشعة الشمس فجاءت الكلمة الثانية «ظليلا» لتؤكد أنه ظل لا تنسخه الشمس ، فهو ظل فى أصل طبيعته وتكوينه .

ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا .

العبد الفقير وهذا التفسير .

يخطىء من يتصور ، اننى كلما مضيت فى هذا التفسير ، فان الأمر عندى يصبح أكثر يسرا وسهولة ، فان واقع الامر عكس ذلك تماما ، فانى كلما امتد بى الاجل وبالتالى زاد القدر الذى أفسره من القرآن ، كلما أحسست بعظم المسئولية ، واننى أضعف وأهون من أن أواصل حملها ، وكم راودتنى نفسى أن حسبى ما قد قدمت ، وان الوقت قد حان لكى أتخفف من هذه المسئولية الكبرى ، مسئولية تفسير كتاب الله ولكن سرعان ما تبدو لى اشارة ، أتصور (وأرجو أن لا أكون واهما) أنها تطالبنى بالمضى فيما بدأته ، وتتمثل هذه الاشارة ، فى أنه لا يكاد يخطر ببالى موضوع أتصور أنه موضوع الساعة الذى يجب أن أنبه اليه المسلمين حتى أرى الآيات التى جاء دورها لأفسرها ، هى بذاتها ، الموضوع الذى أفكر بوجوب الكتابة فيه ، فلا أقول كما يقول الماديون ، ان الأمر صدفة ، فليس فى هذا الكون على اتساعه شىء يقع بالصدفة أبدا ، وانما هو بتقدير من العزيز الحكيم ، وهكذا يصبح الأمر عندى ليس صدفة ، وانما هى اشارة تقول لى ، اننى سائر على الطريق الحق ، وأن على أن أواصل السير ، فهذه الآية والتى تتلوها واللتان جاءتا فى دورهما ، هما صميم قضية العالم الاسلامى هذه الأيام ، فليس شك ان العالم الاسلامى اليوم فى يقظة ، وليس بعد اليقظة الا النهوض ، وقد ورث العالم الاسلامى فيما ورث ، عندما كان فريسة الاستعمار « الصليبى » هذه الفكرة الزائفة ، بل المنكرة ، فكرة فصل الدين عن السياسة ، ذلك انه اذا سلمنا جدلا بامكان ذلك فى ظل التعاليم المسيحية ، فان ذلك يستحيل فى ظل التعاليم الاسلامية ، التى لا تفرق بين دنيا وآخرة ، بل تعتبر الدنيا مزرعة الآخرة ، فنحن نزرع فى هذه الدنيا لكى نحصد فى الآخرة ، ولا سياسة فى الاسلام فضلا عن دولة ، لا تقوم على تعاليم الدين الاسلامى التى لم تدع شأنا من شئون الدنيا ، صغر أو كبر ، جوهريا كان أو ثانويا ، الا وتناولته بالتنظيم ومن هنا فان العالم الاسلامى مطالب هذه الايام بأن يلفظ هذه البدعة ، **بدعة القول بفصل الدين عن السياسة، وحتى لا يتصور البعض ، اننى أسوق القول على هواى ، فانى أنقل له ما جاء فى تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ، ألمع تلامذة الشيخ محمد عبده فى الناحية الدينية ، قال :**

« هاتان الآيتان هما أساس الحكومة الاسلامية ولو لم ينزل فى القرآن غيرهما لكفتا المسلمين فى ذلك ، أذا هم بنوا جميع الأعمال عليهما » .

ومن ناحيتى ، فاذا كانت الآية التالية كما سوف نرى ، تحدثنا عن طاعة الله والرسول وأولى الأمر ، فان ثمة آية ثالثة تتصل بموضوعهما وتجعل السياسة جزءا لا يتجزأ من الدين **وهو قوله تعالى :**

« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وأحسب أن ليس فى السياسة أو الاجتماع ، أو أى نشاط انسانى من أى نوع كان ،يخرج عن حدود الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وبعد هذا التمهيد نشرع فى شرح الآية وما بعدها ، فنقول وبالله التوفيق :

ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات جاء فى كتب السيرة كما طالعناها ، ان هذه الآية نزلت عند فتح مكة ، عندما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة من سادنها « عثمان ابن طلحة » فتمنى العباس (عم النبى) لو أعطاه رسول الله المفتاح ، لتضم بذلك الحجابة الى السقاية ، ولكن رسول الله صلى الله عليه **وسلم ، لم يستجب لهذا الطلب ، ورد المفتاح** الى عثمان بن طلحة ، بعد أن فرغ الرسول من أداء مهمته ، وهى تحطيم الأصنام فى داخل الكعبة ، ولأمر ما لم تعجب هذه الرواية الشيخ رشيد رضا صاحب تفسير المنار ، فراح يناقشها، متشككا فى صحتها ، وعندنا ان كل تصرفات رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ، هى تصرفات نبى ورسول من رب العالمين ، فلايصح مقارنتها بتصرف أى انسان آخر كائنا ما كان ، ملكا أو غير ملك ، غازيا أو غير غازى والشىء الوحيد الذى نستطيع أن نقوله فى هذه المناسبة أن عثمان بن طلحة لابد أن يكون قد أعلن اسلامه قبل أن يطلب منه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المفتاح ، فلما ان صار مسلما ، وهو صاحب الحق المعترف به فى مفتاح الكعبة ، لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ايثار عمه عليه ، فرد اليه المفتاح ، وهو ما يقطع **برسالة سيدنا محمد ، وان كل ما يقوله أو يفعله** بوحى من رب العالمين .

الخطاب لسائر المؤمنين .

وقد حاول أقوام ، أن يقولوا ان الخطاب موجه فى الدرجة الأولى الى الأمراء والحكام ، حيث يطالبون بالعدل فى احكامهم ، وهو قول لا يعول عليه فالحديث موجه الى كل المؤمنين بالقرآن فأداء الأمانة، والحكم بالعدل هو أساس الحضارة الانسانية فلا تقوم حضارة اذا انعدما، والاسلام لا يفرق بين حاكم ومحكوم فالكل عبيد الله الخاضعون لأحكامه والمسؤولون عن الوفاء بالأمانة والعدل ، **جاء فى الحديث الشريف : كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته .. الحديث .**

ما هى الأمانة ؟

والأمانة المطلوب من كل مسلم أداؤها أصناف وأنواع ، أمانة بين الانسان وربه وأمانة بين الناس وبعضهم فى القول والعمل عندما يتعاملون والامانة لغويا مشتقة ، من الأمن أى عدم الخوف وطمأنينة النفس يقال : أمنته على الشىء ، وائتمنته عليه أى أودعته اياه وأنا مطمئن النفس لا يداخلنى أى خوف من استطاعتى استردادها وقتما أشاء .

الأمانة مع الله عز وجل .

ولا جدال فى وجوب رد الأمانة الى الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى :

« انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان .. الآية » .

فثمة أمانة استودعها الله الانسان ، وهى « الدين » فواجب كل انسان أن يكون متدينا ، أى مؤتمرا بما أمر الله منتهيا عما نهى عنه ، والا كان مفرطا ، خائنا للأمانة ، جاء فى القرآن الكريم :

« يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم » .

الأمانة مع الناس فى القول والعمل :

على أن ثمة نوع من الامانة مقصود من الآية بطريق مباشر وهو الأمانة مع الناس فى التعامل بالقول والعمل فما الدين فى أوامره ونواهيه ، الا ليحقق للناس ما يعود عليهم بالخير ، وعلى رأس ذلك كله « أداء الأمانة » بحيث جرد الدين المؤمن من ايمانه ، اذا هو لم يؤد الامانة **روى الشيخان وغيرهما : « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا أؤتمن خان»**

والكذب وخلف الوعد ، هما الخيانة بالقول وعدم رد الامانة أو الوديعة هو خيانة بالعمل والفعل .

الأمانة أساس الاجتماع البشرى :

ولا عجب فى أن يخلع الدين على الأمانة كل هذا الخطر فالاجتماع البشرى ، ابتداء من أصغر صوره داخل الأسرة الواحدة ، حتى أكبر صوره وهو الدولة ، لا يمكن أن يقوم ، الا على أساس من أداء الأمانة فى القول ، أى الصدق والأمانة فى العمل بكل ألوانها ، أبتداء من أداء الواجب واتقان العمل ، ورد الوديعة ، وكل من قصر فى ذلك يكون خائنا للأمانة .

وهكذا علينا أن نفهم من هذا الأمر العام الشامل « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها » أن ليس المقصود فقط هو رد الودائع التى اودعت لدى الانسان ، وانما هو أمر عام شامل لكل انسان ليؤدى ما عهد اليه بأدائه على الوجه الأكمل والا كان خائنا للأمانة .

واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل :

هذه آية تتضمن لب وجوهر «الحكم الاسلامى» والذى جعل أكثر من نصف شعوب العالم القديم، تعتنق الاسلام فى أقل من قرن من الزمان ، على اختلاف أديانها ، وجنسياتها ، وقومياتها ، وألوانها ، وطبقاتها ، ذلك أن الانسان ، اذا كان يحتاج للغذاء للابقاء على جسده المادى ، فهو يحتاج للعدل للابقاء على كيانه الاجتماعى ، ولما كان الانسان بطبعه اجتماعيا ، فهو يعيش مكونا أسرة ، فعشيرة فقبيلة فدولة ، وكل هذه تجمعات لا يمكن أن تقوم ابتداء فضلا عن أن تنمو وتزدهر ، الا فى ظل العدل ، ومن المستحيل بطبيعة الحال أن نعرف ما هو العدل ، ومع ذلك فهو شىء مستقر فى كل نفس ووجدان ، تنصاع اليه النفوس مهما كان ضد مصالحها القريبة ، احساسا منها بأنها فى أمان متى كان العدل سائدا ، وليس هناك ما يملأ النفوس بالجزع والخوف ، أكثر من الشعور بفقدان العدل ، ومن هنا قالوا : « العدل أساس الملك » فحيث العدل يقوم الملك وينمو ويعظم ، وحيث ينعدم العدل يزول الملك .

وقد بلغ من احساس البشر بأن العدل يجب أن يكون هو الأصل ، أنهم توصلوا بعقولهم ووجدانهم (فى غياب الرسالات السماوية) الى انه لابد أن تكون هناك حياة أخرى يسودها العدل المطلق ويصل فيه كل صاحب حق على حقه أو أن يعوض عنه ، وذلك فى الوقت الذى يقتص فيه من كل من ظلم .

فالاحساس بالعدل والتطلع لتحقيقه هو شىء جبلى فطرى فى كل نفس لأن الله سبحانه وتعالى عدل كله ، واذ كان الانسان هو خليفة الله فى الأرض فقد ركز الاسلام دعوته لبنى البشر أفرادا وجماعات على ضرورة العدل فى كل شىء ونحو أى شىء ، العدل مع النفس ، ومع الزوج والأبناء والأقربين ثم مع الآخرين ، وحذر القرآن الكريم من الانحراف عن جادة العدل ، باعتبار أن الآخرين ، هم الذين بدأوا بالانحراف فقال وقوله الحق : **« ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى »** .

وقد امتلأ القرآن بالآيات الكريمة التى تجعل العدل للمجتمع بمثابة الهواء والماء والغذاء للفرد .

ـ ان الله يأمر بالعدل .

ـ فأصلحوا بينهما بالعدل .

ـ وأمرت لأعدل بينكم .

ـ فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا .

ـ واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى .

وغير ذلك كثير فى القرآن الكريم ، وأكثر منه توعد الظالمين أى الذين لا يعدلون أمرا للكافة .

ومرة أخرى تصور أقوام ان الأمر بالعدل فى الأحكام هو أمر خاص بالامراء والحكام والقضاة وقد اتخذت هذه الآية الكريمة شعارا فى محاكمنا المصرية ، فكتبت فى لافتات ، وعلقت خلف القضاة، وما زلت أذكر كيف رحت فى شبابى ، وكنت أترافع فى قضية عمالية ، كيف رحت أذكر القاضى ان الله يأمره بالعدل ، وليس بالقانون الوضعى، وغنى عن البيان أن لو كان القاضى يحكم بموجب الشريعة الاسلامية المؤسسة على « الكتاب والسنة » لكان العدل كل العدل فى تطبيقهما .

ونعود الى ما كنا بسبيله ، من أن الأمر بالعدل هو لعامة الناس ، تماما كالامر بالأمانة ، فما من انسان الا وهو يقضى فى أمر من الأمور فى وقت من الأوقات ، وكما قد يكون هذا الامر خاصا بشخصه ، فقد يكون خاصا بآخرين ، وعليه فى كل الأحوال ان يتحرى العدل فى كل ما يقول أو يفعل .

وقد قدمنا ان العدل لا يمكن تعريفه ولكنه يقوم على احساس مستقر فى كل نفس ، وهو أن يحصل كل ذى حق على حقه ، لا يحول دون ذلك **حائل من أى نوع كان ، وتتعاظم مسئولية الحاكم ، باعتباره هو المسئول عن تحقيق ذلك، ومن هنا كانت مقولة سيدنا أبى بكر الصديق ، غداة أن أصبح خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، هى أعظم قول قاله حاكم فى كل**

العصور استشعارا بمسئوليته فى تحقيق العدل حيث قال : ألا وان صاحب الحق قوى عندى حتى آخذ الحق له ، ومن عليه الحق ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه .

« ان الله نعما يعظكم به » :

أى أن الله سبحانه وتعالى لا يأمركم بشىء وينهاكم عن آخر ، ألا بما فيه خيركم وصلاحكم ، ولفظ « نعم » ونقيضه « بؤس » تعبير عن كل ما هو خير وطيب وحسن ، حيث اللفظ المضاد رمز لكل المعانى السيئة .

« ان الله كان سميعا بصيرا » :

أى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء من أقوالكم وأفعالكم ، بل ونياتكم ، وما اذا كان رد الامانة والعدل هما رائدكم فى كل ما تقولون أو تفعلون .

يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا .

وهذه هى الآية التى تؤلف دستور الحكم فى المجتمع الاسلامى ، ونحن نرجىء الحديث بتوسع الى آيات مماثلة قادمة غير أنه يهمنا ان نسجل بعض ما نراه مقررا فى الآية .

أولا : كررت الآية لفظ « أطيعوا » بالنسبة لله ، وللرسول لأننا لا نعرف ارادة الله الا بواسطة الرسول فأصبحت طاعة الرسول هى بذاتها طاعة الله ، ولكن الآية الكريمة (أنظر الدقة التى لا يصل اليها بشر) .

لم تكرر لفظ أطيعوا مع أولياء الامور ، ذلك انه اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوما فيما يبلغه عن ربه « وما ينطق عن الهوى » فليس كذلك أولياء الأمور الذين هم بشر كبقية البشر يخطئون ويصيبون ، ومن هنا اقتصر الأمر بطاعتهم على استعمال أسلوب « العطف على الرسول » ، أى أن طاعتهم واجبة فى هذا النطاق وهذه الدائرة ، دائرة طاعة الله وطاعة الرسول ، فهم قبل أن يكونوا ولاة أمور ، فهم مؤمنون مخاطبون بوجوب الطاعة لله وللرسول، فان خرجوا عن هذه الدائرة ، فقد سقطت عنهم، صفة « ولاة الأمور » فحسب ، بل صفة الايمان من أساسها وذلك يبين من شطر الآية الثانى **« فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر »** أى أن الأصل والاساس لوجوب طاعتهم ، هو اطاعة **الله والرسول ولذلك جاء فى الحديث الشريف « لا طاعة لمخلوق فى معصية الله »وقد كان هذا هو المعنى الذى فهمه والتزم به أول ولى الأمر بعد رسول الله ، وهو سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه عندما قال فى خطبة تنصيبه « خليفة » : اطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، والا فلا طاعة لى عليكم ، وهذا لا يعنى بحال ان لا يقع خلاف فى الرأى ، فثمة** أمور اجتهادية ، لا مناص من وقوع الخلاف فيها، شريطة ان يكون الكتاب والسنة هما أساس أى رأى وفى هذه الحالة تجب طاعة ولى الأمر وان خالف رأيه رأى آخرين ، وهو ماحدث فى موضوع « حرب الردة بالذات » فقد كان من رأى البعض ان منع اداء الزكاة لا تكفى لحرب المتنعين وذلك استنادا على بعض اقوال الرسول الله ، **أما سيدنا أبو بكر ، فقد رأى بدوره ، ان السكوت على مثل ذلك يهدم الاسلام ، فقال قولته المشهورة « لأقاتلنهم ولو على عقال بعير كانوا يعطونه لرسول الله » وانصاع المؤمنون لولى الأمر الذى كان يطيع الله ورسوله .**

الملاحظة الثانية التى نكتفى اليوم بايرادها تاركين التفصيل لآيات قادمة ، ان الفيصل فيما يجب طاعته واتباعه ليست فى الكثرة العددية وانما هى بمقدار مايكون الأمر المراد اتباعه تنفيذا لأحكام الكتاب والسنة ، كما يقول بذلك أولو العلم وعلى رأسهم بطبيعة الحال ولى الأمر مادام يستند الى الكتاب ، ولما كان هذا الأمر هو قضية القضايا فى العالم الاسلامى اليوم فلا مناص من العودة الى الموضوع بشىء من التوسع بمناسبة آيات أخرى قادمة .

الملاحظة الثالثة : ولقد دار جدل كبير حول المقصود بولاة الأمور فقال بعض هم الصحابة وقال البعض هم العلماء ، وقال آخرون الامراء والسلاطين .

بينما استعمل تعبير « اهل الحل والعقد » وعندنا ان مناط الأمور كلها ومرجعها هو كتاب الله وسنة نبيه ، أما مجرد الاستناد الى القوة والسلطة ، فمسألة لا تبحث أو تناقش ، وانما تبدأ الشرعية وتنتهى بكتاب الله، وسنة رسوله ومادام ولى الأمر يستند اليهما فهو الأولى بالطاعة **« ذلك خير وأحسن تأويلا » ..**

تأويلا : أى مآلا وعاقبة .

ومعنى الآية أن هذه الأحكام التى نضعها لكم، فى اسس الحكم ونظامه هى التى تحقق لكم الخير وتدرأ عنكم المفاسد والشرور والفتن ، والله تعالى أعلم .

القراءات القرآنية وصلتها باللهجات العربية

الدكتور عبد الغفار حامد هلال

نعالج فى هذه الحلقة الثالثة من بحثنا منهج اللغويين والنحاة فى معالجة القراءات القرآنية ، وموقفهم منها ، ونبين أن الأساس الصحيح لتفسيرها يقوم على اعتبار صلتها باللهجات العربية ، حيث يثبت عدم وفاء المنهج النحوى بالتفسير المطلوب .

وبين يدى القارىء الكريم نذكر أن لكل لغة انماطا معينة ترسم طريق توليد الصيغ ، وارتباط الألفاظ بالمعانى فيها ، وليس بمستطاع المتحدث باللغة أن يضع لفظا لكل معنى يرد على خاطره ، كما أنه لايستطيع أن يستعمل صيغة لكل غرض ، أو تركيبا لكل حديث .

واذا كان هذا شأن اللغات ــ بعامة ــ فان لغتنا العربية بلغت الذروة فى دقتها ، وتناسقها ، ووضوح طرق استعمالها .

فأمام المتحدث بها منهج مرسوم يسير وفقه فى توليد الألفاظ من المواد اللغوية ، وقواعد ، ونظم موروثة فى استعمالها ، وتراكيبها اللغوية فليس عليه الا أن يسمع ما يقوله العربى ، ويسير على منواله .

وهذا هو القياس الذى يؤدى الى الاقتصاد فى المجهود الذى يتجنب اثقال الذاكرة بمتاع غير مفيد(١) ويحفظ للغة قواعدها ، وينمى ألفاظها .

---

(١) فندريس : اللغة ص ٢٠٦ .

وأساس القياس هو المسموع عن العرب ، وهو يتمثل فى الآتى :

١ ــ **القرآن الكريم** : فلا ريب أنه يحمل طابع الاستعمالات العربية الأصيلة وهو موثوق به غاية الثقة ، ويعد أقوى النصوص التى يجب اتخاذها أصلا للقياس عليها .

وتعتبر قراءات القرآن الكريم ــ التى تثبت صحة رواياتها ــ مصدرا مهما للقياس لأنها تعبر عن لهجات عربية صحيحة .

٢ ــ **الحديث الشريف** : يعد مصدرا يحتج به فى اللغة ، ويقاس على ما ورد من ألفاظه ، واستعمالاته ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أفصح العرب ــ كما قال ــ أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش وقد أوتى جوامع الكلم كما قال عليه الصلاة والسلام .

والذى تجدر الاشارة اليه هو عدم اهتمام اللغويين والنحاة بالاستشهاد على الظواهر اللغوية وقوانينها بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فالباحث يرى انهم يأتون بالشواهد من مأثور الكلام شعرا ونثرا وربما اعتمدوا فى تقعيد قواعدهم على شاهد واحد ــ كما هو معروف عن الكوفيين ــ وربما لم يعرف قائله ، وقد يكون مصنوعا ، فقد أجاز الكوفيون دخول اللام على خبر (لكن) واستشهدوا بهذا الشطر الذى لا تعرف له تتمة :

(ولكننى من حبها لعميد)(١)

وورد صريحا أن سيبويه سأل اللاحقى : هل تعدى العرب (فعلا) ــ بفتح الفاء وكسر العين ــ قال : فوضعت له هذا البيت :

حذر أمورا لا تضير وآمن
ما ليس منجيه من الأقدار(٢)

ومع ذلك فلم يهتموا بالاستشهاد بالقرآن الكريم ، وفى القليل النادر يعرجون على نصوص منه ، فيستشهدون بآية بدلا من هذا البيت المجهول أو هذه العبارات السقيمة أو تلك التراكيب المصنوعة ، ولو أنهم استشهدوا بالقرآن لرجعوا الى النص الصحيح الأقدم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه(٣) .

كذلك جرى جمهور النحاة على عدم الاحتجاج بالحديث الشريف فى تقرير الأحكام العربية لروايته بالمعنى ، وكان الأولى بهم أن يعتبروه حجة فى اللغة وبخاصة بعد أن دون « وتدوين الأحاديث وقع فى الصدر الأول حين كان أولئك الرواة الذين يتصرفون فى ألفاظ الحديث ــ على تقدير تصرفهم ــ ممن يوثق بهم ، ويحتج فى أحكام الألفاظ بعباراتهم »(٤) .

وقد أدى عدم اهتمام اللغويين والنحاة بهذين المصدرين فى الاحتجاج الى وجود مشكلات لغوية كثيرة ، وتأويلات معقدة ، ربما كان من السهل التخلص منها بالرجوع الى هذين الأثرين اللذين يمثلان اللغة فى صورتها المثالية .

٣ ــ **ما ورد الينا فى اللغة النموذجية** : ألفاظا، ونصوصا .

٤ ــ **ما ورد من لهجات العرب** : فقد جمعت ألفاظ ، واستعمالات لغوية تنسب الى قبائل متعددة فى الجزيرة ، وتعد كلها حجة .

ويعتمد فى ذلك على ألفاظها ، وشواهدها ، **نثرا وشعرا .**

ويشترط ــ فيما نقل من المسموع عن العرب ــ ليقاس عليه أن يكون مما قاله العرب الذين عاشوا خلال فترة الاحتجاج ، وقد حددها المجمع اللغوى فى القاهرة بنهاية القرن الرابع الهجرى ــ فى البادية ــ وبمنتصف القرن الثانى الهجرى فى الحضر ، فلا يحتج بما ورد بعد ذلك فى مكانه بدوا أو حضرا .

والملاحظ أن سيلا عارما من اللهجات قد ذاب فى الاطار اللغوى العام ، وأصبح داخلا فيه .

فاللغة النموذجية التى صارت لغة العرب جميعا ، قبل الاسلام بحوالى قرن ونصف أو قرنين من الزمان وان ادعى بعض الباحثين أنها تتمثل فى لهجة قريش ــ كانت تحوى عناصر أخرى من لهجات كثيرة غيرها .

وقد ثبت ــ باعتراف الباحثين ــ أن لهجة قريش استمدت من اللهجات الأخرى ما رأته حسنا ، ومقبولا ، من أصوات ، ومفردات وتراكيب .

ولما جاء عصر التقنين اللغوى استنبط علماء العربية القواعد من كل ما وصلوا اليه ، دون تمييز بين ما هو عام ، وما هو خاص وبذلك صنعوا بناء لغويا متكاملا ، لم يفرقوا فيه بين ما هو أصلا لغة عامة للعرب ، وما هو احدى اللهجات المنزوية .

---

(١) العينى : شرح شواهد الأشمونى ٢٨٠/١ .
(٢) المصدر السابق ٢٩٨/٢ وسيبويه : الكتاب بتحقيق الاستاذ عبد السلام هارون ١١٣/١ .
(٣) عبد المجيد عابدين : المدخل الى دراسة النحو العربى فى ضوء اللغات السامية ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٤) الامام محمد الخضر حسين : القياس فى اللغة العربية ص ٣٢ ، ٣٣ بتصرف .

وكانت مقاييسهم – فى هذا الصدد – صارمة ، وقد فلسفوا لهـا وعدوا ما خرج عليها شاذا أو مؤولا .

وكان لهم – فى هذه المقاييس – منهج معروف يتسم بالتحكم العقلى ، فهم يدخلون الشـواهد والعينات اللغوية ، فى بوتقة واحدة ، ويصهرونها حتى تلائم ما وضعوه من قواعد مناسبة لهـا .

وقد طبقوا هذا المنهج على القراءات القرآنية – وان كان بعيدا عن السلوك اللغوى للظواهر اللهجية المتمثلة فى القراءات القرآنية – فقد ادخلوها أو حاولوا ادخالها فى اطار النسق العام للقواعد المستنبطة ، واخضعوها لمقاييسهم .

فنراهم عنـد الاحتجاج لها يسلكونها فى هذا السلك ، ويؤصلونها بهذا التأصيل ، سواء فى المجال الصوتى ، أو المجال المعيارى .

ولو وقفنا أمام بعض القراءات القرآنية لنرى رأيهم فيها لبدا لنـا ذلك واضحا .

وهنا نقتصر على المجال الصوتى ونرجىء المجال المعيارى لمقال آخر .

فباستعراضنا للقراءات الواردة فى قوله تعالى: **« الصراط المستقيم »** نلاحظ تعدد النطق بكلمة (الصراط) فهى بالصاد – عند أكثر القراء – وبالسين والصاد عند ابن كثير ، وبهما وبالمضارعة بين الزاى والصاد – أى اشمام الصاد صوت الزاى – عنـد أبى عمرو ، وحمزة ، وبالزاى الخالصة عند أبى عمرو – أيضا – كما رواه الأصمعى(١) .

وفى كتاب الحجة لأبى على الفارسى بيـان لاحتجاج أبى بكر بن السراج لهـذه القراءات المتعددة فى الآية السابقة .

فقراءة الكلمة بالسين جاءت – فى رأيه – على الأصل ، اذ ان السين هى الصوت الأساسى فى هذه الكلمة ، والصاد بدل منها .

وقراءة الصاد لهـا وجه أيضا ، اذ هى أخف على اللسان ، لاتفاق الصاد مع الطاء فى الاستعلاء والاطباق .

وهو يرجح القراءة بالصاد على القـراءة بالسين لهذا الانسجام الصوتى فالسين مستفلة منفتحة ، والطاء مستعلية مطبقة ، والانتقـال بينهما صعب ، فلما قلبت السين صادا زالت تلك الصعوبة وأمكن النطق بسهولة .

(١) أبو على الفارسى : الحجة فى علل القراءات السبع ط دار الكاتب العربى ٣٦/١ والبنا الدمياطى : اتحاف فضلاء البشر ص ١٢٣ .

وقراءة الزاى لها وجه أيضا ، لاتفاق الزاى مع الطاء فى الجهر .

ولكنها – فى رأيه – ضعيفة ، وروايتها عن أبى عمرو غير دقيقة ، ولعل اذن الأصمعى قـد خانته فى السماع الصحيح .

وكما قال : ان الأصمعى غير نحوى ، وأحسب أنه سمع أبا عمرو يقرأ بالمضارعة للزاى فتوهمها زايا)(٢) .

وقراءة المضارعة عنده تستند الى مبدأ الخفة، والبعد عن الالتباس يجعلها زايا خالصة ، أو صادا خالصة .

ولكنه يضعفها أيضا ، لمـا فى صورة النطق بها من صعوبة اذ فيها (تكلف حرف بين حرفين ، وليس هو بحرف يبنى عليه الكلم ، ولا هو من حروف المعجم)(٣) .

ويأتى بعد ذلك احتجاج أبى على الفارسى لهذه القراءات فيتفق مع صاحبه – ابن السراج – فى بعض الوجوه ، ويختلف معه فى بعضـها الآخـر .

فقراءة السين صحيحة .

وقراءة الصاد أقوى منها .

ويعلل أبو على لذلك بما علل به ابن السراج مع زيادة فى الايضاح لظاهرة الانتقال الصوتى .

فالانتقال من السين الى الطاء انتقال من المستفل الى المستعلى وفى ذلك لون من صعوبة النطق على حين أن الانتقال من الصاد الى الطاء انتقال من مستعل الى نظير مستعل آخر وذلك سهل .

وقد أورد لذلك نظائر قياسية كابدال السين المستفلة صادا قبل القاف المستعلية للتناسب .

وكمنع امالة الألف فى (واقد) ونحوها لأنها مجاورة للقـاف المستعلية بعدها . والسبب فى المنع كراهة أن يصعدوا بالمستعلى بعد التسفل بالامالة .

واذا كان التصعد أمرا صعبا فان النزول من المرتفع الى المستفل أسهل ، وذلك واضح فى أن العربى أجاز ذلك لسهولته على اللسان فقال : قست وقسوت بقاف مستعلية بعدها سين مستفلة وأمال (قادر) ونحوها مما وقعت فيه الألف بعد حـرف القاف المستعلى (لأنه الآن ينحدر بعد الاصعاد ، وهذا يستخف ولا يستثقل كما استثقل عكسه)(٤) .

وعلى هذا فابدال السين صـادا يؤدى الى تشاكل الصوتين ، وتجانسهما .

(٢) أبو على الفارسى : الحجة ٣٧/١ .
(٣) المصدر السابق ص ٣٨ .
(٤) أبو على الفارسى : الحجة ٣٨/١ .

وينساق أبو على الى نقطة أخرى ، وهى : كيف يترك الأصل وهو السين فى (سراط) الى ماليس باصل وهو الصاد ؟

ويجيب على هذا التساؤل بأن ذلك مبنى على أصول كلام العرب ، وليس مستغربا ، اذ أنهم فى مواضع أخرى تركوا ماهو أصل فى كلامهم الى ماليس باصل ، طلبا لاتفاق الصوتين ، ألا تراهم قالوا : شمباء ، وممبك ، فلم يبينوا النون التى هى الأصل فى الشنب ، ومن عامر ؟ لما أرادوا أن يوفقوا بين الصوتين .

ويضعف أبو على القراءة بالزاى بعدة نظائر قياسية .

أولها : أن السين هنا نظير الصاد المتحركة التى لا يبدلها العرب زايا ، فكلمة (سراط) فى نظره شبيهة بكلمة (صدرت) و (صدقت) ونحوهما ، فالسين نظير الصاد ، والطاء نظير الدال ، وكما أن الصاد فى الكلمتين الأخيرتين لا تبدل زايا لتحركها ، فكذلك السين فى (سراط) لا تبدل زايا لتحركها .

ثانيها : بعد موقع السين عن موقع الطاء فى الكلمة لوجود الفاصل بينهما وهو الألف ، مما يضعف القول بالابدال اذ الحاجز يمنع ابدالها زايا .

ونظير ذلك تحقيق الصاد وعدم قلبها زايا لوجود الفاصل بينها وبين الدال — من حركة أو حرف فى مثل : صدق ، ومصادر — كما ذكر سيبويه .

وكذلك الادغام ، فالمتقاربان اذا وقعا فى كلمة واحدة وفصلت الحركة بينهما ولم يدغما ، وذلك نحو (وتد) فكما لم يقو الادغام ، ولم يكثر مع حجز الحركة كذلك لا يقوى البدل مع الحركة .

أما قراءة المضارعة فيقويها أبو على باعتبارات معيارية أولها : أن وجود الفاصل يحسن المضارعة ، فالصاد فى (صدقت) و (مصادر) والصاد فى (صراط) امتنع اخلاصها زايا ، ولكن ينطق بها بين الصاد والزاى على سبيل المشاكلة .

ثالثها : نقل عن العرب أنهم يشربون الشين والجيم صوت الزاى على سبيل المضارعة — اذا وقعتا قبل الدال فى مثل أشدق ، وأجدر فاشراب الصاد فى (صراط) صوت الزاى أولى وأجدر فالصاد والزاى من مخرج واحد ، ومتقاربان فى الصفات على حين أن الشين أو الجيم والزاى متباعدة مخرجا ، وان تقاربت فى بعض الصفات.

رابعها : أن أهل مكة قرأوا بالمضارعة .

وقد وازن بينها وبين قراءة اخلاص الصاد وتحقيقها ، وأعمل فكره المعيارى فى الاحتجاج لاختيار الصاد .

فالصاد الخالصة أولى من وجوه :

الأول : أن الصاد منقلبة عن السين ، وهذا نوع من الاعلال فاذا ضورع بها ، فقد أعلت مرة أخرى ، والعرب يكرهون اعلال حرفين متواليين .

ولذلك نلاحظ أنهم لم يحذفوا النون من بنى النجار مع توالى النونات ، حيث كانت اللام قد أعلت بالقلب لئلا يتوالى اعلالان ، الحذف والقلب ، وان كانا من كلمتين مفترقتين ، فاذا كره فى هذا النحو كان توالى اعلالين فى حرف واحد أبعد .

والثانى : قياس ذلك على الادغام ، فالمضارعة تشبه الادغام فى أنه تقريب الحرف الأول من الثانى ، وكما أن الصاد لا تدغم فى الطاء لا نتقاص صوتها بذلك فكذلك لا ينبغى أن يضارع بها ، لأن هذه المضارعة فى حكم الادغام(١) .

ونلاحظ من استعراض هذا الاحتجاج للقراءات المتعددة فى (الصراط) ومقارنته باحتجاج ابن السراج السابق أن كلا منهما مبنى على اعمال المقاييس المعيارية التى توصل اليها العلماء آنذاك ، وتحكموا بها فى النصوص المروية ، ولم يميلوا الى جانب الرواية والأثر بقدر ما كانوا يضربون فى النواحى العقلية .

ومن هذا الاتجاه رأينا أن كلا منهما يضعف احدى القراءات اعتمادا على هذا المنهج ، دون اعتبار للنقل والرواية ، وكانت النتائج التى توصل اليها كل منهما مختلفة لابتنائها على اعتبارات منطقية بحتة .

فقد ادعى ابن السراج — بناء على مقاييس منطقية صرفة — أن الأصمعى لم يكن نحويا ، وأن ذاكرته قد خانته فى السماع ، وأن تكلف حرف بين حرفين غير معروف فى حروف المعجم ، مع أن المناقشة الموضوعية تجعل هذا الاحتجاج ضعيفا .

فالقول بأن الحرف بين الحرفين غير معروف فى الابجدية مبنى على ما وصلت اليه الابجدية العربية من رقى ونصاعة — بعد تهذيبها — ولم يلاحظ بقاء مثل هذه الحروف عند قبيل من العرب ولذا فان تعقيبه بقوله « ولست أدفع أنه من كلام الفصحاء من العرب »(٢) يرد عليه .

---

(١) ينظر فى كل ما تقدم : أبو على الفارسى : الحجة فى علل القراءات السبع . الجزء الأول ص ٣٦ — ٤٢ بتصرف .
(٢) المصدر السابق ص ٣٨ .

ومعظم ما استند اليه أبو على من أصول ونظائر ليؤكد بها اطراد ظاهرة قلب أحد الصوتين الى الآخر بعيد عن الاتجاه المنهجى فى الاستدلال ، وكأنه يريد بذلك أن يجعل هذا الابدال ظاهرة عامة يراها العرب جميعا ، ويسلكون مسالكها ، حتى انها تجرى وفق حكمتهم ، وما اقتضته طبيعتهم فى كل مكان .

وذلك يجرى فى فلك ما وضعوه من أصول ، وقواعد يرجون لهـا الاطراد .

ولكن علم اللغـة الحـديث يبين أن هـذه الاستعمالات المتعددة ليست شائعة عند العرب جميعا ، ولا تجرى على سنن يخضع له العرب جميعا ، بل هى تعداد لألوان النطق وفقا لاختلاف الناطقين وما يناسب بيئتهم التى يعيشون فيها ، والمؤثرات الحضارية ، والثقافية ، والنفسية ، وغيرها .

وهذه القراءات التى تشتمل على هذه الألوان المتعددة من النطق تمثل هذه البيئات المتعددة للغة التى تتشكل حسب طبيعة طوائف المتمكن بهـا ، وظروفهم .

وفى اطار التحليل اللهجى للقراءات القرآنية ، والذى نحبذه ونعضـده نستطيع أن نحتج لهذه الألوان المختلفة من القراءات فى ضـوء البيئة العربية وظروفها الاجتماعية .

فليست قراءة السين أصلا ، وقراءة الصـاد فرعا — كما توهم المحتجون من اللغويين ، اذ أن ذلك كان يتأتى لو أن الناطقين بالصاد هم الناطقون بالسين ، فى عصرين متتاليين مثلا .

لكن الواقع ان السين لجماعة ، والصاد لجماعة أخرى ، والزاى لغيرهما ، والمضارعة لفريق غير هؤلاء .

ولعلنا نلمح أن تلك جميعها لهجات من القصة المشهورة التى رواها الأصمعى وهى قوله : اختلف رجلان فى الصقر ، فقال أحدهما بالسين ، وقال الآخر بالصاد فتحاكما الى ثالث ، فقال : أما أنا فأقول : الزقر ، فدل على أنهـا ثلاث لغـات . لهجات)(١) .

ونخلص من ذلك الى أن الفكر القياسى الذى انتهجه اللغويون والنحاة القدامى لم يصل الى المطلوب فى تفسير القراءات القرآنية وأن وصلها باللهجات هو الحل العلمى المنهجى السليم .

وفى ضـوء علم اللغة الحديث يمكن تخـريج القراءات فى الآية المذكورة .

---

(١) ابن جنى : المحتسب ١٦٩/٢ ، ٢٨٣ ، والسيوطى: المزهر ٢٩٩/١ .

فالمعروف أن العرب فريقان بدو ، وحضر ، ولكل منهما طرائق خاصة فى النطق .

ويثبت علم اللغة الحديث أن البدو يميلون الى الاصوات الواضحة أو الأكثر وضوحا ، على حين أن الحضر يميلون الى الأصوات الخافتة ولذا يفضل البدو الأصوات المجهورة أو المستعلية المطبقة لشدة وضوحها ، وعلوها المناسب لخلاء الصحراء التى يضيع فيها الصوت ما لم يكن عاليا .

على حين يفضل الحضريون الأصوات المهموسة أو المستفلة المنفتحة لمناسبتها لخفض الصوت اللازم للبيئة الحضرية ذات المساكن والجدران التى تحجز الصوت وتنقله دون أن يتبدد . فلا تحتاج الى علو الصوت بل تدعو الى خفوته .

وفى هذا المقام خاطب القرآن الكريم البـدو القادمين الى النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة طالبا منهم أن يخفضوا أصواتهم وذلك لعـدم الحاجة الى رفع الأصـوات كما هو شـأنهم فى البادية، قال تعالى : «ياأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض » . وقال تعالى : « ان الذين ينـادونك من وراء الحجـرات أكثـرهم لا يعقلون »(٢) .

وتنقل لنا كتب اللغة بعض أسماء القبائل التى تنسب اليها تلك الطرائق النطقية من اسـتعمال السين أو الصاد أو الزاى أو المضارعة .

وقد نسب أبو حيان ظاهرة اشمام السين صوت الزاى الى قبائل قيس ، وقلبها زايا خالصة الى قبائل عذرة وكعب وبنى القين(٣) وقيس معروفة ببدويتها ، وعذرة قبيلة اشتهرت بالعشق وهى بطن من قضاعة(٤) وهم بدو ، وكعب بطن عامر ابن صعصعة(٥) من هـوازن(٦) وكانت تسـكن العروض(٧) مجاورة لبنى تميم ، وبنو القين بطن من بنى أسد(٨) وهى بدوية على ما نعرف .

ولعل ظاهرة الأطباق — أيضا — تنسب الى أهل البادية حيث عرفنا أن صوت الأطباق فيه من الوضوح مايناسب البيئة الصحراوية(٩) .

---

(٢) الحجرات الآيتان ٢ ، ٤ .
(٣) أبو حيان : البحر المحيط ٢٥/١ .
(٤) القلقشندى : نهاية الارب فى معرفة أنساب العرب ص ٣٥٩ .
(٥) المصدر السابق ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ .
(٦) نفسه ص ٣٣٠ — ٣٣٢ .
(٧) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٥٩ .
(٨) القلقشندى : نهاية ص ٧١ .
(٩) د. عبده الراجحى : اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ١٥٠ .

من وسـائل القرآن الكريم فى الدعـوة المثـل

الدكتور أحمد غـلوش

المثل القرآنى أحد وسائل الدعـوة الى الله تعالى ، لاحتوائه على أصول الدعوة وفروعها ، وعرضها أمام المستمع بصورة مؤثرة ، وطريقة مقنعة ، ومنهج مفيد .

والمثل القرآنى فى هذا جزء من كتاب الله الكريم الذى أنزله المولى سبحانه وتعـالى ليكون دستورا لدينـه ، ومنهجـا يوضح الطريق للناس ، وزادا مستمرا للدعاة يهتدون بهداه ويسـتفيدون من دروسـه ومحتواه .

وبمنهجنا فى هذه الدراسة مع القـرآن الكريم نلحظ أن المثل القرآنى تناول قضية اثبات الرسالة واثبات صدق محمد صلى الله عليه وسلم فى رسالته بمنهج سـديد يقدم شبه المعارضين ، ويحللها لعناصرها الرئيسية ، ويكر عليها بالتفنيد . واظهـار الحق .

قضية اثبات الرسالة

وقضية اثبات الرسالة من أصول الاسلام الأساسية التى تعد أساسا لأصول أخرى سواها . يقول الشيخ محمد عبده : « للاسلام فى الحقيقة دعوتان . دعوة الى الاعتقاد بوجود الله وتوحيده . ودعوة الى التصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم . على أن الاعتقاد بالله متقدم على الاعتقاد بالنبـوات لأنه لا يمكن الايمان بالرسل الا بعد الايمـان بالله تعالى . وأول واجب يلزم المكلف أن يأتى به النظر والفكر لتحصيل الاعتقـاد بالله . وتحصـيل الايمان بالرسل » وهذا الكلام حق لأن الانسان يدخـل فى الدين باقتناع عقلى على أساس أن يؤمن بالله بعد النظر والتدبر والتأمل فى الآيات الانسـانية والكونية ، ووظيفة الرسل حينئذ توجيه الانسان الى آيات الله الشـاهدة على وجوده وقدرته ، ومع الايمان بالله يكون الايمان العقلى والتصديق النفسى برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم .. وبعد ذلك يسهل الايمان لكل أصل . وبكل فرع . لأن المؤمن بالله ورسوله . يلزمه أن يؤمن بكل ما يخبر به الرسول وحيا جاءه من الله سبحانه وتعالى .

يبين المثل القرآنى أسباب جحود النـاس للرسالة وانكارهم لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم أن يكون رسولا بضرب المثل من الأمم السابقة . يقول تعالى :

« واضرب لهم مثلا أصحاب القـرية اذ جاءها المرسلون اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم

مرسلون . قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون . وما علينا الا البلاغ المبين »» .

ففى هذه الآيات مثل مضروب لأهل مكة ولكل من يشكك فى أن يكون الرسول من البشر ، وهو شك متكرر مع سائر الرسل ، ومع الزمن كله لدرجة أن بعض السذج خدعوا بهذا الشك فاذاعوا لرسولهم أن يكون ابنا لله ، يماثله فى القدرة . والتأثير ، ويتميز فى طبيعته عن كل من أرسل اليهم من الناس .

ولتكرر هذا الشك وخطورته نرى الآيات تعرض المثل فى صورة حوار قصصى بين الرسل وأقوامهم من أهل القرية .

ولم يفصح القرآن اسم القرية ولم يحدد مكانها لعدم جدوى هذا التحديد فى دلالة المثل على المقصود . ويكفى أن نعرف أن القرية جاءها أولا رسولان من قبل الله تعالى فكذبهما أهلها ، فعززهما الله برسول ثالث تأكيدا لصدقهما ، ودلالة على نصر الله لمن يخلص فى الدعوة له .

وتقدم الرسل الثلاثة الى أهل القرية وقالوا لهم :

« أنا اليكم لمرسلون » .

فاعترض أهل القرية وكذبوهم . وقدموا الشبة التى دفعتهم لهذا التكذيب ، فقالوا :

« ما أنتم الا بشر مثلنا » .

« وما أنزل الرحمن من شيء » .

« ان أنتم الا تكذبون » .

وهذا الاعتراض المتكرر فى تاريخ الرسل والرسالات تبدو فيه جهالة الفكر ، وسذاجة التصور ، أما الجهالة فبسبب اعتقادهم فى أن ارسال الرسل قائم على مواصفات معينة وليس لله اختيار مطلق فى الرسالة يصطفى بها ولها من يشاء من خلقه مع أنه — سبحانه — أعلم حيث يجعل رسالته . **وأيضا فان جهالة الفكر** دفعتهم الى تخيل أن الله سبحانه وتعالى لعلوه يتصرف فى العلويات ، وهذه بدورها تتصرف فى السفليات ، ولذلك كان تأكيدهم على صدق وهمهم فى أن التماثل فى البشرية ينفى عن المرسلين الرسالة ، وفى أن الله سبحانه وتعالى لا صلة له بالسفليات **« وما أنزل الرحمن من شيء » .**

وأما سذاجة التصور فتبدو من تصور الجاحدين المتكرر فى ضرورة أن يكون هناك غموض وسر فى الرسول حيث تكمن وراءه الأساطير والأوهام .

أليس هو رسول السماء الى الأرض ؟

أليس هو المتحدث بالناموس والمبرز لكلام غير بشرى ؟

أليس هو رسول الله ؟ فلم لا يكون ابن الله ؟ أو ملكا مقربا اليه ؟

انه لا يصح أن يكون بشرا يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق . ومن هنا كان رد الجاهلين من أهل القرية على الرسل البشر الذين جاءوهم اذ قالوا لهم :

« ان أنتم الا تكذبون » .

وهذه هى سذاجة التصور وجهالة التفكير . فالأسرار والألغاز ليست صفة ملازمة للنبوة والرسالة . وليست بهذه السذاجة والبدائية .

ان فى الرسالة سرا عظيما لكنه يتمثل فى ابداع انسان من البشر يملك الاستعداد اللدنى الذى يمكنه من تقبل الوحى الالهى والاتصال المباشر بالملأ الأعلى .

ويملك الكمال البشرى الذى يجعله محل الثقة عند الناس ، وموطن الرجاء فيهم ، ويملك الاخلاص الصادق والتجرد التام الذى به يعيش للرسالة مجردا عن كل علائق الدنيا ، مخلصا فى سائر عمله لله رب العالمين .

ان سر الرسالة يتضح فى اختيار شخص هو فى نظر الناس عادى لكنه بالرسالة يسمو بهم . ويسعدهم بمنهج الله تعالى ويعيش بينهم كأحدهم لا يأخذ أجرا ، ولا يتعالى ويتكبر تلك قضية انكار القرية لارسال البشر .

وهى كذلك قضية أهل مكة مع رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم يقول الامام الرازى **هذا** مثل ضربه الله لرسوله محمد ولأهل مكة مثبتا به ضلال القوم وخطأهم ، **ومؤكدا به تأييد الله لرسوله ذلك أن القرية كانت صغيرة العدد. وجاء لأهلها ثلاثة من الرسل فما أثروا فيهم .**

فصبر الرسل ، وبينوا انهم أدوا البلاغ الذى كلفوا به ، وحسبهم أن الله معهم يؤيدهم وينصرهم ويكفيهم مكر معارضيهم ولذلك كان ردهم على أهل القرية :

« ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون »

فأسندوا الرب الى انفسهم للاشارة الى العناية والتأييد ، ولبيان أن العلم فى الحقيقة هو علمه ، والحكم هو حكمه ، وكل شىء بيده ، وهو - سبحانه - يعلم أننا صادقون فى الرسالة ، واننا مرسلون اليكم بهدى الله وتعاليمه . والواجب أن تنظروا فيما نبلغه لأنه الهدف ، وهو الطريق ، ومنه تعلمون انه من الله ، ويكفينا أننا قلناه . وهو عملنا .

« وما علينا الا البلاغ المبين »

ان كان ذلك حدث مع القرية والرسل الثلاثة فهو مثل يحقق لرسول الله الصبر والتحمل فلقد بعث وحده للعالم كله . ومعارضوه أضعاف أضعاف أهل القرية ، وعليه أن يصبر ، ويتحمل ويبلغما نزل عليه فما على الرسول الا البلاغ .

وهذا المثل يثبت الرسالة للبشر من وجوه :

أولاها : أن الأمر لله وهو رحيم بعباده . ومن ضرورة الرحمة أن يرسل للبشر رسلا منهم يمكنهم أن يخلطوا منهج الله بالسلوك الانسانى الكامل . فيكونوا بذلك نموذجا واقعيا للناس .

ثانيها : ان الله حر مختار يرسل من يشاء وفق علمه وارادته وحكمته والله أعلم حيث يجعل رسالته .

ثالثها : أن قضية الرسالة تنحصر فى البلاغ ، وعلى الناس أن يعملوا فكرهم فى المبلغ وحده . اذ لا فرق بين طريقين لو كان أثرهما واحدا .

رابعها : البلاغ الالهى بوضوحه وتساميه هو القضية المعروضة وهو أكبر برهان على حقيقة الرسالة وصدق الرسل .

وهكذا يثبت المثل القرآنى الرسالة للبشر ويدفع عنها شبه الجاحدين ويؤدى دوره كأسلوب للدعوة الى الله تعالى .

والناظر فى واقع المكيين حينما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى معارضتهم الشديدة لرسول الله على أساس تصورهم أن الرسول لا يكون من البشر .

« وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب » .

وقد كرر القرآن الكريم موقفهم هذا ، وعرفهم أن ارسال الرسول من البشر رحمة بهم ، لأنه لو كان ملكا لعجزوا عن الاتصال به وهو فى طبيعته الملكية ، ولو تمثل ببشر لاستمر اللبس والتعجب والانكار ، وحينئذ فكونه بشرا أرحم لمعرفتهم به ، ومعرفته بهم وبلغتهم ، كما أن الله يختاره كاملا معصوما ليتمكن من تقبل الوحى ، وتبليغه للناس فى أمانة وصدق .

ومن هذا كانت دقة القرآن الكريم وهو يورد أمثاله لتعريف الناس من أهل مكة بما جرى من الأمم السابقة مع رسلهم ويضربها لهم أمثلة معبرة لعلهم يعتبرون ويتدبرون ويستفيدون يقول تعالى **« فاقصص القصص لعلهم يتفكرون »**

« وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » .

ونحن فى عصرنا الحديث فى أشد الحاجة الى تقوية روح حب الرسول والاخلاص لتعاليمه ، وانزال ما أقر به فوق كل أمر . وتنفيذ ما وجهنا اليه وان تعارض مع كل توجيه سواه .

وعلى الدعاة : أن يعمقوا فى النفوس أهمية الصدق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه فى الحقيقة صدق مع الاسلام كله .

وعلى الدعاة : أن يعلموا ان اتباع رسول الله ، وتقديم تعاليمه على ما سواها دليل الايمان **« ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين أمتحن الله قلوبهم للتقوى » .**

وعلى الدعاة : ان ينشروا دعوتهم بلين ورفق بلا تصادم مع المعاندين وان كذبوهم . واتهموهم بما ليس فيهم .

وعلى الدعاة : ان يتكلوا على الله . ويعتمدوا على تأييده ونصره متمسكين بالحق . عاملين له . متخذين من الرسل أسوة وهم يقولون .

« ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون . وما علينا الا البلاغ المبين » .

والله يهدى الى سواء السبيل .

من إعجاز القرآن

حسن الترتيب والتنسيق

الدكتور محمد أحمد يوسف القاسم

— ٣ —

مما لا شك فيه أن ترتيب القرآن على وضعه الحالى غير ترتيب نزوله على رسول الله صلى الله عايه وسلم ، هذه قضية يؤيدها الواقع والتاريخ والأدلة الصحيحة ، وان كان هناك من مخالف — ولا اخال هذا — فقد أضله الله وأعماه عن الحق الواضح وضوح الشمس فى كبد السماء :

وما ضر شمس الضحى طالعة

ألا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

(مناسبة نجوم السورة) :

لقد كان لهذا الترتيب شأن عجيب ، فقد اكتمل نزول القرآن وصار دستورا متكاملا لخير أمة ، ترجع اليه فى عقائدها وفى استنباط الأحكام منه ، ولا ريب أن هذا يستدعى ترتيبا غير ترتيب النزول ، يراعى فيه أحوال القضايا التى نزل بشأنها القرآن ، من غير أن يغفل حاله صلى الله عليه وسلم وحال المدعوين وقت نزوله .

ومن عبارات المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز فى هذا المقام : لقد كان للنجوم القرآنية فى تنزيلها وترتيبها ظاهرتان عجيبتان مختلفتان وقلما يتفقان ، يدلان على أعظم العبر من هذا النظم القرآنى : فلو أنك نظرت الى هذه النجوم عند تنزيلها ونظرت الى ما مهد لها من أسبابها : لرأيت قولا مرتجلا عند باعثه ، ولو أنك نظرت الى ما أعد لكل نجم من مكانه الخاص : لرأيت أن هناك خطة شاملة تفصيلية قد رسمت فيها مواقع النجوم قبل نزولها ، بل من قبل أن توجد أسبابها فى الواقع ، ورأيت أن هذه الخطة قد أبرمت بآكد العزم والتصميم ، فما من نجم وضع فى مكان ثم وجد عنه أبد الدهر مصرفا ولا متحولا الى سورة أخرى ، ولن تجد هذه الأوضاع الا مقصودة بعينها ، وكذلك القصد فى كل طائفة أن تنتظم منها وحدة محدودة ذات ترتيب ومقدار بعينه ، وصدق الله العظيم : ((كتاب أحكمت آياته

ثم فصلت من لدن حكيم خبير » .. اه بتصرف .

ان سياق السور يختلف باختلاف الأحوال والأوقات والأشخاص الذين نزل من أجلهم التشريع ، وان كانت جميعا تتفق فى اعجازها وبلوغها أرقى درجات الفصاحة والبلاغة .

ولابد لفهم السورة من سور القرآن فهما صحيحا ، من دراستها كلها اجمالا ورد أولها الى آخرها الى أوسطها ، فانها وان اشتملت على نجوم متعددة لكنها نازلة لهدف واحد وتندرج تحت مقصد واحد لا تنفك عنه . فعلى الناظر فى السورة أن يدرس كل جزء منها وموقعه من السابق واللاحق : هل هو تأسيس أو توكيد أو تكميل أو احتراس أو استقصاء أو غير ذلك مما يقتضيه النظر البلاغي ثم بانضمام هذه الأجزاء وتلاحمها نرى الوحدة السورية وقد تكاملت فى أحسن صورة وأكمل بناء دالة فى الوقت نفسه على ناحية من نواحى الاعجاز . وذلك لأن السورة لم تنزل فى زمن واحد فهناك بعض السور لم تتكامل وحدتها الا فى بضع سنين كسورة البقرة فقد استمر نزولها تقريبا تسع سنين ، **وقد نزل قول الله تعالى « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها » من سورة النساء. فى جوف الكعبة فى فتح مكة وقد ضم الى قوله تعالى «ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب » من نفس السورة مع أنه نزل عقب بدر أو فى الخندق ومع ذلك لا تشعر بالفارق الزمنى بينهما ،** اذ الزمان انما يشترط فى سبب النزول ولا كذلك فى المناسبة . ويقال فى هذين النجمين وفى الربط بينهما : انه تعالى لما أخبر عن كتمان أهل الكتاب لصفة النبى صلى الله عليه وسلم وقولهم : ان المشركين أهدى سبيلا كان ذلك خيانة منهم فانجر الكلام الى ذكر الخيانات عموما وكان فى صورة أمر موجه ضد المخاطبين . **والحاصل أن الاقتصار على النظر فى بعض الأجزاء دون بعض لا يتوصل به الى فهم المراد من السورة .**

يقول الشاطبى : ان اعتبار جهة النظم مثلا فى السورة لا يتم به فائدة الا بعد استيفاء جميعها بالنظر فالاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود الا بعد استيفاء جميعها بالنظر . ثم يتعرض لضرب الأمثلة على قوله ذاك فيقول : **ان سورة (المؤمنون) قد نزلت فى قضية واحدة وان اشتملت على معان كثيرة فانها من المكيات وغالب المكى أنه مقرر لثلاثة معان اصلها معنى واحد وهو الدعاء لعبادة الله تعالى . ثم بين أن المعانى الثلاثة هى :**

١ ــ التوحيد وتقرير الوحدانية لله تعالى .
٢ ــ تقرير رسالة النبى صلى الله عليه وسلم
٣ ــ اثبات البعث واليوم الآخر . فهذه المعانى الثلاثة هى التى اشتمل عليها المنزل من القرآن المكى عامة وما ظهر فى بادىء الأمر خروجه عنها راجع اليها فى النهاية . ويتبع ذلك الترغيب والترهيب والأمثال والحكم والقصص وذكر الجنة والنار ووصف يوم القيامة وأشباه ذلك .

واننا لو نظرنا الى كل سورة من سور القرآن وأردنا أن ندخلها تحت مقصد واحد تدور عليه السورة لاتفقت مع هذه القاعدة على طول الخط، ونضرب مثالا على سبيل الاجمال بسورة (النساء) فهى سورة الاجتماع ، فاذا ما عالجت مثلا شئون المال أو النكاح أو غيرهما فلتأمين المجتمع الاسلامى مما يهدد وحدته بل ان ما ذكر فيها من أمر القتال وأمر المنافقين فلتأمين سلامته كذلك من الأعداء المناوئين للمجتمع الاسلامى ، وهكذا كل سور القرآن الكريم تتفرق أجزاؤها وتتنوع أساليبها لتجتمع فى النهاية حول مقصود واحد عليه مدار السور القرآنية .

وارى لزاما على أن أعرض مثالا تفصيليا لسورة كاملة من القسم المكى يتبين منه مدى دقة القرآن الكريم فى الجمع بين المتفرق وسلكه فى سلك واحد هو آية فى الاعجاز والبلاغة القرآنية

سورة الأعلى

هى مكية فى قول الجمهور وآيها تسع عشر آية وأولها فى تقرير التوحيد وأوسطها فى تقرير النبوة وآخرها فى تقرير المعاد ، وذلك هو المقصود لأهم من تنزيل المكى بل من جميع الكتب السماوية واقرأ فى آخرها :

« ان هذا لفى الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى » .

بدأ سبحانه السورة بتنزيه مسماه الكريم وعلل ذلك بأنه الذى يربى الخلائق ويفيض عليهم نعمه وبأنه الذى أعطى كل شىء خلقه وعدله بما يتناسب مع حياته وبأنه الذى دبر أجناس الاشياء ومقاديرها وبأنه الذى يسر كل شىء لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات وبأنه الذى أنبت النبات والكلأ الأخضر فينتفع به الخلق ثم بعد فترة يصير هشيما يابسا قد تحول لونه الى السواد وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار يستدل به على ذهاب الدنيا بعد نضارتها .

وان طريقة الاستدلال هذه على وجود الله تعالى وقدرته هى التى سلكها الانبياء مع أممهم « الذى خلقنى فهو يهدين » . « ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » .

ولما ذكر سبحانه التنزيه وهو نفى مايستحيل عليه تعالى والتخلى مقدم على التحلى أعقبها بذكر الأصول التى لا يقوم الدين الا بها وهى : اثبات الالوهية لله تعالى وذكر بعض صفات أفعاله خاصة القيومية ، ثم أعقبها بذكر نبوته صلى الله عليه وسلم اذ عن طريقه يعرف العبد ما له سبحانه وتعالى من صفات الجمال والجلال فيعترف بربوبية الخالق وبافراده وحده بالعبادة ويجد فى اقامة أوامره واجتناب نواهيه ولا ريب أن انزال القرآن وقراءته أعلى أنواع التسبيح ولا يتم تسبيح الا بقراءة ما أنزل الله ولذا فقد كان القرآن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أمن على نفسه نسيانه بضمان الله له ذلك.

ولما استوفى سبحانه تنزيه نفسه ثم بدأ بما للخالق وذكر أشرفه وهو النبى صلى الله عليه وسلم وأنه قد زوده بالقوة العلمية بجعله قارئا للقرآن وهو أشرف الذكر له ولقومه ثم وعده بأن يجمعه فى قلبه : قال يجب أن تكمل نفسك الذكية باتباع العلم العمل ونحن نقفك على الطريقة اليسرى فى كل باب من أبواب الدين: اذا ما انتهى الكلام على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى أنه فى درجة أعلى بالتوفيق فى العلم والعمل أتبعه بأن الواجب عليه أن يقوم بأمر البلاغ وعليه أن يضفى من كماله الى الناس الذين ينتفعون بتذكيره لهم وأما من أشقاه الله فان يسمع له وسيبعد عن هذا التذكير وستكون عاقبته فى الآخرة الاصطلاء بنار جهنم . وتأمل كيف تخلص من الكلام على رسالته صلى الله عليه وسلم الى الكلام على اليوم الآخر بدون شعور من السامع أو القارىء ولا ريب فان الكلام من عند الحكيم الخبير . ثم تأمل كيف قدم تنزيهه تعالى على صفات الكمال ثم قدم من سلب عنه النعيم الأخروى لأنه لم يتطهر من دنس الشرك ثم أتبعه بمن تخلق بالأخلاق النبوية وذلك هو الذى كمل نفسه بالعلم والعمل « وذكر اسم ربه فصلى » فهو متخلق بأخلاق الله تعالى من التخلى عن الرذائل والتحلى بالفضائل . فكان تنزيه الرب تعالى وتنزيه الأنفس غاية مقصود السورة وقد انعطف مقطعها الى أولها .

ثم بين سبحانه السبب الذى صرفهم عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ركونهم الى الدنيا ولو عقلوا لعلموا أن نعيمها منقطع وأن الآخرة هى دار النعيم الدائم .

ثم أشار تعالى فى ختام السورة الى أن القواعد والأصول التى جاءت فيها ليست بدعا فقد اتفقت عليها الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى فعلام يستند هؤلاء فى تجنبهم الاسلام دين الأنبياء جميعا ؟ .

هذا : وبالنظر فى أجزاء السورة نجدها قد جمعت كل الأصول التى جاء بها الاسلام على صغر حجمها وتقدمها فى النزول .

وقد أشار سبحانه بقوله « قد أفلح من تزكى » الى وجوب تطهير النفس من الخبائث النظرية والعملية وبقوله « وذكر اسم ربه » الى تزيينها بالمعرفة وبقوله « فصلى » الى تكميلها بالعمل وفى قوله « بل تؤثرون الحياة الدنيا » زجر عن الالتفات الى الدنيا « والآخرة خير وأبقى » اشارة الى الترغيب فى الآخرة وفيما عند الله تعالى .

وتلك كلها فى مجملها وتفصيلها لاتختلف باختلاف الشرائع التى يكون بها تزكية النفس وصلاح الانسان والله أعلم .

كان هذا مثالا لسورة واحدة من قصار المكى ، وقد رأينا فيه مدى تلاحم السورة مع تنوع الفنون فيها ، وقد كان كل جزء منها يشد الآخر ويطلبه، وتلك آية فى اعجاز القرآن الكريم .

واليك مثالا آخر لسورة طويلة من القسم المدنى ، ومنه يتبين أن التلاحم لا يختلف من سورة قصيرة الى سورة طويلة ، وسأحاول الاختصار فيه ما أمكن وبالله التوفيق .

سورة آل عمران

وهى سورة مدنية نزلت بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم على نجوم متفرقة فى أكثر من خمس سنين .. فقد ذكرت فيها غزوة بدر الكبرى — وهى فى السنة الثانية — ثم غزوة أحد — وهى فى السنة الثالثة — وعقبها مباشرة غزوة حمراء الأسد — وفيها أيضا غزوة بدر الآخرة — وهى فى السنة الرابعة — كما ذكر فى صدرها وفد نجران — وقد ذكرها ابن كثير فى حوادث السنة التاسعة ، وذكر ابن هشام أن سنة تسع من الهجرة تسمى سنة الوفود — وفى كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم الى هرقل ما يشير الى أن آية **« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم .. »** كانت قد نزلت ومعلوم أن الكتب كانت فى السنة السابعة، وذكر الواقدى أن الكتب كانت فى آخر سنة ست بعد عمرة القضاء ، ولا خلاف بين المؤرخين أنها كانت قبل الفتح وبعد الحديبية .

والسورة الكريمة وان كانت قد نزلت بعد فترة من استقرار المسلمين فى المدينة المنورة ، ولكنها نزلت فى مجتمع تطل منه الفتنة برأسها لتبث نار الفرقة بين المسلمين : فالمجتمع المدنى آنذاك كان يتكون من المسلمين واليهود والمنافقين بجانب النصارى الموجودين فى الجزيرة العربية . وكان كل هؤلاء يدفعه تيار عنصره وعقيدته للتعامل مع الآخرين ، فالمسلمون ينون المجتمع الصالح لاقامة شعائر دين الله الخالص ، وفى سبيل ذلك **يقومون** بالدعوة اليه بالموعظة الحسنة وأمرهم مع العدو الخارجى ما بين نصر أو غيره

واليهود والمنافقون يقفون حجر عثرة فى وقف تيار الدين الجديد والحد من نفوذه ، وفى سبيل ذلك يتناصرون مع الاعداء من خارج المدينة أحيانا ، وأحيانا يلقون بالشبه فى وجه المسلمين علها تردهم عن دينهم ، وأحيانا يثيرون الأحقاد والضغائن بين المسلمين من الأوس والخزرج أو بينهم وبين المهاجرين اضعافا لقوة تلاحمهم وتناصرهم ، بل لقد رجع المنافقون بثلث الجيش أثناء سيره الى أحد ، كل ذلك وغيره مما يوهن — فى عقيدتهم — تماسك المجتمع الاسلامى ويوقف انتشار الدين .

وقد نزلت السورة الكريمة تعالج هذه الأمور متجاوبة مع الظروف والبيئة فى أسلوب قرآنى معجز ، يتنقل بالقارىء والسامع من غرض الى آخر ، فى الوقت الذى يبث فيه مبادىء الدين ويدفع شبه الضالين المضلين راسما الطريق الى الفوز والنجاة فى الآخرة .

ونلاحظ أن السورة وان نزلت فى أزمان متفاوتة ، لكن ذلك لم يؤثر فى ترابط أجزائها بل ان القارىء أو السامع ان لم يعلم أسباب نزولها لا يرى فرقا بين النجوم المنتشرة فى السورة ، ولا يسعه الا الحكم بأنها نزلت دفعة واحدة ، وتلك هى معجزة القرآن فى ربط أجزاء سورة .

وقد عالجت السورة عدة أمور تدور حول :

١ — تنزيه الاله . وأنه واحد حى قيوم . وأن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم رسول قد خلت من قبله الرسل فآمنوا به ، وأن الدين فى كل الازمان واحد فى جوهره وغايته .

٢ — بيان أن حب الدنيا من أموال وجاه وأولاد وغيرها هى التى تصرف الناس عن اتباع الحق ، ولن تغنى عنهم شيئا فى الدنيا ولا فى الآخرة .

٣ — رسم الطريق الصحيح لمن أراد الفوز برضوان الله تعالى ، وأراد أن يسلك نفسه فى نسلك المتقين الذين يخلصون العمل لله لايريدون به عرضا من أعراض الدنيا .

وتحت هذه الأمور تفريعات كثيرة تتفرق وتتشعب ثم تعود لتجتمع تحت هدف واحد ، هو ما نسميه بالغرض أو المقصود من السورة ، ومقصود سورة آل عمران هو اثبات الوحدانية لله تعالى الذى ثبت أنه حى قيوم منزل الكتب هادية لخلقه ، واهب الحياة للناس جميعا وغيره مخلوق محتاج اليه تعالى واقع تحت قهره وسلطانه .. ولا ريب فهذه سورة التوحيد .

وهذا المقصد يكتنفه من جانبيه مقدمة وخاتمة ، ويقول أهل البلاغة : ان براعة الاستهلال تجعل السامع يقبل على الكلام ولا يعرض عنه ، ولما كان الختام آخر ما يقرع السمع كان لابد أن يتضمن المعانى البديعة مع الايذان بان الكلام قد انتهى ، وقد كانت سورة « آل عمران » كذلك ، فقد بدأت بقوله تعالى « آلم الله لا اله الا هو الحى القيوم » وكان مدار السورة على هذه الجملة الموجزة ، ولما أوشكت على الانتهاء ذكرت للقارىء بأن الدعاء هو مخ العبادة ، فاذا كان لابد من الملجأ فليكن هو الله وحده ، فهو الذى يقضى الحاجات ويجيب دعوة الداعى لأنه قيوم السموات والارض واليه يرجع الأمر كله ، ومن هذا شأنه فواجب على المؤمنين أن يصبروا ويصابروا ويرابطوا ويتقوه لعلهم يفوزون بالفلاح فى الآخرة . وبذلك تلتقى السورة وتتصل أجزاؤها فى وحدة متحدة متماسكة .

ولعل فى تسميتها ما يشير الى هذا .. فان العادة قد جرت على أن الانسان يولد من أبوين ، وكون أسرة آل عمران يولد من نسلها عيسى عليه السلام بدون أب — فهذا خرق لتلك العادة فلابد أن تكون هناك قوة عليا تصرفت فيه ، تلك هى قوة الخالق سبحانه الذى يفيض الحياة على الناس جميعا ، وصفاته لابد أن تكون مغايرة لصفات المخلوقين ، اذن فهو واحد فرد صمد ، فكأنه يقول : ضع نصب عينيك (آل عمران) ففيها الدليل على وحدانية الله تعالى ، مصدر التدبير والفيض الحى القيوم الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء المصور فى الأرحام كيف يشاء ... الى آخره .

تقسيم السورة الى نجوم

١ — نزل صدر السورة الى بضع وثمانية آية تقريرا لما احتج به النبى صلى الله عليه وسلم على وفد نجران وفى هذا النجم تتحدث السورة عن شبههم وتأتى عليها واحدة اثر الأخرى ، حتى يظهر الحق جليا « فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون » .

٢ — ثم يأتى بعد ذلك النجم الثانى وفيه اثبات أن الدين الاسلامى هو دين الأنبياء جميعا ، وهو الذى ارتضاه الله لهذه الأمة ، وتورد السورة بعض الشبه التى أثارها أهل الكتاب قصد تفريق وحدة المسلمين ، وقد نبههم الله الى هذا الخطر ومن عليهم بالاسلام الذى جمعهم بعد شتات ، وعليهم ألا يلتفتوا لهؤلاء المغرضين بل عليهم ان يكونوا الجماعات التى تدعو لهذا الدين الذى ادخره الله لخير أمة أخرجت للناس ، وأما اعتماد هؤلاء على أموالهم وأولادهم وقوتهم فان هذا لن يغنى عنهم شيئا فى الدنيا ولا فى الاخرة ، ولن يضروا المسلمين بشىء الا بما كتبه الله عليهم ، وان الله تعالى هو الذى تكفل باقامة صرح الدين والحفاظ عليه .

٣ — ولتذكروا ما كان فى بدر وانتم قليل

مستضعفون أمام جحافل الأعداء الطغاة الجبابرة ، ومع ذلك فقد نصركم لأنكم لجأتم اليه وحده وما النصر الا من عند الله .

وفى هذا النجم الثالث من السورة يقارن سبحانه بين غزوتى أحد وبدر قائلا : انكم نصرتم أولا ثم خذلتم ثانيا لأنكم تخلفتم عن الرسول صلى الله عليه وسلم «حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة ... » الايات . ولقد كانت آيات بدر تنطق بأن النصر مع الصبر والتقوى وتفهم عدم النصر مع الخلو منهما ، فكانت حادثة أحد منكرة بحال شوهد العمل بالمفهوم ، وحادثة بدر متكررة بحال شوهد فيها العمل بالمنطوق . ومن هنا تظهر حكمة ورود غزوة بدر فى هذه السورة ، فان الشماتة بالمصيبة أدل على البغضاء والعداوة ، اذن فالواجب على المسلم ألا يوالى عدو الله . « ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » من سورة الممتحنة .

وذكر الغزوتين مناسب تماما لمقصود السورة، اذ المراد أنكم لما أخلصتم لله واعتمدتم عليه وحده نصركم ، ولما ركنتم الى غيره تخلف عنكم فخذلتم، وهذا هو مقام التسليم والانقياد لله وهو التوحيد الخالص .

ولقد كرر هذا المعنى فى السورة كثيرا مثل : **« وعلى الله فليتوكل المؤمنون — فاتقوا الله — وما النصر الا من عند الله — بل الله مولاكم وهو خير الناصرين — سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله — والله يحيى ويميت — ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون . وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » وغير ذلك كثير .**

٤ — ثم يذكرهم سبحانه فى نجم جديد بأن وجود الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم نعمة لا تعادلها نعمة ، وكيف ينسبون اليه الغلول وقد **تربى بينهم ونشأ معهم ، ثم انه صلى الله عليه وسلم كان سببا فى اخراجهم من الهلاك الى النجاة وتعليمهم العلوم النافعة فى الدنيا التى ستقودهم الى الفلاح فى الاخرة ، فكيف يظن به أو تحصل منه خيانة ؟** والهدف ترغيب المسلمين فى مجاهدة الكفار ومواصلة الكفاح .

٥ — ثم يقبل سبحانه على رسوله صلوات الله وسلامه عليه بالتسلية ، معقبا على موضوعات وردت فى السورة ، ومعقبا على آثار غزوة أحد ومن أهمها الالتفاف حول الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان به وايثاره على كل شىء حبيب الى النفس ، ولا ريب فهذا نابع من الايمان بالله تعالى .

٦ — واذا ما انتهى من تسلية الرسول عليه الصلاة والسلام أقبل على أوليائه بالنصح بما يتفق مع الحوادث التى وردت فى السورة ، حتى يختم سبحانه هذا النجم من السورة بأن له وحده السلطان القاهر يتصرف فى العالم كيف يشاء ، وفيه تهديد عظيم لمن انحرف عن الملة القويمة ووعد لمن اتبع ملة الاسلام .

٧ — ولما أثبت سبحانه لنفسه ملك السموات والأرض : ذكر ان خلقهما واختلاف الليل والنهار آيات دالة على كمال علمه وقدرته وعلى أنه واحد لا شريك له ، وذكر ما يجب على العبد ازاء دلائل الوحدانية وقد اشتمل على التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح ، وبذلك يصير العبد مستغرقا بكل جوارحه واجزائه فى العبودية — وما أحسن هذا الترتيب الذى يجذب الروح الى التفكر فى حكمة الحق سبحانه ، فقد كانت الاية الاولى فى الدلالة على كمال الوحدانية والثانية فى كمال الموحدين . وتأمل كيف قامت أدلتهم ورتبت : فذكر أولا الدلائل العقلية ثم السمعية ، ولذا كان التعقيب باستجابته دعاءهم وعدم ابطاله أعمالهم .

٨ — ولما ذكر سبحانه فى السورة أنواعا من الأصول والفروع : فمن الأصول التوحيد والرسالة والبعث ، ومن الفروع الحج والجهاد والربا والانفاق للجهاد وغيرها — ختم السورة باية جامعة لكل هذه الاداب ، وفيها الأمر بالصبر والمصابرة والمرابطة وتقوى الله التى هى جماع الخير كله ، ثم ذكر نتيجة هذه الأربعة وهى الفوز والفلاح بالوصول الى المطلوب فى الدنيا والاخرة.

واذا رجعنا المصابرة والمرابطة الى الصبر العام فقد صار المأمور به الصبر والتقوى ، فاذا علمنا أن الصبر عبارة عن احتمال المكروه ، والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغى ، أو هى ألا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك — اذا كان كذلك فقد أستجمع الأمر من طرفيه : الأدنى ثم الأعلى ، ومن هنا كانت الاية جامعة لكل خصال الخير .

ولا أكون مبالغا اذا قلت : ان الاية تقع من السورة موقع التذييل من الاية ، ولذا ترى هذه السورة قد أفاضت فى ذكر الصبر والتقوى .

واذا كانت السورة الكريمة تدور على الصبر والتقوى فان أساسهما التوحيد الخالص وهذا هو الغرض من السورة .

بقى أن نقول : ان ما ورد من آيات التشريع فى أثناء آيات العقيدة — وان كان الكل مرجعه الى التقوى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم — فان ذلك جرى على عادة القرآن الكريم من المزج بين الفنون المختلفة حتى لا يمل القارىء ولا السامع على كثرة الرد ، وهذا من اعجاز القرآن الكريم . وسبحان من هذا كلامه . والله أعلم ..

الحياة في ظلال التشريع الإسلامي

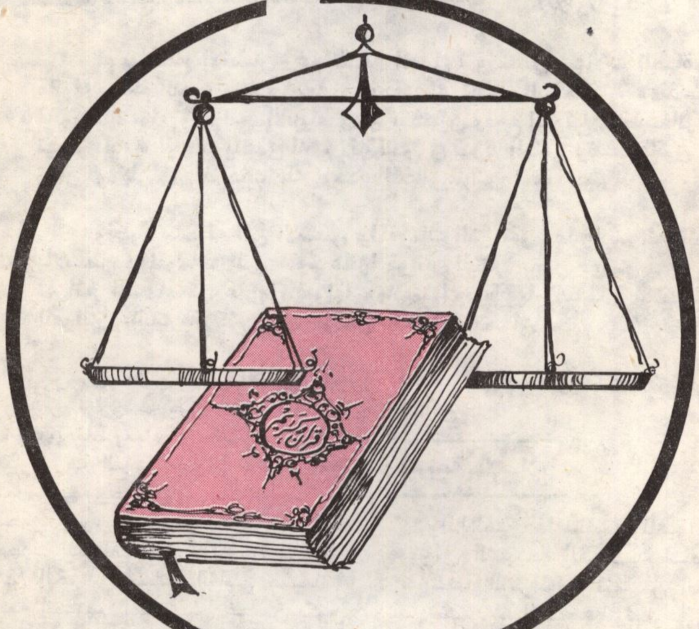

حول تطبيق الشريعة الإسلامية

فى شريعة الإسلام مصلحة الإنسان

الدكتور عبد الفتاح احمد الفاوى

لم يستطع الانسان رغم تقدمه الهائل ، فى شتى مجالات الحياة ، أن يقنن لنفسه قانونا يحتكم اليه ، ويتلاءم معه ، ويحقق له الخير والسعادة . ومنذ تمرد الانسان على قانون السماء وشرائع الأنبياء وهو يتخبط فى وضع القوانين وفلسفاتها . من غير جدوى تعود عليه ، أو خير يتحقق له ، لأنه ليس فى قدرة البشر وضع قانون ملائم لهم فى كل زمان ومكان . اذ ذلك لله وحده الخالق للبشر العليم بسرائرهم .

ونظرة بسيطة الى الأسس والمقومات التى تقوم عليها شرائع السماء وموازنتها بالأسس والمقومات التى تقوم عليها قوانين البشر يظهر بوضوح الى أى مدى تجمع شرائع السماء كل عوامل قبولها وملاءمتها وتحقيقها السعادة للانسان . وتتجمع فى القوانين البشرية كثير من عوامل الفشل والاخفاق .

فاذا كان الغرض من الشريعة أو القانون هو تحديد الخير والشر ، ورسم طريق كل منهما ، وتحديد الجزاء الذى يناط بفعل اى منهما او تركه ، فان الله باعتباره رب الناس جميعا ، ومستغن عنهم ، ومستعل عليهم يحدد فى شريعته الخير بما فيه مصلحة الجميع ويرسم طريقه بما يكون ميسرا للجميع . ويحدد الجزاء على فعله وتركه بما يناسب أثر هذا الخير فى صالح الناس جميعا ، ويلتئم مع طبيعة أنفسهم الغالية من غير أن يكون له غرض أو حاجة قريبة أو بعيدة فى ذلك . ومن غير مراعاة لصالح طائفة دون طائفة .

أما الانسـان فى تقنينه فهو محدود بالبيئة ، ومحدود بالوراثة ، ونوع الثقافة ، ونوع المعرفة . واذا كان محدودا بهذه المصادر فهو منفعل بها ، وتنعكس هى بالتالى فى تحديده للحياة وأهدافها ، وتتبلور أخيرا فى مواد القانون الذى يضعـه . يضاف الى ذلك أن واضع القانون غير معصوم من الخطأ وشعور النـاس بعدم عصمته من الخطأ سيؤدى بهم الى التهاون فى التمسك بالقـانون الوضعى . فهى من ثم فى حاجة الى سلطة ورقابة لتنفيذها . أما بالنسبة للشريعة فان ضمير الانسان الذى ينشأ عن الخشية من الله هو بمثابة السلطة التنفيذية للشريعة . ولكنها سلطة تنفيذية ذاتية ليست خارجة عن ذات الانسان صاحب الضمير الدينى .

شريعة الاسلام :

واذا ثبت هذا بالنسبة للشرائع السماوية عامة فهو فى الشريعة الاسلامية أشد واثبت ، لأنهـا خاتمـة الشرائع ، فيها من الخصائص والميزات ما يضمن صلاحية تطبيقها على جميع الناس فى كل زمان ومكان حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ومن يك فى شك من ذلك فلينظر الى الدول الاسلامية التى طبقت هذه الشريعة ليرى مدى ما كانت عليه من أمن واستقرار ، وليعط فرصة التطبيق — الصحيح والكامل — لهذه الشريعة ويحكم لها أو عليها .

وبقدر السعادة التى تملأ قلوبنا مما نسمعه من العزم على تطبيق الشريعة الاسـلامية فى بلادنا تمتلىء هذه القلوب منا بالتساؤل عن الأسباب التى تحول أو تعوق هذا التطبيق . والذى تجعل المرء يضرب فى بيداء هذه الأسباب ذات الشمال وذات اليمين . فقد يظن أنه ربما كان من أهم هذه الأسباب :

المساواة :

مبدأ المساواة : فى هذه الشريعة لأنها لا تفرق بين شريف وحقير ولا بين غنى وفقير . فالكل أمامها كأسنان المشط . وقد نطقت الشريعة بهذا واضحا وأكدته فى كثير من المجالات . أكدته فى مقام الواجبات وفى مقام الحقوق . ففى مقام الحقوق أعطت للفقراء وعامة الناس حقهم « اخوانكم خولكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس » فهى ترفع من هؤلاء بما أعطتهم من حقوق . وفى مقام الواجبات أوجبت على الكبراء والعلية من القوم أن يتساووا مع غيرهم أمامها « والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » . « انما أهلك من كان قبلكم انه اذا كان فيهم الشريف تركوه واذا كان فيهم الضعيف قطعوه » فهى هنا تنزل بالسادة والكبراء فى مجال التطبيق الى مقام العامة .

ولنقف هنا وقفة قصيرة مع هذا السبب فنقول : أمن العيب فى الشريعة أن تساوى بين الناس أمام تطبيق موادها ؟

ان منطق الشريعة واضح وصريح فى ذلك فكما ساوت بينهم فى العبادات وفى العقائد ساوت بينهم فى الحدود والمعاملات . ولكى نعرف قيمة هذه المساواة علينا أن نتخيل أننا الضعفاء من الناس لنرى كيف يكون موقفنا من المساواة وعدمها عندئذ !!

ان الشريعة الاسلامية عندما شرعت هذه المساواة أرادت أن تمتص الحقد والغضب والكراهية وكل المعانى الرذيلة من قلوب الفقراء على الأغنياء . كما أنها من جهة أخرى أرادت أن تنتزع الكبر والتعالى والتجبر من قلوب الأغنياء على الفقراء .

ولنتقدم فى التحليل خطوة فنقول ان مخالفة بعض الناس للشريعة هى التى تجعلهم يخافون من تطبيقها .. فهم يخافون لعلمهم أنهم مخالفون لها وهم يستمرءون هذه المخالفة . وهم يعرفون أن تطبيقها سيحول بينهم وبينها — وستطهرهم الشريعة من المخالفات وهم يكرهون الطهارة .

هذا هو — لعمرى — السبب الأول والأهم ولكنه ليس هو السبب الوحيد بطبيعة الحال فهناك العديد من الأسباب منها على سبيل المثال :

ما تصور به هذه الشريعة من أنها عبارة عن عقوبات فقط فهى لا تعدو عند البعض أن تكون اقامة الحدود من قطع يد السارق ورجم الزانى وجلد الشارب تعرف ذلك من تلك المناقشات التى تدور حول تطبيقها والتى ترى أن فيها من القسوة والوحشية ما يجعلها غير لائقة بالعصر أو ما يجعل الاخرين يرموننا بالوحشية وما الى ذلك من الكلام الذى يدل على الجهل والقصور . **لأن الشريعة الاسلامية ليست حدودا فقط وانما هى شىء أعم واسمى من ذلك** وآخر شىء فى الشريعة هى تلك الحدود . فهى الحلقة الأخيرة من حلقات تطبيقها . ومن عجب أن توضع أولا فنبدأ من حيث تكون النهاية .

فالشريعة لم تضع الحدود الا بعد أن نظمت الحياة فى المجتمع الاسلامى **فأحيت فيه الفضيلة وكرهت اليه الرذيلة ، وهذبت أخلاقه ، وشذبت أهدافه ، وتعهدته بالرعاية الخلقية ، والعناية الروحية : ووضعت له أدابا وسلوكا ، وحددت له معالم وحدودا وبالجملة أنبتت فيه كل عوامل الخير** واجتثت منه كل عوامل الشر — عندئذ — أو بعدئذ وضعت الحدود . والناظر فى كتاب الله يجد أن آيات الحدود مدنية — يعنى أنها نزلت بعد أن اطمأنت الشريعة الى استقرار مبادئها وتشبع الناس بآدابها وسلوكها . عندئذ وضعت الحدود كزواجر لمن لم يزدجر الا بهـا . وقبل أن تضع هذه الزواجر والعقوبات وضعت الدوافع والمثوبات لمن سلك الطريق المستقيم .وعلى ذلك فالكلام عن الشريعة على أنها حدود كلام خاطىء أو أبتر . لأنه ان صح أن نقول ان الحدود من الشريعة فلا يصح أبدا أن نقول ان الشريعة هى الحدود أو الحدود هى الشريعة . فلنتدبر هذه النقطة حتى لا تسىء الى الاسلام من حيث نريد الاحسان اليه .

ومن هذه النقطة يتولد عامل ثالث من العوامل المعوقة لتطبيق الشريعة عندنا وهو كيفية هذا التطبيق .

فبناء على التصور الخاطىء بأن الشريعة هى الحدود نتصور أن التطبيق ما هو الا اضافة بعض مواد أو تغيير بعض مواد فى القانون الموجود الآن . ولكن هذا خطأ . وخطأ بالغ لأن الشريعة الاسلامية كل متكامل كالجسد الواحد . اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء . فلو أهملت الشريعة فى مجال أثر هذا الاهمال فى غيره من المجالات ويصبح التطبيق جورا مع أنه العدل كل العدل .

فالتطبيق يجب أن يعم جميع الجوانب فى وقت واحد . **يجب أن يكون فى العقائد والعبادات والمعاملات معا** . ويجب أن يكون فى **البيت والمدرسة والشارع ومحل العمل جميعا** . ويجب أن يبدأ **بالمثوبة قبل العقاب** . فلا ينبغى — مثلا — أن نتحدث عن الشريعة وتطبيقها فى المعاملات ولا نتحدث عنها فى العبادات . لأن العبادات طهارة للقلب وراحة للنفس وصادة عن الرذيلة ومشجعة للفضيلة ..

ويحضرنى فى هذا المقام قصة قرأتها فى كتب الحديث لا أرى بأسا من ايرادها لنتبين الى اى مدى تساعد العبادات فى الاسلام عن التخلى عن كثير من الرذائل وهى قصة صحابى كان يواظب على الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع ذلك يقترف كثيرا من المنكرات فلما بلغ أمره الرسول صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه أتركوه فان صلاته ستنهاه يوما ما . فما لبث هذا الصحابى أن عرف أن أمره وصل الى الرسول صلى الله عليه وسلم . فذهب اليه معترفا ومقرا بانه لا يستطيع أن يتخلى عن كل هذه المنكرات . فطلب منه الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتخلى عن الكذب فأجابه الرجل الى طلبه .. ولكنه بعد ذلك كان كلما هم بارتكاب محرم يتدارك نفسه ويقول لها :

وماذا أفعل اذا سألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ان كذبت فقد خنت عهده لاننى عاهدته على الا اكذب وان اعترفت أقام على الحد .. وهكذا اخذ الرجل يتخلى عن رذائله واحدة واحدة حتى أقلع عنها جميعها .. وصدق الله اذ يقول : **« ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر »** .

وهذا شأن العبادات كلها وليس شأن الصلاة وحدها . فالزكاة تزكى النفس من رذيلة البخل والشح قبل أن تزكى المال من الدنس . والحج رحلة الى الله قبل أن يكون رحلة الى الكعبة . والصيام تطهير للنفس وامتناع عن المحرمات قبل أن يكون امتناعا عن الأكل والشرب .. وهكذا ..

فاذا أردنا أن نطبق الشريعة فلنبدأ بالعبادات ونحث الناس عليها ليس بخطب الوعاظ فى المساجد فحسب . **بل بكل وسائل الدولة وامكاناتها .** وذلك — مثلا — يقتضى اعادة النظر فى مناهج التعليم واعادة رسم خريطة هذه المناهج بحيث يكون للدين فيها مكانه ومكانته . **كما يقتضى اعادة النظر فى وسائل الاعلام مسموعة ومرئية ومقروءة** ثم بعد ذلك — لا قبله ولا معه — يلزم الناس بها . فيعطى للصلاة أثناء العمل أهميتها بأن يكون لها زمانها ومكانها . ويعاقب المفطر فى رمضان . ولا يحتج بأن فى مجتمعنا من هو غير مسلم لأن اخواننا المسيحيين اكرم من ان يؤذوا شعور المسلمين اذا رأوا المسلمين أنفسهم يحترمون هذا الشعور .

كما يجب الالتزام بالآداب والسلوك الاسلامى فى الشارع وفى الأماكن العامة وفى كل المجالات . حتى يعيش الجميع فى جو اسلامى ويشعر الجميع بأن الاسلام رحمة وحماية لهم من رذائل كانت تلتهب أجسادهم وعقولهم وكانوا ينشدون السعادة فيها لأنهم ضلوا طريق السعادة الحقة .

كما يجب أن يقضى على الخمر شربا وبيعا وصنعا وتطهر الشوارع من تلك الأماكن التى تقدم الرذيلة باسم الفن . ناهيك عن الكذب والرياء والرشوة والقذف والظلم والمحاباة . وما الى ذلك من رذائل يعج بها مجتمعنا لبعده عن الشريعة مما جعل الفضيلة تنحسر فى أضيق الحدود وتعيش بيننا عيشة الغرباء .

أما حديث القسوة والوحشية التى طالما هوجمت به الشريعة الاسلامية فجعجعة من غير طحن لأنا لسنا بأرحم بالخلق من خالقهم ولا أعلم بما يضرهم وينفعهم من بارئهم .

فالقسوة التى فى الحدود — ان كان ثمة قسوة — ان كانت قسوة على الفرد فهى رحمة للمجتمع . وان كانت شرا بالنسبة لواحد فهى خير بالنسبة للكثيرين . فعندما يعلم السارق ان يده ستقطع . أتراه يقدم بسهولة على قطع يده أعنى على السرقة التى سيترتب عليها قطع يده. أم أنه سيتردد كثيرا وكثيرا جدا . وعندئذ ستقل نسبة هذه الجريمة بدرجة كبيرة خوفا من ذلك الحد . بعكس ما لو أيقن السارق أنه فى مأمن من ذلك فانه سيتضاعف نشاطه وسيتضاعف عدد مرتكبى هذه الجريمة وقل مثل ذلك فى كل المخالفات .

أفليست الحدود اذن خيرا للمجتمع بل خيرا للفرد نفسه لأنها تمنعه عن ارتكاب المخالفات عندما تمد له عصا التهديد بتوقيع الحد . وما أروع وأحكم قوله تعالى : **« ولا تأخذكم بهما رأفة »** حتى تكون عصا التهديد أقوى فيكون الخوف منها أشد والتخلى عن الجريمة اكبر .

فالقسوة فى الحدود قسوة ظاهرية وحسبك أن ترجع الى معدل الجريمة فى البلاد التى تقيم الحدود ومعدلها فى البلاد التى لا تقيمها لتعرف الى اى مدى يكون الأمن والاستقرار فى اقامة هذه الحدود .

وكيف نتباكى على القسوة فى قطع يد السارق مثلا ولا نبكى على المسروق منه وقد تسبب له السرقة ما هو أشد من قطع اليد .

انها لنظرة عوراء زائفة تلك التى ترمى الحدود الاسلامية بالقسوة اللهم الا اذا كان للقسوة مفهوم آخر عندهم . ولاتعاب القسوة فى الشريعة الاسلامية الا كما يعاب الاعوجاج فى القوس

والظلال فى الصورة . فكما أن اعتدال القوس فى اعوجاجها وجمال الصورة فى ظلها فكمال الشريعة فى حدودها .

وقد يلجأ أحيانا الى التواضع الكاذب فنتظاهر بعدم القدرة أو الرضى على الزام النـاس بشىء لا يريدونه . وانه ليس من الحميد الاجبار على أشياء فى عصر يتغنى بالحريات ونسينا ان المجتمع ملتزم من قبلنـا بأشـياء كثيرة مشروعة وغير مشروعة . وأن الزام المجتمع بشرائع دينه ليس فيه تناقض مع اى نوع من أنواع الحريات اللهم الا حرية الفوضى والفساد .

ولا يقـال ــ أيضا ــ ان اقـامة الشريعة مسئولية الأفراد وليست مسـئولية الدولة أو مسئولية رجال الدين وليست مسئولية الحكومة لأننا وان كنا لا ننكر قيمة الفرد والأسرة والتوعية الدينية فى نجاح تطبيق الشريعة الاسلامية فاننا لا نعفى الدولة من المسئولية . والرسول صلى الله عليه وسلم يقـول « ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

واخيرا فان الذين طالمـا انتقدوا الشريعة الاسلامية من غير المسلمين بدءوا يدركون أخيرا ــ أو يضطرون الى الاعتراف لأنهم يدركون ذلك من ذى قبل ــ قيمة الشريعة الاسلامية فى اقامة مجتمع آمن سعيد ومدى جدواها فى حل مشكلات العصر فشرعوا فى تطبيق بعض مبادئها فى بلادهم فأقرت بعض الكنائس ــ اخيرا ــ مبدأ الطلاق كما أنها بصدد اقرار مبدأ تعدد الزوجات بعد ان كانت ترفض ذلك رفضا باتا لا لخطأ فيه وانما عنادا للاسلام ومعاداة للمسلمين .

وبعد : فهذه هى الشريعة الاسلامية التى أوصانا الرسول بالتمسك بها وشدد عليها الوصية عندما قال : تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى ابدا . كتاب الله وسنة رسـوله .

فبين أن الرشد والرشاد والأمن والأمان فى التمسك بالشريعة وان الزيغ والضلال فى التخلى عنها « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . وانا لفى انتظار اليوم الذى ترى فيه الشريعة الاسلامية النور وتخرج فيه الى دنيا الواقع وتعطى فرصة التطبيق فى عصر السلام والحرية والرخاء . فى عصر دولة العلم والايمان فمن ابسط معالم الايمان تطبيق ما جاء به من شريعة والأمل كبير فى أن يأتى ذلك اليوم قريبا عندئذ سنأسف مر الأسف على أن تباطأنا فى تطبيق هذه الشريعة وحرمنا انفسنا من نعيمها كل ذلك الوقت وعندئذ سنرى بل سيرى العالم كله أنها خير علاج لأمراض المجتمع وخير بلسم لجروحه وآلامه . وأنها الطريق الى مجتمع انسانى مثالى أثنى الله على نبيه بقوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

قال الله تعالى

« ان الله وملائكته يصلون على النبى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسـلموا تسليما » الاية ٥٦ من سورة الأحزاب .

★★★

قال الامام القرطبى فى تفسيره : الصلاة من الله عليه صلى الله عليه وسـلم . رحمته ورضوانه . ومن الملائكة الدعاء والاستغفار . ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره اهـ

★★★

قال صلى الله عليه وسلم « من صلى على واحدة صلى الله بها عليه عشرا » رواه مسلم .

مقام

ومقال

حاجتنا .. إلى الصدق مع النفس وأدب الحوار

ليس هناك وقت أحوج ما تكون فيه الأمة الاسلامية الى الصدق مع النفس مثل هذا الوقت .

الصدق مع النفس فى ادراك الحقائق والتعامل معها ، لكى تضع شعوبها ومصائرها الموضع الصحيح ، ولكى تواجه التحديات مواجهة علمية متانية ، بدلا من الضجيج والارهاب والانفعال والزيغ عن الأهداف الحقيقية وتخدير الشعوب واستغلالها .

وكلنا يعلم ان اسرائيل بدأت أول ما بدأت بالتمنى والالحاح فى أن يكون لليهود فرصة للاقامة فى فلسطين مجرد فرصة للاقامة ، أو وطن قومى ، دون أن تعلن أنها تريد تكوين دولة وراح المهاجرون اليهود من آفاق الأرض يفدون على فلسطين بحيث تصاعد عددهم من ١٧٠٠٠ سبعة عشر ألفا . الى مليونين فى نصف قرن وبدأ التخطيط الذكى والمتانى حتى استطاعت أن تهزم العرب ، بطريقة أو بأخرى فى ثلاثة حروب (٤٨ ــ ٥٦ ــ ٦٧) كانت اسرائيل فيها صادقة مع نفسها على حين كان العرب أبعد ما يكونون عن ذلك .

كانت اسرائيل تستغل كل دقيقة من الوقت لبناء نفسها وتكوين جيشها واعداد العدة للمواجهة فى أية لحظة ، **فى الوقت الذى كان حكام العرب وأحزابهم القومية يهدرون امكانات شعوبهم ويضيعون الأعمار عبثا ويهربون من مواجهة اسرائيل فى أى لحظة** ، ويخدع كل منهم أمته بأنه هو حامى الذمار او هو الصامد المتصدى ، والشعوب الغافلة تتحمل مثل هذه الاوزار ، لأنها هى التى تسمح بظهور مثل هذه الطبقة من الحكام واستمرارها .

ولقد آن لهذه الشعوب وحكامها بعد أكثر من ربع قرن حققت اسرائيل فيه ماحققت أن تعود الى رشدها وتدرك الحقائق وأول ادراك الحقائق أن تسأل الشعوب نفسها وحكامها بصراحة :

هل المعادلات الدولية القائمة الان تسمح بازالة اسرائيل ؟

ــ ان القوتين العظميين تضمنان وجود اسرائيل بالاضافة الى أن أمريكا ترى فيها حارسا لمصالحها فى المنطقة ، وتعتبرها امتدادا لها .

ــ ان روسيا تفرض حظر السلاح على القوة التى تستطيع مواجهة اسرائيل مواجهة فعالة ، وهى مصر ، منذ ما قبل حرب رمضان واكتمل الحظر بعد هذه الحرب .

ــ ان كثيرا من اخواننا العرب لا يمدون دول المواجهة خاصة مصر بما يكفى لادارة الصراع بل ان هؤلاء ــ هداهم الله ــ لا يمدون المعركة الا بفضل ما تجود به أنفسهم ، وبما هو أقل كثيرا مما يستطيعون اداءه .

والدليل على ذلك أن بعض هؤلاء عرضوا مبلغا كبيرا عدة مليارات من الدولارات اذا رجعت مصر عن مبادرتها للسلام .

والعقل العربى ازاء هذا العرض يتهم . ويسال :

أين كانت هذه المليارات قبل المبادرة ؟

ولماذا لم تقدم هذه الدول هذا المبلغ من قبل ، رغم الطلب المتزايد ، والالحاح المستمر .

ان أى مواطن يحترم نفسه لم يكن ليرضى لحكومته ان تتراجع أمام العالم عن عرض قدمته أمام التلويح باى مال والا كانت هذه الحكومة تبيع قرارتها وارادتها .

ثم ان العقل العربى يستغرب كثيرا لهذا العرض .

لو قبلت مصر الرجوع عن مبادرتها لقاء مبلغ من المال ألا يصور هذا القبول مصر حينئذ كأنها اضطرت الى اعلان السلم لأنها لا تستطيع الحرب ولا تتحمل تكاليفها ولو كانت تتحمل تكاليفها ما أقدمت على السلام ويكون ذلك منها استسلاما لا سلاما وذلك شىء لا يليق أن تظهر به أمة راقية لها تاريخها كمصر .

وهل كان يرضى العرب أن تظهر مصر بمظهر المستسلم الطالب للسلام حتى اذا أعطى المال رجع عن رغبته وفضل الحرب ومن ذا الذى يحترم كلمة مصر بعد ذلك حربا أو سلاما أليست مصر منهم وهم من مصر ؟ فالدم واحد والكرامة واحدة لا تتجزأ .

واذا كانت هذه بعض حقائق الموقف فان الصدق مع النفس يفرض :

- **ادراكا واعيا لهذه الحقائق .**
- **أدبا فى ادارة الحوار .**
- **حكمة فى اتخاذ القرار .**

ولنا فى أصول الاسلام وتاريخه الطويل الحافل بالمواقف المتنوعة فى الشدة والرخاء والسلام والحرب ما نستمد منه الزاد ، من الحكمة والأدب وسعة الادراك .

ومن سعة الادراك ان المعاهدات عبر التاريخ الانسانى كله انما تستمد قيمتها ودوام احترامها، مما بعدها ، ومن الممارسات التى تتلوها وتترتب عليها .

فليست العبرة بالحبر والأوراق ، انما العبرة بالسلوك والمواقف .

وبهذا المنطق كنا نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يقدم على عقد المعاهدات مع مشركى مكة تارة ، ومع يهود المدينة تارة أخرى .

وبهذا المنطق نفسه كان القادة الاسلاميون البارزون يبرمون العهود والمواثيق ، كما فعل صلاح الدين الأيوبى مع ريتشارد قلب الأسد ، ملك الصليبيين.

ونحن نسأل الآن :

أين مشركو مكة ؟

وأين يهود المدينة ؟

وأين ريتشارد قلب الأسد ؟

وأين المعاهدات مع المشركين واليهود والصليبيين ؟

ان كل شىء مرهون بما بعده . ومرتبط دوامه به .

اذا كان منطق التاريخ يقتضى حسن الادراك فان أصول الاسلام ذاتها تقتضى حسن الأدب فى الخلاف .

واذا كان ببعض الاخوة العرب غضب على مصر لأنها سارت فى طريق اداها اليه الاجتهاد ، بعد تجارب ومواقف **فلم يكن من أدب الخلاف أن نملأ الجو بالسباب ونقطع ما بيننا بصور القطيعة .**

ولماذا السباب والقطيعة ؟

لماذا السباب والقرآن الكريم يحرم سب الكافر اذ يقول سبحانه « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » .

فكيف بسب شعب مسلم وحكومة مسلمة تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .

لماذا السباب والله سبحانه يأمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين « وانا أواياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » اى ان الحق فى جانب واحد ، عندنا أو عندكم مع أن القضية واضحة والحق فى جانب الرسول والمؤمنين ولكنه أدب الحوار مع المخالفين ، حتى المخالفين فى العقيدة وأصول الدين .

ولم يصل الخلاف بين العرب الى حد الخلاف فى العقيدة أو الخروج على اصول الدين .

بل أن ما نسمعه من سب وشتم يعكر الأجواء العربية ، ويفقدها احترام العالم للعربى ، **هو أولى بأن يكون خروجا على أدب الدين ، الذى يامر بالجدال بالتى هى أحسن والاجتماع الى كلمة سواء .**

يقول تعالى « وجادلهم بالتى هى أحسن » ويقول « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن » ويقول « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

حتى عند التولى والاعراض لا يفعل المسلم الا أن يسجل موقفه **« اشهدوا بأنا مسلمون »** فلا يعتدى ولا يشتم ولا يلعن أو يسب ، لأنه متحضر بحضارة الاسلام .

كل ذلك فى الجدل حول قضية العقيدة ، **فكيف بالجدل فى قضايا دون ذلك مما تختلف فيه الانظار فى السياسة أو الحرب والسلام .**

ليس هناك مبرر اذن لما نسمعه من بعض الاذاعات من فحش فى القول ، وجهر بالسوء ، ولعل أدب الاسلام عند العقلاء يغلب الفحش فى القول والجهر بالسوء

ثم لماذا العقاب أو محاولة العقاب بعبارة أصح هل تعاقبون مصر يا اخوة العرب مصر التى طردت الهكسوس وردت التتار وقهرت الصليبيين وتخلصت من الروس ، ولم تقصر حتى الآن فى استعادة حقوق الشعب الفلسطينى ، مثل ما يفعل آخرون .

مصر التى كانت موجودة هنا تؤدى دائما دور الدفاع عن العروبة والاسلام .

انكم لا تعاقبون مصر ، لأنها أكبر من العقاب كل ما تفعلونه ، يا اخوة العرب ، أنكم تحفرون الأخاديد فى نفسية الشعب المصرى نحوكم .. هذا الشعب الذى يؤدى دوره رغم كل شىء من أجل تحضيركم فى ميادين العلم والثقافة وسائر ألوان البناء الحضارى .

ونخشى أن تصيبكم دائرة لا ترون فيها منقذا سوى مصر ، فيقال لكم ما قال المثل العربى القديم « الصيف ضيعت اللبن » .

كان العالم الاسلامى يتمنى أن يكون رد الفعل عندكم أن ترسموا خطة ايجابية تعيد الحقوق الى أهلها بأسرع مما تفعل مصر .

ولكنكم اجتمعتم يضغط بعضكم على بعض ويهدد بعضكم بعضا لمواجهة مصر لا مواجهة اسرائيل ومن وراءها وليتسابق كل منكم لاثبات أيهم بذلك زعيم .

انها كلمة هادئة من قلب عربى مسلم يرى فى مصر وطنه الخاص ، ويرى فى العالم الاسلامى وطنه العام .

أولى بنا جميعا أن نكون صادقين مع أنفسنا فنصيخ بصوت العقل والحكمة ونبقى على ما بيننا من ود ، ونتفاهم فيما يواجهنا من تحد ، على منهج سواء ، وطريق عف مستقيم .

عبد الحليم محمود

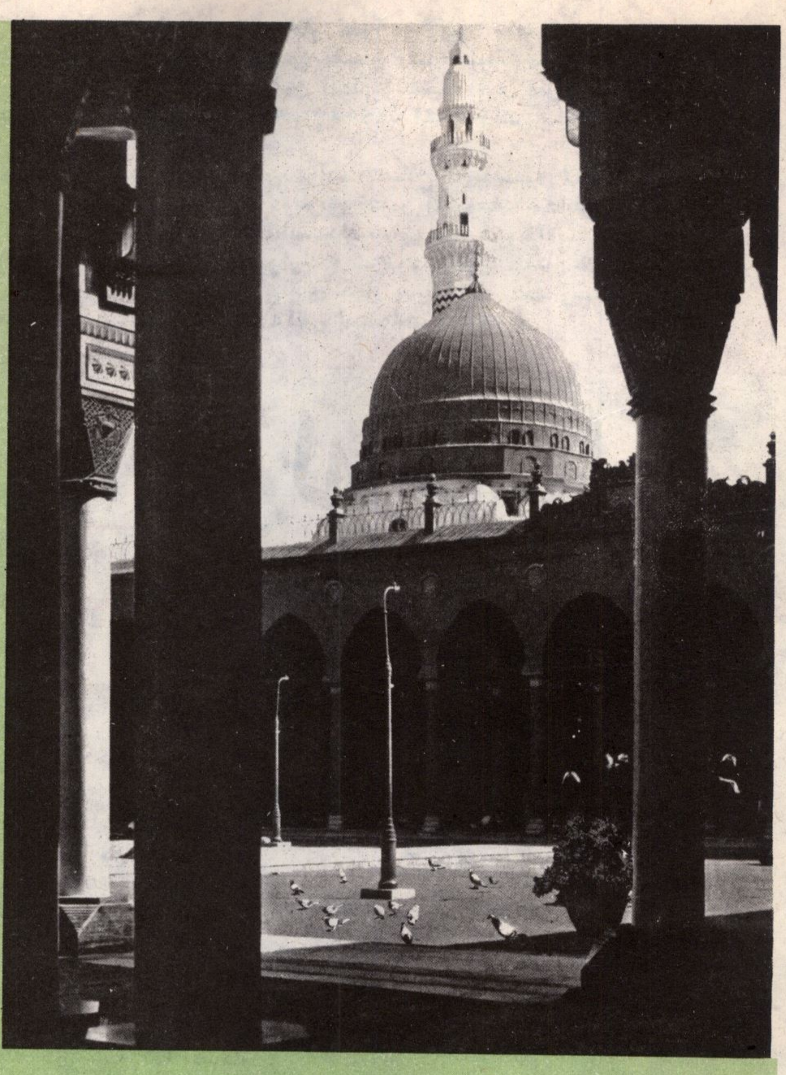

السيرة

الانسان وهو يمضى فى طريق حياته ،يلاقى كثيرا من الآلام ، وتعترضه فى مسيرته ألوان شتى من المتاعب ، وذلك غير مستغرب لمن يتصدى لاعادة صياغة مجتمعه ، لاسيما اذا كان هذا المجتمع قد ردى الى الهاوية من الظلم والفساد ، فى مثل هذا المجتمع تجد المستفيدين من الأوضاع الموجودة ،ومن أصحاب المصالح التى يحققونها فى ظل هذا الفساد ..

لهذا نراهم يقاومون كل دعوة من دعوات الاصلاح ، ويتصدون لأصحاب هذه الدعوات بالايذاء والسخريه والاستهزاء ،وطريق تحرير المجتمعات مخاطر . أرضه أشواك ، وسماؤه صخور ، ومعالمه دماء الشهداء .. ووجدت دعوة الاسلام ـ وهى الدعوة التى جاءت لتكريم الانسان ، وتحرير ارادته ـ وجدت قوى طاغية ، صبت كل ما يملأ قلبها من حقد وغضب على الداعى الذى حمل مسئوليتها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الفئة المؤمنة التى استجابت لدعوته .

المضمون الاجتماعى للإسراء والمعراج

الدكتور عبد الرحمن النجار

لقد لحقهم أذى شديد،تحملوه بايمان راسخ، كان الكفار يحاربون التاجر المسلم فى تجارته ، واذا كان الرجل ضعيفا عدوا عليه بالضرب والتجويع حتى ما يقدر أن يستوى جالسا من شدة التعذيب ..

ويروى البخارى أن خبابا ـ رضى الله عنه ـ قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو متوسد ببردة وهو فى ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة ـ فقلت : ألا تدعو الله ؟ فقعد وهو محمر الوجه . فقال : قد كان من قبلكم يمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم وعصب ، ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت ما يخاف الا الله عز وجل والذئب على غنمه . ولكنكم تستعجلون » وتصاعد الايذاء الى الحد الذى حوصر فيه الصحابة فى شعب بنى هاشم حصارا اقتصاديا مدة ثلاث سنوات ، لايبيع الأعداء لهم شيئا ولايبتاعون منهم ، حتى ذوت أعواد الرجال ، وجفت أثداء النساء ، وهزل الصغار ، فكانوا لا يجدون القوت والكساء !!

عام الحزن :

وجاء عام سمى بعام الحزن ، الذى زاد من هم رسول الله ، وتحمل فيه ألما نفسيا عنيفا ، وذلك حين توفيت زوجته الوفية المخلصة ، التى عاشت معه هذا الزمن الطويل ، واحترمت منه قبل البعثة خلواته وتأملاته ، وتحملت معه بعد البعثة متاعب قومه وايذاءهم ـ خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها .. ثم مات عمه الحبيب أبوطالب الذى يحميه، والذى كانت تهابه العرب وتجله . وكانوا يفكرون اذا ما أرادوا ايذاء رسول الله ، كانوا يفكرون فى غضب أبى طالب، فيترددون كثيرا فيما اعتزموا عليه من عدوان على الرسول الكريم وبعد وفاته صبوا على الرسول جام غضبهم مما جعله يخرج من مكة الى ثقيف بالطائف فلعل جوها الطيب ، وهواءها العليل ونسيمها البليل ، وأرضها الخصبة أضفى على قلوب أبنائها رقة وأدبا . تجعلهم يتقبلون الدعوة الجديدة ، أو على الأقل يتركون صاحبها وشأنه ، وهكذا تكون البيئة الطبيعية مؤثرة فى سلوك الأفراد وتصرفاتهم .. ولكنه فوجىء بما لم يكن يتوقع .. فوجىء بأن قلوب أهل ثقيف فيها قسوة أهل مكة ، بل وجدها كالحجارة أو أشد قسوة ، فكان التعذيب عنيفا الى المستوى الذى أسال من رسول الله الدماء ، وحينئذ وجه ناظريه الى السماء ، وناجى ربه :

« اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين . وأنت ربى ، الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى ؟ أم الى عدو ملكته أمرى ؟ ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى ـ أعوذ بنور وجهك الذى

اشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بى غضبك ، أو يحل على سخطك — لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك » .

عودته صلى الله عليه وسلم الى مكة :

ويعود الى مكة ، ويشاء الله أن يطمئنه الى أنه بعينه — وأنه موضع رضاه وحبه ، وأن الدنيا لو اجتمعت عليه ، فربه معه بحفظه وكلاءته ، وبرعايته وتأييده ، لأنه مع الله ، ومن كان مع الله كان الله معه ، ومن كان معه الله فهو القوى الذى لا يضعف ، العزيز الذى لا يذل — الغالب فلا يهزم ، السعيد فلا يشقى أبدا .

فيدعوه الى رحلة بعيدة عن الأرض . الى الاسراء والمعراج .. الاسراء من المسجد الحرام فى مكة الى المسجد الأقصى فى بيت المقدس ، والمعراج من بيت المقدس الى السموات العلى وسدرة المنتهى . وذلك العالم الغيبى المجهول لنا ، وسجلت هذه الرحلة سورة مكية ، سميت باسمها وهى سورة الاسراء ، ومفتتحها قول الله تعالى :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » .

لقد راى آيات كثيرة . ومما رآه اجتماعه مع اخوانه الأنبياء فى صلاة واحدة ، اجتماع صعد فوق حدود الزمان والمكان ، ليضم الانسانية ممثلة فى قادتها الكبار رسل الله وأنبيائه . ليعلنوا المبايعة بخاتمهم الذى جاء بالدين المتمم لرسالتهم ، والذى قال فيه ربنا تبارك وتعالى :

« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما » . هذه المبايعة تؤكد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فانا اللبنة وأنا خاتم النبيين » .

وقد قدموه فى المسجد الأقصى فصلى بهم اماما ، ليؤكدوا هذه المكانة التى خصه الله بها ، ويؤكدوا أنه النبى الخاتم . وأن دينه هو الدين المتمم للرسالات السماوية كلها ، وأنه الدين الباقى الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، حسبما قال تعالى :

« اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

ان الآية الكريمة التى افتتحت بها سورة الاسراء تذكر قوله تعالى : « لنريه من آياتنا » .

وهذا تقرير من الله تعالى بأنه اراه ما أراد أن يريه له من آياته ، لتكون نموذجا لصورة المجتمع الجديد ، الذى سيبنيه بعد ذلك فى المدينة بعد أن يهاجر اليها ، ولتؤكد كذلك الصورة التى يجب أن تكون عليها المجتمعات المؤمنة فى كل زمان ومكان .

لقد رأى — رسول الله ثلاثة مشاهد تحارب الاستغلال ، وتدعو الى اقامة المجتمع على أساس كريم من التكامل وأداء حق الله فى المال :

المشهد الأول : مشهد أكلة مال اليتامى ، هؤلاء الذين يستغلون ضعفاء فقدوا عائلهم ويعيشون فى الحياة مضيعين وقد ينسون فى زحمتها ، وانهم كمن نزل الى الماء بلا ذراع ، أو كسفينة تتلاطمها الأمواج بلا شراع . صور له مشهد من يأكل أموالهم ، بمشهد اقوام لهم شفاه كمشافر الابل يلتقمون النار فى أجوافهم فلا تستقر فيها ، وفى هؤلاء يقول القرآن الكريم :

« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله ، وليقولوا قولا سديدا ، ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » . هذه الصورة التى تصور استغلال الصغير تظهر فى هذا المشهد المثير لينحيها المجتمع عنه . فالمجتمع المؤمن مجتمع تسوده العدالة والرحمة والعطف على المستضعفين ، مجتمع لا يعيش الواحد فيه لنفسه ويقول : أنا ومن بعدى الطوفان ، ولكنه يعيش محبا للخير ، ناشرا له ، مجاهدا فى سبيله ، مؤكدا بصورة عملية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين — وجمع بين اصبعين السبابة والوسطى — » .

المشهد الثانى : مشهد الذين يستغلون المحتاج الذى يقع فى ضائقة ، وكل انسان عرضة لأن يجد فى طريق حياته ضوائق ، وأن تفاجئه الأزمات ولم يكن معها على موعد حتى يعد نفسه لمواجهتها فكيف يقابلها وحده ؟ انه عضو فى جماعة ، ومن شأن الجماعة المؤمنة أن يسودها روح التعاون النبيل والايثار الجميل والتكافل الاجتماعى . انها الاشتراكية التى يدعو اليها أصحاب المذاهب الحديثة ، بل تزيد عليها بأنها اشتراكية قائمة على الايمان بالله — فهى اشتراكية مؤمنة .

والذى يدرك مضمون قول الله تعالى : «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم » . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما آمن بى من بات وهو شبعان ، وجاره جائع الى جانبه وهو يعلم » .

ويؤكد هذا التكافل الاجتماعى فى قوله عليه

الصلاة والسلام : « ان الأشعرين اذا أرملوا فى غزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان معهم فى ثوب واحد ، ووزعوه بينهم بالسوية فهم منى وأنا منهم » . وهناك صنف من الناس يكز على أمواله ، ولا يرضى أن يخرج منها شيئا عن طواعية واختيار لمعاونة هؤلاء المحتاجين ، فيقرضونهم بالربا ، لتتضاعف أموالهم على حساب المستضعفين ان هـذا استغلال لمحتاج ، والاستغلال مرفوض فى النظام الاسلامى ، ومرفوض كذلك ما يؤدى اليه من تعامل بالربا . ولهذا ورد هذا المشهد فى قصة الاسراء ، مشهد أقوام بطونهم كأمثال البيوت . يريدون القيام فيعجزون ، يطؤهم السابلة بأقدامهم . أولئك الذين يأكلون الربا .

« لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » فالمرابى من كثرة تفكيره فى تنمية ماله يمشى فى الطريق وهو قلق ، لا يحس بالرضا والاطمئنان ، فهو يترنح فى مشيته كمثل الذى أصابته لوثة من جنون . قال عنه القرآن الكريم : « كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » ..

والمضمون الاجتماعى لهذا المشهد هو أن المجتمع الاسلامى يرفض الربا فى أية صورة من صوره ، يرفض الربا قليله وكثيره ، ويرفض أن يكون تعامل الناس بعضهم مع بعض فى نطاق الربح المادى بدون اعتبار للقيم الدينية ولا للأخلاق والمروءة ، ويكرر القرآن النهى عن الربا فى أكثر من موضع ، يقول :

« وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله . وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » . وقال: «يمحق الله الربا ويربى الصدقات ، والله لا يحب كل كفار أثيم » . وقال مبينا قمة التهديد للمتعاملين بالربا «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » .

ان هذه الآيات هى الرد الحاسم على المجتمعات التى تتعامل بالربا مقلدة غيرها من المجتمعات غير الاسلامية التى تستحل كل شىء ، فى سبيل أن تنمى ثروة ابنائها الذين يملكون . وبذلك تشطر المجتمع شطرين : شطرا يجد المال فيزيده وينميه ، ويعيش حياته مالكا له ، مستثمره فى الحلال والحرام . وشطرا آخر وهو الأغلبية الساحقة فى المجتمع ، وهو شطر المحرومين الذين لا يكادون يجدون ما ينفقون ، فالمجتمع الذى لم يستفد من عبر الاسراء والمعراج لا يعنيه حاجة هؤلاء الضعفاء . فهو يستغلهم من أجل زيادة ثروتهم — ولا يخش الها هو الذى أعطى . وهو القادر على أن يمنع . بيده ملك كل شىء وهو على كل شىء قدير . ولهـذا نجد الصنف الآخر من النـاس ، ينظر الى هؤلاء المحتاجين نظرة حب وعطف واخاء ، فيعطيهم مما أفاء الله عليه ، ولا يبغى من وراء ذلك كسبا دنيويا . انما يفعل ما أمره الله ، مستبقيا جزاءه عنده وحده ، حسبما قال تعالى : « وما لأحد عنده من نعمة تجزى ، الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ، ولسوف يرضى » .

المشهد الثالث : مشهد الذين يستغلون الشعب بالتهرب من دفع المال الى الدولة ، لتنظم مصارفه لصالح المجتمع ، انهم يمنعون الزكاة وهى حق الله ، وهى تحقق التكافل الاجتماعى فى المجتمع ، ويتهربون من دفع الضرائب وهى حق المجتمع ، الذى ينفق فى سبيل مصالحه أموال الضرائب ، هؤلاء صورهم المشهد بأنهم أقوام لا يكادون يجدون ما يستر أجسادهم ، يسرحون كما تسرح الابل والأنعام . ويأكلون قطع النـار ، وصدق الله العظيم وهو يصفهم فى قوله : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

زمن الاسراء :

ان قصة الاسراء حدثت فى السنوات الأولى من بدء رسالة الاسلام ، وقبل هجرة رسول الله الى المدينة لكى تقرر بوضوح منذ بدء الدعوة الاسلامية قاعدة العدل الاجتماعى فى المجتمع الاسلامى ، لا استغلال لفرد ضعيف ، لا استغلال لمحتاج ، لا استغلال للجماعة كلهـا ، لقد تقررت هذه المبادىء لتكون قاعدة يسير عليها المجتمع الاسلامى فى مختلف عصوره وأماكنه ، حتى لا ينحرف ذات اليمين ولا ذات اليسـار ، وحينما تطبق هـذه التوجيهات فى مجتمعات الاسلام ، فلن ينظر أحد الى مذاهب وافدة ، ولا الى مبادىء مستوردة ، لأنه يجد أمامه الخلاص من المعاناة ، يجد أمامه الأمن والأمان ، يجد نفسه يعيش فى مجتمع العلم والايمان ، يجد نفسه يعيش كلية فى بناء واحد ، يكمل هذا البنـاء ، فيعيش معتزا بدينه ، هذا الدين الخاتم ، الذى قال الله فيه :

« ورضيت لكم الاسلام دينا » .

وهذا درس مستفاد من قصة الاسراء والمعراج ، التى قال فيها المولى تبارك وتعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » ..

رحلة لابد منها

فضيلة الشيخ محمود حسنين العيسوى

لو أن المربين والآباء حذوا حذو ربهم تبارك وتعالى فى اصطناع أنبيائه فمهدوا لطلابهم وأبنائهم سبل الرحلات والأسفار الى مواطن العلوم والمعارف فى أرجاء الدنيا وأنحاء المعمورة ، لأخرجوا الى مجتمعاتهم جيلا ثريا علما ومعرفة ، غنيا خلقا ودينا ، قويا جسما وروحا . فيجدد الله على أيديهم عهود علمائنا الأفذاذ السابقين الذين تركوا أسفارا علمية انتفع بها أقوام ملكوا وسادوا وفتح الله عليهم أبواب كل شىء .

ذلك أن الله تعالى أذن لأكثر أنبيائه ورسله أن يسيحوا ويسيروا ويرحلوا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة المكذبين ، فساروا واعتبروا فقوى ايمانهم وزاد يقينهم ونشطت دعوتهم ، وظهرت أدلتهم ، كما كان من أبيهم ابراهيم حين ارتحل عن بابل الى الشام وفلسطين ومصر ، واسترحله الله تعالى ذهنيا الى ملكوت السموات والأرض لما آتاه رشده « **وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين** » فقويت حجته على قومه ونمرودهم الذى حاج ابراهيم فى ربه « **اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين** » .

وكذلك كان شأن صفوتهم سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، صاحب الحسب والنسب فى قريش وقد عهدوه أمينا صادقا ، وحكما عادلا ، فلما نزل عليه الوحى — والله أعلم حيث يجعل رسالته — ليخرجهم من الظلمات الى النور وينظم حياتهم ، كذبوه وانكروا الوحى ومن نزل به : وأنكروا معاينة النبى اياه وقالوا « **معلم مجنون** » و « **كذاب أشر** » .

وعلى مقدار أذاه واضطهادهم اياه ، وعالمية رسالته امتازت رحلته التى لابد منها عن سائر اخوانه فكانت أرضية من المسجد الحرام فى مكة — قبل هجرته بعام — الى المسجد الأقصى بالقدس فسماوية الى سدرة المنتهى . قال تبارك اسمه « **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير** » .

ولقد كبر على المشركين أن ينزل جبريل على رسول الله بالوحى من بينهم فماروه وجادلوه بالباطل ليدحضوا به الحق ، فأقسم الله على صدق نبيه فى دعواه بالنجوم اذا انكدرت فقال « **والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى** » .

وحيث كانوا فى شك فى الله وتكذيب لرسوله ابتدأ خبر اسراء النبى صلى الله عليه وسلم فى القرآن بما ينبه الى تنزيه الله تعالى ورسوله عما ظنوه أو اعتقدوه فقال سبحانه « سبحان

الذى أسرى بعبده ليلا » والتعبير بذكر العبد كان أمنية عزيزة من أمانى رسول الله اذ خيره مولاه بين أن يكون ملكا رسولا أو عبدا رسولا فاختار أن يكون عبدا رسولا ، ومن شأن العبد أن يكون فى حمى سيده وعصمته وحفظه ، قال حكيم :

وممـا زادنى شرفا وتيهـا
وكـدت بأخمص أطـأ الثريـا

دخـولى تحت قـولك يا عبادى
وأن صـيرت أحمد لى نبيـا

ويفيد أيضا أن الاسراء والمعراج كانا بالجسم والروح معا ، اذ العبد جسـد وروح ، قـال تعالى « أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صـلى » وقال سبحانه « **وأنه لما قام عبد الله يدعـوه كادوا يكونون عليه لبدا** » فبطل قول من قال ان الاسراء والمعراج كانا بالروح فقط يقظة أو مناما، لأنهما بهذه الصفة لا ينهضان ان يكونا معجزة ، اذ يستوى فيهما الخلق جميعا ، ولا يستحقان مواجهة من مشرك حيث قالوا ما علامة صدقك ؟ قال تجارات لكم ، مقبلة عليكم ، يتقدمها الجمل الأورق ، وكان الأمر كمـا قال . ولا خلع على أبى بكر لقب « الصديق » حين ذهبوا اليـه فى سخرية يقولون : أتصدقه فى وصوله الى بيت المقدس فى بعض ليلة ونحن نضرب اليه أكباد الابل شهرا كاملا ؟ قال انى أصدقه فى أبعد من ذلك :

على أن لفظ « الرؤيا » التى جاءت فى الآية الشريفة « **وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس** » يصلح فى العربية لرؤية العين والمعاينة، فهما لفظان يتبادلان .

وما أروع الليل الذى وقع فيه مسرى الرسول ومعراجه ، فانه ستار المتقين ، وحجاب المتبتلين، وكهف الذاكرين ، وحصن المسبحين ، تخلص فيه القلوب من ضوضاء النهار ، وتصفو فيه النفوس من تعب العمل ، وان تنكيره فى الآية أروع فى افادته القلة من الزمن ، مما يدل على عظم قدرته تعالى وأمره « **وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر** » ومعلوم أن بركة ما حول المسجد الأقصى ترجع الى كثرة ثماره واشجاره وانهاره .

وقد ذكر فى صلب الآية الكريمة « سبحان الذى أسرى بعبده » الخ ما استفاده عليه الصلاة والسلام من تجليته آيات ربه ليزداد ايمانا مع ايمانه ، ويقينا على يقينه ، وعدم اكتراثه بما يقدمونه من عذاب واضطهاد ، حتى ناجى ربه يوما وهم يعذبونه ، فقـال « ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى » وتشير الآية كذلك الى أن المسجد الأقصى أصبح بعد الاسراء اليه من مقدسات المسلمين ، وأولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، فلا ينبغى بحال من الأحوال أن ينفكوا عنه ، أو ينفك عنهم ، ويتبعوا كبرياءهم ، ويتركوا رجلا بدأ رحلة السلام مغامرا حتى أدرك معظمه ، وما لا يدرك كله لا يترك كله ، وأول الغيث قطرة ثم ينهمر . وعلى اخواننا الفلسطينيين الا ينسوا قضيتهم ويجروا وراء أقوام يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك حبة خـردل من ايمان .

أجل .. لقد انتقل المسجد الأقصى هذه الليلة من ذرية اسرائيل الى ولد اسـماعيل فى موكب رهيب حاشد حضره كل أنبياء الله ورسـله ، اقرارا منهم ببعثة سيدنا محمد ونبوته ، فى صلاة أمهم فيها جميعا غير الصلاة الاسلامية التى ستفرض عليه بعد انتهاء جولته قال تعـالى : « واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم أصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » على أن الزمان والمكان ليسا ارثا من نبى الى نبى أو من رسول الى رسول،وانما هو التدرج الالهى بالأمم من ضعف الى قوة الى ازدهار حتى يرث الله الأرض ومن عليها . قال صلى الله عليه وسلم « **مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون لله ، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين** » .

ثم لم يخرج حدث الاسراء والمعراج عن كونه معجزة للنبى محمد صلى الله عليه وسلم تأييدا لبعثه وتسلية لقلبه ، وبعثا لدعوته ، ورفعـا لشأنه ، كما ركب سليمان الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ، وكما القى موسى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ، وضرب بها البحر فانفلق فكان كل فرق كالطواد العظيم ، وكما أبرأ عيسى الأكمه والأبرص وأحيا الموتى باذن الله .

ولقد قيل ان حدث الاسراء دليل على حدث المعراج ، فان كليهما خرق للزمن والعوائد ، واثبات الخرق فيما نعلم يثبته فيما لا نعلم ، ولكن لماذا نذهب الى دليل العقل ودليل النقل أقرب، فان المشركين فى مكة حين عز عليهم أن ينزل الوحى على سيدنا محمد بما يصلحهم وقد رآه وعاينه خاطبهم الله بقوله « أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى »

راى الجنة والنار ، واللوح المحفوظ مسطرة فيه كل أعمال العباد وأقوالهم واقدارهم وأرزاقهم وآجالهم وكل ما يتعلق بهم ، وسمع فيه صوت القلم يكتب ما كان وما يكون من أمر الخلق ، **ورأى العرش العظيم ، والكرسى الذى وسع السموات والأرض ، ورأى البيت المعمور** الذى هو مسكن ومسبح ملائكة ، مقربين خلقوا للتقديس والتسبيح ، **ورأى نهرى النيل والفرات** ايذانا بضم أرضهما الى المسلمين من طغيان الفرس **وغشم الروم ،** واعلاما أن مياههما بركة لا يصح أن تهدر أو تهمل أو تتسرب ، بل يجب أن يحيابها موات الأرض لتنبت الزرع والفواكه والحب لكل ذى روح .

وما أعظم وأجل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اختار اللبن ورفض الخمر ، فذلك شأن الفطرة السمحة التى فطر الله الناس عليها ، والتى لا غدر فيها ولا وغل يزرى بصاحبه . ومهما يكن من شىء فان النور دائما يمحو الظلام ، والهدى يهزم الضلال ، والحق يدفع الباطل « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق » .

وقد روت كتب السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ليلة اسرائه ومعراجه نماذج من البشر ومعها ثوابها أو عقابها ، بينما تروى بعض الصحاح أن رؤيته هذه النماذج كان مناما فى ليلة أخرى ، ولا مانع من تكرار الرؤيا أو الرؤية ، رغبا ورهبا ، وتمهيدا لتلقى الثواب والعقاب فيما بعد رأى صلى الله عليه وسلم رجالا يزرعون ويحصدون فى يوم واحد ، فسأل جبريل فقال هؤلاء هم المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنات ، وشم ريح المسك الأذفر فقال جبريل هذا ريح خرج من قبر ماشطة بنت فرعون التى آمنت بربها رب السموات والأرض وكفرت بفرعون وضلاله فقتلت . ورأى رجلا يسبح فى بحر من الدم فقال هذا آكل الربا ، ورأى رجلا يعجز عن حمل حزمة من الحطب فيزيد عليها فقال هذا مضيع الأمانات ، ورأى رجالا ونساء يأكلون من اللحم الخبيث ويتركون اللحم الطيب ، فقال هؤلاء هم الزناة ، ورأى رجلا يخدش وجهه بأظافر من نحاس فقال هذا هو الهمزة اللمزة المغتاب الذى يخوض فى أعراض الناس بما يكرهون .

وليت شعرى هل وسعت بشريته صلى الله عليه وسلم هيبة الموقف ورهبته الفائقة ؟ والجواب ما كانت بشرية ليلتئذ ، بل ملائكية كبرى دونها ملائكية جبريل عليه السلام الذى تخلف عنه فناداه ، (اخى جبريل أفى حضرة القدس والقرب يفارق الحبيب حبيبه ؟) قال ـ يا محمد .. هذا قدرك الى الامام وهذا مقدارى الى الوراء ، ولو تركت مكانى الى مكانك لاحترقت من هذا النور الذى أنت فيه .

سريت من حرم ليلا الى حرم
كما سرى البدر فى داج من الظلم

وبت ترقى الى أن نلت منزلة
من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

وقدمتك جميع الأنبياء بها
والرسل تقديم مخدوم على خدم

وأنت تخترق السبع الطباق بهم
فى موكب كنت فيه صاحب العلم

حتى اذا لم تدع شأوا لمستبق
من الدنو ولا مرقى لمستنم

خفضت كل مقام بالاضافة اذ
نوديت بالرفع مثل المفرد العلم

وهنا فى روضات الحب والقرب فرض الله عليه وعلى أمته خمسين صلاة فى اليوم والليلة ، فتقبلها رسول الله شاكرا ذاكرا عظم النعمة وعظمة المنعم تبارك وتعالى ، وفى أوبته يمر على موسى

فيسأله : ماذا فرض الله عليك وعلى أمتك ؟
رسول الله : فرض خمسين صلاة فى اليوم والليلة .

موسى : ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقد بلوت الأمم قبلك .

رسول الله : يرجع ويسأل ربه التخفيف ويكرر السؤال حتى صارت خمسا .

موسى : ارجع الى ربك فاسأله التخفيف .

رسول الله : سألت ربى حتى استحييت ولكن ارضى وأسلم .

ثم يسمع صوتا خلفه .. **أمضيت فريضتى** وخففت عن عبادى فهن خمس فى العمل وخمسون فى الأجر والثواب **« من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها »** وقد علمنا هذا التخفيف الالهى أن رحمة الله واسعة وعطاءه موفور ، وأن العبرة بالكيف لا بالكم اذا أدى فى خشوع واتقان .

لكن لماذا كان التصدى وبدء الحوار من موسى فقط دون سائر الأنبياء الذين ازدانت بهم السموات وكلهم يحب لقاءه والحديث معه ؟ والجواب عندى أن التوراة التى أنزلت على موسى كانت نظاما يصح أن ينظم بنى اسرائيل لولا مخالفتهم وكفرهم، مع أسف موسى لموقف قومه وبقاء ملة ابراهيم مع حفيده المصطفى صلى الله عليه وسلم . واذا

قيل كيف يرى ويخاطب سيدنا رسول الله رسلا من قبله أمواتا لا قلنا انه بالملائكية التى خلقها الله فيه وزادها تألفا فى ليلة اسرائه ومعراجه صلى الله عليه وسلم شف له بعض المستور ، وزالت عنه بعض الحجب لكى يرى اخوانا آمنوا به وبشروا به زمانهم ومكانهم وينتظرون شفاعته « **فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا** » .

ومن عجب أن الصلاة هى الفريضة الوحيدة التى فرضت فى السماء عساها أن تكون معراجا يرقى بالناس اذا حطتهم شهواتهم ، فضلا عن أنها جمعت كل أركان الاسلام الشهادتين ، والزكاة بالوقت الذى يأتى بالمال وقد استنفدته ، والصوم بامساك المصلى عن المفطر وغيره والحج باستقباله البيت الحرام ، وحوت كل ألوان الرياضات مما جعل الصلاة طب القلوب والأبدان ، بله أنها وقفة صنعة أمام صانعها خمس مرات فى اليوم والليلة ، ليصلح من خللها وخلالها .

وياويح أقوام تركوا الصلاة وأبوا اصلاح حالهم وارضاء خالقهم ورازقهم ، ونسوا أنها عماد الدين ، وطهرة من ذنوبهم لما رواه البخارى عن رسول الله أنه قال « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه خمس مرات فى اليوم والليلة ، هل يبقى من درنه شىء ؟قالوا لا قال كذالكم الصلوات الخمس يمحوا الله بهن الخطايا »

وأنها أيضا وسيلة لاستجابة دعائهم فقد روى مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء** » وعن ربيعة بن كعب رضى الله عنه فى رواية مسلم أنه قال كنت أبيت مع رسول الله فآتيه بوضوئه وحاجته ، فقال لى سلنى ، قلت أسألك مرافقتك فى الجنة ، قال أو غير ذلك ؟ قلت هو ذاك ، قال فأعنى على نفسك بكثرة السجود » وقال الله تعالى فى كتابه العزيز « **واسجد واقترب** » وبقدر قرب المصلين كان بعد التاركين حيث قال رسول الله فيما رواه أحمد « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » وروى أحمد كذلك عن رسول الله أنه قال « من حافظ على الصلاة كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف » .

وانى لأهيب بمؤسساتنا العلمية والتعليمية والصناعية والتجارية أن تحرص على بناء المساجد فى مؤسساتها من أجل بناء الانسان المصرى على دعائم من الدين والتقوى والأمانة والصدق والمواظبة على العمل ، ذلك اذا أرادت ربحا وفيرا . ونشاطا كبيرا ورضوانا من الله أكبر .

بيان عظم منزلة النبى ــ صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى وعظيم لطفه سبحانه به صلى الله عليه وسلم

والحكمة فى ارسال جبريل ــ عليه السلام لسؤاله ــ صلى الله عليه وسلم ــ اظهار شرف النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وانه بالمحل الأعلى عند ربه تعالى ، فيسترضى ويكرم بما يرضيه ، أى ويكون ذلك بشهادة الملأ الأعلى ، اذ يبلغه بذلك جبريل عليه السلام والله أعلم .

وهذا الحديث موافق لقول الله عز وجل : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) واما قوله تعالى: (ولا نسوءك) ــ فقال صاحب التحرير ، هو تأكيد للمعنى أى لا نحزنك فيهم لأن الارضاء قد يحصل فى حق البعض بالعفو عنهم ، ويدخل الباقى النار .

قال (انا سنرضيك) أى بالعفو عن أمتك ،ولا ندخل عليك حزنا من جهة أمتك فننحى الجميع من النار . والله أعلم .

اللهم أجز عنا نبينا محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ أفضل ما جازيت نبيا عن قومه ، ورسولا عن أمته ، واجعلنا ياربنا من المتبعين لشريعته ، المتمسكين بهديه وسنته واحشرنا فى زمرة النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ــ والحمد لله رب العالمين (آمين) .

حضارة

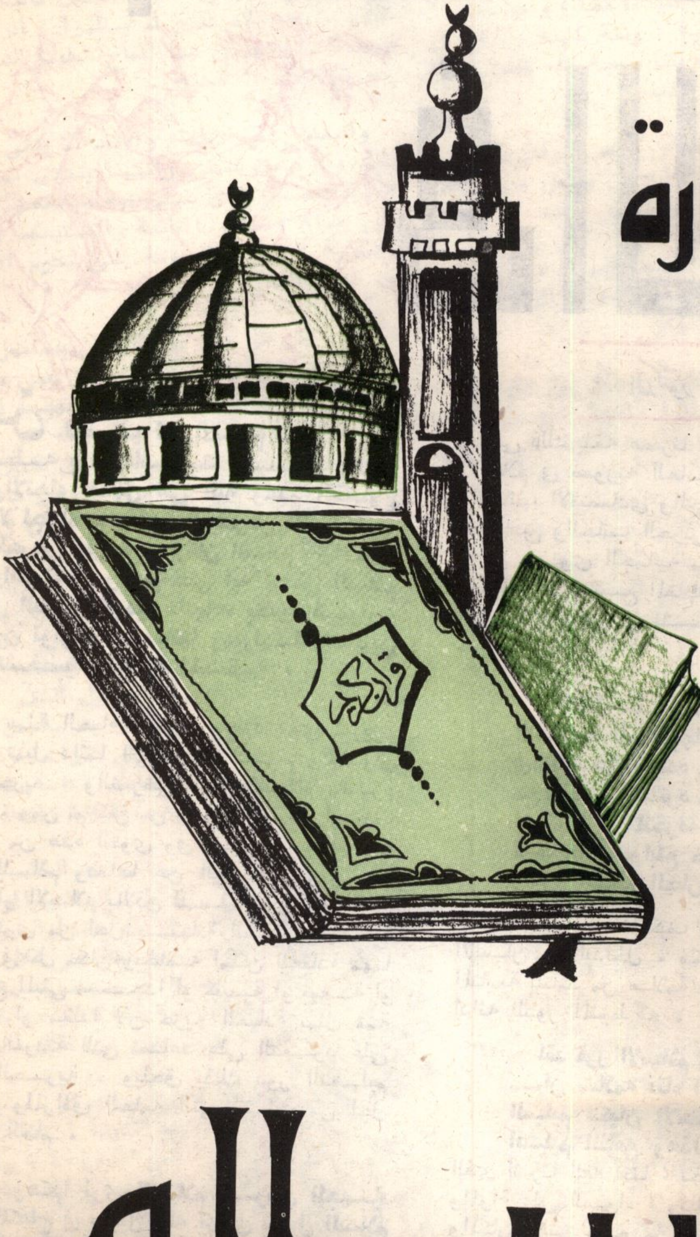

الإسلام

ولنفرض أنه فلاح ، فاذا كان يرى فيما يحرث ويحصد آثار ابداع وقدرة الخالق ، وقيمة دوره الانسانى فى الحياه ، ورضاه وسعادته بهذا الدور ، ولاء لله ولعباده ، وحبا فى أمته ، واذا كان هذا الرضا وهذه السعادة يشملان هذا الدور نفسه من اخوته ونظرائه دون طمع أو حسد ، واذا كان يخشى على جيرته مايخشاه على نفسه ، واذا حمله هذا الرضاوهذه السعادة على السماحة وبسط الكف والنجدة والمروءة ، واذا أحس بأنه ربما كان أقرب خلق الله الى آيات الله المباشرة ، والله جميل يحب الجمال ، وله الأسماء الحسنى — اذا تحقق فيه كل ذلك، أمكن أن يقال على الفور ان شعوره ووجدانه مستضىء بالقيم التى اشرنا اليها .

وقد يقال انك ترسم صورة لمثالية لا مجال لها فى دنيا الواقع ولكننى ابادر فأقول ان هذا الرأى للأسف نشأ من كثرة الظواهر التى تشير الى وجود عكس ما رسمناه . فظن البعض أن الخير لا وجود له .

وهذا قول من ساء رأيهم فى الانسان ، لأنهم ركزوا على الجانب المظلم أو الجانب العربيد .

ان هناك صورا واقعية لفلاحين لم يتعلموا القراءة والكتابة لكنهم لنقاء فطرتهم ، وصفاء معدنهم استطاعوا أن يقرأوا من كتاب الوجود ما سمحت به ظروفهم ، وما جادت به شفافيتهم وحسن استعدادهم ، مما هذب سلوكهم ، وأنار سبيلهم وأحسن تدبيرهموتصرفهم حتى انبعضهم لتتطامن فى حضرتهم رءوس كثيرة حشيت بالعلوم والمعارف .

وليس هذا القول تقليلا من قيمة القراءة والكتابة ، ولكنه ابراز لأهمية ضبط الشعور بهذه الضوابط ضمانا لتحقيق التقدم والايجابية فى المجتمع ، لكيلا نعتمد على مجرد الشكليات والعلاج السطحى لبعض العلل .

ولن ادعو فئة أو طبقة أو هيئة أو فردا بعينه الى ضبط شعوره ، بهذه الضوابط ، وانما ارى أن يدعو كل امرىء نفسه الى ذلك على سبيل التجربة ، وان يكرس دعوته لنفسه ويحاسبها حسابا مضبوطا ، ولتشغله عيوب نفسه عن عيوب الآخرين ، وليكن هو بعد ذلك بحاله أبلغ فى اقناع غيره بمقاله .

وقد يهب المتشنجون دائما ليقولوا وأين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ ولم يخطر ببال أحد منهم أن يدخل نفسه فى هذه الدائرة التى يدعى فيها الى المعروف وينهى فيها عن المنكر .

مع أن القاعدة الأساسية فى الاسلام أن يبدأ الانسان بنفسه ، ان لم يكن من اجل نجاته وخلاصه ،فليكن من أجل اثمار دعوته ونجاحها ،

ان فقه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى حد ذاته يتطلب أن يكون الشعور نفسه منضبطا كما أسلفنا بهذه القيم ان هذه الضوابط التى يحميها الوحى ويحرسها الوطن تعصمنا من التردى فى هاوية الاختلاف والتفرق لغير غاية ، مع ان غايتنا مشرقة مضيئة واضحة وضوح اليقين وحق اليقين ، بل هى الحق ذاته جل جلاله « ان ربى على صراط مستقيم » واننا نصافح الحق حيثما أدينا مكرمة سواء بالكلمة الطيبة أو بالشعور الطيب أو بالعمل الطيب فى ذوينا وفى مجتمعنا بصورة عامة . ولن يتم لنا ذلك الا اذا أظلنا شعور واحد منضبط بهذه القيم ، وهذا الشعور الواحد الذى يمكن أن يسع هذه القيم ويفى بحقها هو شعور الحب : الحب لله والحب لخلق الله ، وفى حبنا لخلقه تملى علينا المروءة أن نقف الى جانب الضعيف حتى يقوى ، وليس هناك أضعف من العاصى أو المنحرف .. فكل منهما أنحدر فى وهدة ، أو تورط فى أزمة .. لن يجديه ولن يجدينا أن نكيل له اللعنات ، وأن نصب عليه النقمات دون أن نمد له حبل النجاة ، ودون أن نشجعه على التغلب على نفسه حتى تنتصر مكارم الله فيه .

يجب أن نفتح له صدورنا ، وأن نيسر له سبيل الخروج من أزمته بايقاظه الى مواطن الخير لديه، لا الى عوارض الشر منه .

يجب أن نفتح له باب الأمل ، ونهيىء له الفرصة لكى يستدرك مافاته ، فربما تفوق فى مستقبله، على من لم يمر بتجربته .

ان هذه المروءة والفتوة فى الوقوف مع المخطىء لاستنقاذه ، ليست امرا غريبا على الدين ، بل هى من لب الدين وجوهره ، وهى تتويج للملة الابراهيمية التى أمر نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام بأن يتبعها . وهى فى حقيقة الأمر تطبيق لمقتضيات الرحمة العامة التى ارسل من أجلها رسول الله .

ولعل قارىء القرآن المستبصر يدرك لأول وهلة فتوة ومروءة الخليل عليه السلام فى مواقفه المختلفة مع العصاة من أهله وعشيرته ، ومن البعداء عن أهله وعشيرته . فالقرآن يخبرنا بأن ابراهيم كان لا يخلف وعده ، وتدبر قوله تعالى

ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى ... الى ان

يقول « وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » .

واستمع اليه وهو يقول مخاطبا ربه كما يحكى القرآن « **فمن تبعنى فانه منى ، ومن عصانى فانك غفور رحيم** » .

ثم يصوره القرآن مجادلا فى شأن تعذيب قوم لوط « **يجادلنا فى قوم لوط . أن ابراهيم لحليم أواه منيب** » حتى ان الخليل ليستعظم ويستنكر كيف تدمر القرية وفيها لوط يقول تعالى « **قال ان فيها لوطا . قالوا نحن أعلم بمن فيهالننجينه وأهله الا امرأته** » .

ومعنى ذلك باختصار أن الخليل استنفذ كل الوسائل لانقاذ هؤلاء لعل حالهم يصلح الى أن تبين له من العليم الخبير أن العقاب نازل لأنه لا فائدة ترجى منهم .

ان هذه الروح تفرض علينا أن نلتمس المعاذير للآخرين أولا ولا نلتمس نفس هذه المعاذير لأنفسنا ، لأننا نعلم أنفسنا ولا نعلم ظروف الآخرين ، وسنرى أننا نكسب كل يوم أنصارا وأعوانا وأحبابا ولا نخسر شيئا ، على حين اننا لو قسونا على الناس وعددناهم مجرمين ولم نر الا الجانب المظلم فيهم فقدنا الأعوان والأحباب والأنصار .

لنطبق من الآن المقياس الذاتى الذى فيه يحب كل انسان لأخيه ما يحبه لنفسه ويكره له ما يكرهه لنفسه فعلا ولتكن قاعدتنا دائما أصل البراءة والطهر فى الانسان فان ظهر خلافذلك لم تكن القاعدة أو الطبيعة ولكنها العوامل المتشابكة التى لو أزلناها لعادت الفطرة الى صفائها ، والوجدان الى نقائه ، ومفتاح ذلك أن نسمى الأشياء بأسمائها فلا نعطيها فوق قيمتها .

ان صحوة ضميرنا ، والتركيز على تخليص أنفسنا مما علق بها من غبار غطى محاسنها ، وستر جمالها يجب أن يكون شغلنا الشاغل ، ونحن نعلم أن الجهد شاق ، والمعاناة صعبة لكن التحدى الحضارى الذى يفرضه السلام ينبغى أن يحفز هممنا ، كما أن الثقة بعون الله ثم بأنفسنا سبيلنا الأكيد الى تحقيق الآمال .

بنك القاهرة
شهادات إيداع بنك القاهرة
النوع الأول: ١٠٠٠ جم بعد خمس سنوات ونصف ١٥٦٠ جـ
النوع الثانى: ١٠٠٠ جم بعد ثلاث سنوات ١٣٦٠ جـ
النوع الثالث: ذات العائد الذى يصرف كل ستة شهور لمدة ثلاث سنوات
السنة الاولى: بعائد ٧٪
السنة الثانية: بعائد ٧,٥٪
السنة الثالثة: بعائد ٩,٥٪
فئات الشهادات
١٠ ، ٥٠ ، ١٠٠ ، ١٠٠٠ جم
مرحبا بك فى كل فرع من فروع البنك المنتشرة فى مصر والعالم العربى

صداقة الفضلاء

الدكتور محمد رجب البيومي

حديث الصداقة يمس أرق الأوتار فى القلوب ، ولكل انسان هشاشة اليه وارتياح ، اذ أن الصداقة تجربة عامة باشرها كل فرد ولو فى بعض فترات حياته ، ومن كتبوا الصحائف فى نبذ الصداقات وايثار الوحدة لابد انهم جربوا صداقات مجدبة غير خصيبة ، فانحوا باللائمة على الصداقة والاصدقاء ولكن ذلك لا يمنع أن تكون الصداقات حاجة ضرورية لدى الناس ، فهى مدعاة أنس ، وباب مسرة وارتياح وكم من رجل كدره الهم ، وعبست فى وجهه الحياة ، حتى صارت أضيق من حلقة الخاتم فى عينه ثم سعد بمؤانسة صديق عاقل ، فشكا اليه شكاية المتأوه الملتاع ، فوجد عنده من مجاذبات الأنس وملاطفة القول ما أعاده الى صفوه ، وأسعده بتنفيس مريح ، وبأمل منعش ، فعاد من مجلسه هادىء النفس ، شديد الاحتمال .

ان حديث الصداقة يمس أرق الأوتار فى القلوب دون ريب ، وهو حديث مؤنس ناضر ، اذا صدر عن قلب كبير ، وعقل نافذ ، وصاحب حديثنا الآن أبو سليمان المنطقى العالم المتدبر الفيلسوف ، وهو واحد الآحاد فى مجال التحليل العقلى ، والنظر الفلسفى بين معاصريه ، شهد له بذلك أولو البصر والحكم ، من كبار المتضلعين ، وهى شهادة متعددة المصدر ، مختلفة الأشخاص ، فليست اذن مجاملة فردية ، وجهها صديق لصديق ، وما بين أيدينا الآن ، من آثاره الحكيمة ، وآرائه الجدلية المثبوتة بنوع خاص فى أكثر كتب أبى حيان التوحيدى مما يشهد بعمق الرجل ، وبعد غوره ، وغوصه الملح على أدق المعانى ، وتفسيره المتنوع لأعتقد الظواهر ، وفى رجال الفكر من عرفهم الناس عن طريق تلاميذهم ، لا عما بقى من مؤلفاتهم ، فاحتلوا بذلك منزلة ذوى التأليف الذائع ، والتصنيف المتشعب ، فأبو الفلاسفة سقراط لم تعرف أفكاره الخلقية ، ومراميه الفلسفية الا من كتب تلميذه أفلاطون ، والنظام الباحث النظام المتكلم لم تتعارف آراؤه الا عن طريق تلميذه الجاحظ ، وكذلك أبو سليمان المنطقى قد متعه الله بأبى حيان ، ولأبى حيان ولع شديد بتسجيل الحوار العلمى ، وتدوين النقاش الفكرى ، وقد رأى فى أبى سليمان قمة لا تتطاول ، فحاول الصعود الى أوجه . وجعل يدون آراءه حتى فاضت بها مؤلفاته ، ومنها الدقيق الجليل الذى لا يفهم الا بعد عسر ومشقة ككتابى المقابسات والهوامل ومنها السهل الدمث الذى يقرب من متصفحه ككتابى الامتاع والمؤانسة ، ورسالة الصداقة والصديق ، ومن حسن حظ

القارىء مع ابى سليمان انه تحدث عن الصداقة عمليا وفكريا ، تحدث عن الصداقة عمليا حين تحدث عن تجربته الخاصة فيها ، مع قاض فاضل من قضاة مصره،فشرح كيف تتحد المشارب ، وتتفق الميول بين الصديقين شرحا لا يتأتى الا من باقعة مقتدر ، ذى أحاسيس تدق ثم ترق ، ونحن نقرأ حديث ابى سليمان المنطقى عن صاحبه فنجده ذا ترجمة أمينة عن أحاسيس مألوفة : وتجارب موصوفة فنسعد سعادة تامة اذ نرى خواطرنا الذاتية الحبيسة مسجلة بقلم فيلسوف حساس شاركنا التجربة ، وقاسمنا الشعور ، ثم استطاع أن يفصح عن خاطره بما لا نستطيع ان نقول ، هذا بعض حديث ابى سليمان العملى عن الصداقة: أما حديثه النظرى فما أكثر ما تردد فى كتب أبى حيان ، وهو حديث عميق ذو دقة ، ولابد من الالمام ببذور منه بعد أن نتحدث عن تجربته العملية الرائعة ، مع قاضى مصره ، لنرى كيف تتجاذب الأرواح وتتعانق القلوب .

قال أبو حيان التوحيدى لأستاذه أبى سليمان(١) (بتصرف لا يطفىء بريق الأصل) :

— انى أرى بينك وبين ابن سيار القاضى ممازجة نفسية ، وصداقة عقلية ومساعدة طبيعية ، ومواتاة خلقية ، فمن أين هذا ؟ وكيف ؟

— يا بنى ، اختلطت ثقتى به بثقته بى ، فاستفدنا طمأنينة وسكونا لا يرثان على الدهر، ولا يحولان بالقهر ، ومع ذلك فبيننا بالطالع مشاكلة عجيبة ، حتى اننا نلتقى كثيرا فى الارادات والاختيارات والشهوات والطلبات،وربما تزاورنا فيحدثنى بأشياء جرت له بعد افتراقنا من قبل ، فأجدها شبيهة بأمور حدثت لى فى ذلك الأوان حتى كأنها تسائم بينى وبينه ، أو كأنى هو فيها، أو هو أنا وربما حدثته برؤيا فيحدثنى بأختها فنراها فى ذلك الوقت أو قبله بقليل أو بعده بقليل .

— كيف يصح هذا ؟ وأنت مطالبك فى الفلسفة ، وصورك مأخوذة من الحكمة ، وجعبتك مجموعة من الحقائق وخوضك فى الغوامض والدقائق،وذلك رجل فى عداد القضاة، وجلة الحكام وأصحاب القلانس ، ومخاضه الظاهر الذى عليه الجمهور ، وأخذه مما عليه السواد الأعظم .

— هذا هو الذى انفردنا عنه ، بعد أن ازدوجنا عليه ، والأصل أبدا مخالف للفرع ، لا خلاف الضد للضد ، ولكن خلاف الشكل للشكل.

— هذا والله طريف ، ومما يزيد فى طرافته ، انك من سجستان وهو من الصيمرة .

(١) الصداقة والصديق (ص ٢) بتحقيق الدكتور الكيلانى.

— الأمكنة فى الفلك(٢) أشد تضاما من الخاتم فى اصبعك ، وليس لها هناك هذا البعد الذى تجده فى المسافة الأرضية من بلد الى بلد بفراسخ تقطع وجبال تعلى وبحار تحرق .

— وهل تجد عليه فى شىء ، أو يجد عليك فى شىء ؟

— وجدى به فى الأول قد حجبنى عن موجدتى عليه فى الثانى ، على أنه يكتفى فيما خالف هواى باللمحة الضئيلة ، واكتفى أنا أيضا منه فى مثل ذلك بالاشارة القليلة ، وربما تعاتبنا على حال تعرض عن طريق الكتابة كاننا نتحدث عن قوم آخرين ، ويكون لنا فى ذلك مقنع ، واليه مفزع ، وقل ما نجتمع الا ويحدثنى عنى بأسرار ما سافرت من ضميرى الى شفتى ، ولا ندت من صدرى الى لفظى ، وذلك للصفاء الذى نتشاهمه ، والوفاء الذى نتقاسمه ، والباطن الذى نتفق عليه ، والظاهر الذى نرجع اليه ، والأصل الذى رسوخنا فيه ، والفرع الذى تشبثنا به ، والله ما يسرنى بصداقته حمر النعم ، واذا كنت أعشق الحياة لأنى بها أحيا ، كذلك أعشق كل ما وصل الحياة بالحياة ، وجنى لى ثمرتها وجلب الى روحها وخلط بى طيبها وحلاوتها .

هذا تصوير دقيق لتجربة انسانية عاشها عالم فيلسوف ، فرصد ملامحها الظاهرة ، ونوازعها الخافية ، فى ايجاز لامح ، ومنطق دال، وحوار يغنى عن التفسير والتعقيب .

فاذا تركنا هذه التجربة العملية على نفاسة ما تحتويه من رصيد ثمين ، الى آراء ابى سليمان — النظرية فى الصداقة والاصدقاء فاننا نجد هذه الآراء الفكرية هى التى ساعدت على نجاح تجربته العملية حيث كان يجل الصداقة فكريا ويعرف لها ثقلها الراجح فى ميزان الحياة ، حتى اذا أسعفته الأيام بمن يأنس بمؤاخاته ، ويستروح بمصافاته ، مد عليه أسبغ الظلال من مودته ، فعاشا معا فى نسيم يتراوح باللطف وتحت غصون تتساقط بأشهى الثمار .

والحق أن أبا حيان كان التلميذ الحصيف الذى استطاع أن ينهل من بئر أبى سليمان أعذب النمير ، وأصفى الزلال ، وكأنى به وقد لمس جلال الصداقة بين الرجلين ، فلم ين فى اهتبال الفرصة فأخذ يستدرج أستاذه الى أحاديث خلقية ، تفسر خوافى الصداقة ، ومناص المودة، فكان بأسئلته المتشعبة ، كمن يلقى الشبكة فى محيط زاخر يعج بالمستطاب من مشتهيات الصيد، وأبو حيان كان على غزارة أدبه وعظيم فضله، من فشلوا فى مضمار الصداقة والأصدقاء ، اذ

(٢) يؤمن أبو سليمان بآراء فى الفلك اقتبسها من الفلسفة اليونانية وهى باطلة لا تصور المعتقد الاسلامى الصحيح .

لم تسمح له الأيام بمودة تفيأ منها أرطب الظلال، لذلك أرى أن أسئلته الملفقة لأبى سليمان ، تعبر عن شوق ظامىء الى صداقة تسعف ، ومودة تسعد ، فهى صراخ نفس تتعذب بأوصابها فى نار العزلة والايحاش ، واننا لننقل طرفا من أسئلة التلميذ ، وأجوبة الاستاذ ، تتناثر فى صفحات متباعدة من مؤلفات التوحيدى ولكننا نقارب منها ما يوضح فكرة الأستاذ ، ويجعل الثمرة دانية القطوف للقراء : على أن نسلسل ذلك فى حوار متتابع وان لم يكن كذلك فيما تفرق من آثار أبى حيان ، فلا علينا اذا جمعنا حبات العقد المتناثرة فى سلك منتظم ، فذلك أتم لجماله وأبهى لمرآه .

سأل أبو حيان : هل يلاث ما بين الصديقين، وهل يفضيان الى هجر ؟ وهل يفزعان الى عتب؟ فرد عليه أبو سليمان يقول :

ـــ مادامت الصداقة قاصرة عن درجتها القاصية ، فقد يعرض هذا كله بينهما لكنهما يرجعان فيه الى أسس المودة ، والى شرائط المروءة . والى مالا يهتك بحق الفتوة ، أما الهجر فان حدث جميلا ، ولا مستمر ، لحوافز الشوق الى المعهود ، ومحركات النفس الى التلاقى ، وأما العتب فربما أصلح ورد الفائت وشعب الصدع ولم الشعث ، والاكثار منه ربما عرض بالحقد ، وأحدث نوعا من النبو وقد قيل ، وما صافيت من لا تعاتبه ، وربما كان العود الى الصفاء بعد هذا الكدر فوق ما عهداه فى الأول(١) .

ـــ قال أبو حيان : سمع ابن عطاء رجلا يقول : أنا فى طلب صديق منذ ثلاثين عاما فلم أجده ، فقال له : لعلك فى طلب صديق تأخذ منه شيئا ، ولو طلبت صديقا تعطيه شيئا لوجدت، فما رأيك فى هذا القول ؟

فقال أبو سليمان متعجلا .

هذا كلام ظالم ، الصديق لا يراد ليأخذ منه شىء أو ليعطى شيئا ، ولكن ليسكن اليه ، ويعتمد عليه ويستأنس به ، ويستفاد منه ، ويستشار فى الملم ، وينهض فى المهم ، ويتزين به اذا حضر ، ويتشوق اليه اذا سفر ، والأخذ والعطاء فى عرض ذلك جاريان على مذهب الجود والكرم ، بلا حسد وبلا نكد ولا صدد ولا حدد ، ولا كلوح ، ولا تعريض بنكير ولا نكاية بتغيير(٢) .

فسأل أبو حيان : فما الفرق ما بين الصداقة والعلاقة اذن ؟

فرد الأستاذ يقول : الصداقة اذهب فى مسالك العقل ، وادخل فى باب المروءة ، وأبعد من نوازى الشهوة وانزه عن آثار الطبيعة ، واشبه بذوى الشيب والكهولة ، وأرمى الى حدود الرشاد ، وآخذ بأهداب السداد ، وأبعد عن عوارض الغرارة والحداثة ، أما العلاقة فهى من قبيل العشق والمحبة والكلف والتهيم والهوى والصبابة والتدانف والتشاجى ، وهذه كلها أمراض أو كالأمراض بشركة النفس الضعيفة ، والطبيعة القوية ، وليس للعقل فيها ظل ، ولا شخص ، ولهذا تسرع هذه الأعراض الى الشباب وتنال منهم وتملكهم وتحول بينهم وبين أنوار العقول ، وآداء النفوس وفضائل الأخلاق، وفوائد التجارب، ولهذا وأشباهه يحتاجون الى الزواجر، والمواعظ، ليفيئوا الى ما فقدوه من اعتدال المزاج والطريق الوسط(٣) .

قال أبو حيان : فهل لك أن تفسر لى قول أرسطو : صديقك هو أنت الا أنه بالشخص غيرك .

فقال الاستاذ : هذا رجل عميق الكلام بعيد المرام ، صحيح المعنى ، وقد أشار بكلمته هذه الى آخر درجات الموافقة التى يتصادق المتصادقان بها ، ألاترى أن لهذه الموافقة، أولا منه يبتدئانها، كذلك لها آخر ينتهيان اليه ، وأول هذه الموافقة توحد وآخرها وحدة ، وكما أن الانسان واحد بما هو انسان كذلك يصير بصديقه واحدا بماهو صديق ، لأن العادتين تصيران عادة واحدة ، والارادتين تكونان ارادة واحدة(٤) .

قال أبو حيان ذلك بعيد .

فأحتد أبو سليمان يقول : ليس يبعد هذا الا لأنكم لم تروا صديقا لصديق ، ولا كنتم أصدقاء على التحقيق ، بل أنتم معارف يجمعكم الجنس، وينظمكم النوع ، ويؤلفكم بعد ذلك البلد أو الجوار أو النسب ، ثم أنتم فى ذلك الذى اجمعتم عليه ، على غاية الافتراق للحسد الذى يدب بينكم ، والتنافس الذى يقطع علائقكم ، فلو ثبتم على الصراط المستقيم ، وعلقتم حبل العقل المتين، واعتصمتم بالعروة الوثقى من الهدى والدين ، كنتم كنفس واحدة فى كل حال ، ذلت أوصعبت، تجمعت أو تشعبت تعرفت أو تنكرت(٥) وهكذا استمر الاستاذ يتدفق ويفيض فى تفصيل شاف وتحليل دقيق .

لقد فطن أبو سليمان الى لباب الصداقة حين سعد بمودة القاضى ابن سيار فوقع الطير على شكله ، وانجذب الشبيه الى الشبيه ، وقد أوحت له هذه الصداقة من لطائف الخواطر ، ورقيق المشاعر ماكاد يصبح به شاعرا يحلق ، لامنطقيا يغوص ، واذا كان الخلق النبيل معتصمه فيما يرتبط به من العلائق والوشائج فاننا لنعده بما انغمس فى التجربة ، وبما كتب عنها ـــ أو تحدث ـــ من الآراء ، أستاذ خلق وباحث اجتماع .

---

(١) الصداقة والصديق ص ١٠١ .
(٢) الصداقة والصديق ص ٥٤ .
(٣) الصداقة والصديق ص ١٠٣ .
(٤،٥) الصداقة والصديق ص ٥٥ ، ٥٦ .

ألف مليون مسلم

— ٤ —

امانة الانسان فى الأرض

لقد أصبح المسلمون اليوم يملكون الطاقة والثروه والتفوق ابشرى وهم على أبواب استيعاب تكنولوجيا العلم بحيث يستطيعون استغلال مساحات واسعة من الأراضى وقدرات هائلة لم تستغل بعد ، تعد دور عالم الاسلام بعد أن نضبت آبار الغرب وثرواته ومصانعه التى عملت بخامات المسلمين أربعة قرون أو يزيد وسوف تكون حضارة الاسلام متميزة بطابع العدل والرحمة والاخاء الانسانى ، أن المسلمين اليوم ينتقلون من عصر اليقظةالى عصرالنهضة مرورا بمرحلة الرشد والاصالة والحفاظ على الشخصية والتماس المنابع .

ان المسلمين يقفون اليوم موقف الحيطة والحذر فهم لا يتقبلون حضارة الغرب المتهالكة فى شقيها المتصارعين ، ولكنهم يقبلون من الغرب العلوم التجريبية وحدها ، اما اسلوب العيش فهم يرفضونه لانه يتعارض مع قيمهم وعقيدتهم ومفاهيمهم القرآنية الاسلامية .

ان الغرب الان يتطلع الى عالم الاسلام ليرى فيه صورة الاسلام مطبقة ، بعد ان تحررت الامة الاسلامية من التبعية للنفوذ الاجنبى والصهيونية والشيوعية ، ان الصورة الآن فى الغرب تكشف عن انه يتقدم تقدما شديدا وحاسما نحو الاسلام

يقول الدكتور محمد يحيى الهاشمى : يكاد يكون اليوم فى كل قطر اوربى من رعايا المسلمين. للاسلام قوة روحية لا تنكر فقد اخذ يتجه نحو الغرب الى اوربا وامريكا واصبحت شعوب اوربا وامريكا تقبل على دين جديد بالنسبة لهم ، جدير باعطاءنفوسهم الراحة والسلام ، لانه دين لا يتعارض مع الفطرة والعلم والمعرفة وجدير بالتقدم البشرى والاقبال شديد فى امريكا على اعتناق الاسلام من قبل الزنوج والامريكيين وتوجد جاليات اسلامية فى انجلترا وفرنسا وهولندا وبلجيكا والدنمرك والسويد وفنلندا وليتوانيا واسبانيا واليونان وسويسرة ورومانيا وبلغاريا وبولونيا والبانيا ويوغسلافيا وايطاليا والنمسا والمجر ، لهم مراكز ومساجد يدرس فيها القرآن والحديث ، وتوجد كثيرا من الجمعيات الاسلامية فى نيويورك وواشنطون وسان فرانسيسكو وكاليفورنيا وفى امريكا الجنوبية جاليه اسلامية كبرى فى بونس ايرس عاصمة الارجنتين وصحيفة اسلامية .

ان معجزة الاسلام الكبرى فى العصر الحاضر تتمثل فى نموه بخطا وئيدة الى الامام .. فاذا اضفنا الى ذلك ان جورج برناردشو الكاتب الايرلندى الشهير صرح منذ سنوات ان الاسلام القابل للتجدد سيكون دين اوربا ان قريبا وان بعيدا .

كل هذا يعطى الداعية المسلم أبعاد المسئولية الملقاة على عاتقه اليوم لحمل امانة الاسلام الى تلك الاصقاع ، متجردا لله تبارك وتعالى غير صريح على مغنم دنيوى .

وفى عالم الاسلام اليوم قد تبين بجلاء ووضوح ان التماس المنابع والعودة الى الاصالة هى الحد الحافظ من الوقوع فى براثن ازمة الانسان المعاصر بعد ان تبين ان منهج الله تبارك وتعالى الذى هدى اليه الامة الاسلامية يحمل عدة عوامل مميزة عن المنهج البشرى : تكامله ونظرته الجامعة فى مواجهة الأنشطارية الغربية ، رحمته وسماحته فى مواجهة الدعوة الغربية الى قتل الضعفاء والتخلص من المرضى والفقراء ، التماس وجه الله تبارك وتعالى فى مواجهة الاستعلاء العنصرى واللونى والجنسى ومحاولة جعل القوة المادية لقوم دون قوم .

لقد تبين للمسلمين ان لكل حضارة خصائصها المميزة المستمدة من مواريثها وثقافتها وعقيدتها وان الميراث الاسلامى متصف بالتوجيه والرحمة والعدل ، ولقد جرب المسلمون اساليب الايدلوجيات ومناهجها وتكشف لهم انها لم تستطع ان تقدم لهم مطامحهم النفسية والروحية ، ولذلك فانهم حين يعودون الى المناهل الاصيلة فانما يتلمسون الطريق الصحيح .

« وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله »

وكذلك فقد تبين للنفوذ الاجنبى ان كل محاولاته التى قام بها من عمليات التبشير والتغريب والغزو الثقافى كوسيلة لاذلال المسلمين الى جانب

على أبواب القرن الخامس عشر الهجري

الأستاذ أنور الجندي

ان من مهمة الدعاة الى الله تبارك وتعالى فى هذه المرحلة الدقيقة من حياة الامة الاسلامية ان يحرروا الشخصية الاسلامية من التبعية بكل صورها والوانها ، والتوصل الى تأسيس مدارس وتأصيل اتجاهات اسلامية تسعى وتستوعب العلوم الحديثة وتفرعها فى « اطار اسلامى » وعليناتأصيل الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

السيطرة الاقتصادية والمالية لم تحقق نتيجة تذكر ، وان الاسلوب الاصلح هو اعطاء هذه الامة حقها الكامل فى تطبيق اسلوب العيش الذى تشكلت عليه والفته منذ أربعة عشر قرنا وان المسلمين بعد ذلك هم أهل رحمة واخاء وعطاء مادامت القوى الكبرى لا تطمع فى غمط حقهم ، لقد كانوا عونا للتقدم العالمى فى كل المراحل :

يقول المؤرخ الانجليزى هونشو : لقد خرج الصليبيون من ديارهم لقتال المسلمين فاذا هم جلوس عند أقدامهم يأخذون عنهم افانين العلم والمعرفة ، وقال جيمس برستد ان العصر الاسلامى فى أسبانيا كان اكبر عامل من عوامل المدنية فى اوربا وان انخذال المسلمين فى اسبانيا كان بمثابة انخذال المدنية امام الهمجية ولكن بدا الغرب فى صورة غير المعترف بالجميل وغير المنصف للحقيقة العلمية او التاريخية وكان فى مفهوم ثقافته لا يرغب الا فى السيطرة ولا يرى العدل والحرية الا للجنس الابيض » .

والعالم كله يعرف الآن ان المنهج التجريبى كان من عمل المسلمين وانه هو اساس الحضارة الحديثة — فى مجال العلوم التجريبية والتكنولوجيا — فمن حق المسلمين ان يحصلوا على هذه العلوم ليديروها فى دائرة فكرهم الاسلامى ، لا ان يخضعوا لمفاهيم الغرب التى احتوت هذه الحضارة من بعد وخاصة فى تجربتها الاجتماعية التى هدمت الاسرة واحدثت اضطرابا شديدا فى علاقات المراة والرجل وفى كل ما يتصل بالفنون والمسرح والربا والقمار وغرف الليل .

ان التجربة الغربية لاسلوب العيش الذى طبقتها بعض الدول الاسلامية جريا وراء اسلوب الغرب قد جمدت قدرتها على التقدم الحقيقى ، ولم تكسب منها شيئا ذا بال ، ولقد عادت تركيا الاسلامية مرة أخرى الى اصالتها بعد ان غرقت فى التجربة الغربية ، وكذلك اخذت ايران وباكستان فى التماس المنهج الاسلامى الاصيل ، اما العرب فقد كانوا اقدر على التحرر من نفوذ الايدلوجيات الغربية بعد ان مروا بتجربة النظام الليبرالى والنظام الماركسى ولم تجد من احدهما قدرة على العطاء ، ولقد تعالت صيحات الاصالة فى العودة الى تطبيق الشريعة الاسلامية والحفاظ على اللغة العربيه وتحرير الاقتصاد من النفوذ الربوى المدمر .

ولا ريب ان ظاهرة « العودة الى الله » التى تمضى اليوم فى طريقها الاصيل تكشف عن جوهر هذه الأمة القادرة فى أوقات الأزمات والمحن أن تلتمس اصالتها من مصادرها الاصيلة ومنابعها الثرية ، متحررة من كل نفوذ أجنبى وقادرة على الاخذ والعطاء مع الحضارات والامم دون ان تفقد ذاتيتها الخاصة ولا طابعها الاصيل .

ولقد ترددت صيحات كريمة تدعو العرب والمسلمين اليوم الى ان لا تحولهم المقدرات المادية عن وجودهم الذاتى وكيانهم الخاص وطابعهم الاسلامى وان يكونوا قادرين على نقل احدث مستحدثات العلم والتقدم والحضارة المادية لتكون موادا خاما يصنعونها داخل اطار فكرهم وقيمهم وبذلك يصنعون الحضارة القادمة : حضارة القرن الخامس عشر الذى يتطلع اليه المسلمون كعلامة على عصر جديد تعود الكرة منه مرة أخرى الى أيدى العرب والمسلمين . ولنكن على عظة من مقتل الحضارة الغربية الذى اسلمها الى الازمة الخانقة والصراع بين القوى مع ما امتلكته من اسباب التقدم المادى وهو انها كسرت الاطار الديني والاخلاقى الذى هو الحاجز الحامى لكل نهضة من التعثر والتصدع وقد مضت تواجه الحياة بغير سناد حقيقى يحمى ظهرها او نور صادق يضيء طريقها وبذلك صرعتها المادية الغالية وانحرفت بها الطرق الى تأكيد اهواء النفس وتغليب الترف والملذات والشهوات وهذه ازمة الانسان الحديث وصراعه وتمزقه وغربته وضياعه ، نتيجة تجاهله أشواق الروح ونداء الوجدان وصيحة الضمير ، وتمزق الكيان الانسانى وتجاهل مسئولية الانسان والتزامه الاخلاقى وامانته التى حملته اياها اديان السماء، فليحذر المسلمون اليوم وهم على الطريق الى امتلاك ادوات الحضارة الحديثة ان تستوعبهم الحضارة أو تحتويهم وعليهم أن يصيغوا حضارتهم فى اطار التوحيد والرحمة والاخلاق .

التصوف والفلسفة

الإسلامية

الصوفية في إلهامهم

صدقتك على نفسك

يقول سيدى الامام القشيرى فى لطائف الاشارات رضى الله عنه : الصدقة على أقسام : صدقتك على نفسك ، وصدقتك على غيرك ، فأما صدقتك على نفسك فحملها على اداء حقوقه تعالى : ومنعها من مخالفة أمره ، وقصر يدها عن أذية الخلق ، وصون خواطرها وعقائدها عن السوء ، وأما صدقتك على الغير فصدقة بالمال وصدقة بالقلب وصدقة بالبدن ، فصدقة بالمال بانفاق النعمة ، وصدقة بالبدن بالقيام بالخدمة ، وصدقة بالقلب بحسن النية .

الأستاذ
حسن كامل الملطاوى

أقول : والنفس أمارة بالسوء كما وصفها سيدنا يوسف الصديق عليه السلام ، ومعنى أنها أمارة أى شديدة الامرة فهى ليست آمرة فحسب بل أمارة بقوة ، وهى اذن تحتاج الى همة عالية وعزم بالغ فى مخالفة هواها بعون من الله تعالى ، وقد وعد الله بعونه المجاهدين أنفسهم فى مرضاته بحملها على الطاعات وترك المخالفات ، لأنها بطبعها تميل للراحة وتصبو للشهوات ، وتستحب العاجل على الآجل ، وقد جاء وعد الله فى سورة العنكبوت بقوله الكريم **((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين))** . ويقول سيدى الامام أبو عمرو الزجاجي رضى الله عنه : كان الناس فى الجاهلية يتبعون ما تستحسنه عقولهم وطبائعهم، فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فردهم الى الشريعة والاتباع ، فالعقل الصحيح هو الذى يستحسن محاسن الشريعة ويستقبح ماتستقبحه وقد سئل سيدى الامام جعفر الخلدى عن العقل فقال : العقل ما يبعدك عن مراتع الهلكة .

وقد نفى الله تعالى العقل عمن لم يؤثر أخراه على دنياه . ويقول سيدى الامام شقيق البلخى رضى الله عنه : عملت فى القرآن عشرين سنة حتى ميزت بين الدنيا والآخرة فأصبته فى قوله تعالى فى سورة القصص **((وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون))** فقوله سبحانه **((أفلا تعقلون))** ينفى به العقل عمن لم يؤثر ما يبقى على ما يفنى فيتلهى بالدنيا الفانية عن السعى للآخرة الباقية .

وقد سئل سيدى الامام أبو العباس السيارى:

بم يروض المريد نفسه وكيف يروضها ؟ فقال رضى الله عنه : بالصبر على الأوامر ، واجتناب النواهى ، وصحبة الصالحين ، وخدمة الرفقاء، ومجالسة الفقراء ، والمرء حيث وضع نفسه ، ثم تمثل وأنشد يقول :

صبرت على اللذات حتى تولت
وألزمت نفسى هجرها فاستمرت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى
فان أطعمت تاقت والا تسلت
وكانت على الأيام نفس عزيزة
فلما رأت عزمى على الذل ذلت

ويقول سيدى وشيخى الشيخ على عقل فيما نقلناه استماعا من الهامه الفورى ، رضى الله عنه :

اخى لا تغرنك الحياة وزيفها
فما هى حظ الناسك المتزهد
ودونك أيام أمامك غيرها
فان زال عنك الأمس فانظر الى الغد
وحاضرك اقرنه بماضيك عبرة
ونفسك عودها الحساب لتهتدى
سريرتك احفظها لربك وحده
فان نقاء القلب أصل التعبد
وأقبل على مولاك يقبل بفضله
عليك ووجه نحوه القلب تحمد

والمتزهد فى البيت الأول أى المتعبد ، يقال تزهد بمعنى تعبد .

وما أروع ما يقول السادة الصوفية فى حكمهم حين قالوا : نفسك كالدابة ان ركبتها حملتك وان ركبتك قتلتك . ويقول سيدى الامام ابراهيم القصار رضى الله عنه : أضعف الخلق من ضعف عن رد شهواته ، وأقوى الخلق من قوى على ردها . وقد أمر سبحانه المؤمنين بأن يتقوه حق تقاته ، فقال تعالى فى سورة آل عمران **«يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون»** وقد فسر شيخنا عبد الله بن مسعود **« حق تقاته »** بقوله رضى الله عنه : هو أن يطاع الله فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى . وكذلك قال تعالى فى سورة الحج **« وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير »** فبين لنا سبحانه أن نعمة الاسلام تقتضى منا شكر الله تعالى بجهاد أنفسنا فى مرضاته بكل استطاعتنا ووسائلنا من الأبدان والقلوب والأموال وكيف لا وهو الذى خلقنا بقدرته ورزقنا من جوده ورضى لنا الاسلام دينا وشرفنا فسمانا فى الكتب السابقة وفى القرآن الكريم المسلمين وهو أسمى شرف على هاماتنا ، أدامه الله علينا حتى نلقاه به بيض الوجوه يوم القيامة .

ومما يقول سيدى الامام القشيرى فى لطائف اشاراته عند الآية الكريمة السابقة — رضى الله عنه :

« **حق جهاده** » حق الجهاد ما وافق الأمر فى القدر والوقت والنوع ، فاذا حصلت فى شىء منه مخالفة فليس حق جهاده .

ويقال : المجاهدة على أقسام : مجاهدة بالنفس ، ومجاهدة بالقلب ، ومجاهدة بالمال . فالمجاهدة بالنفس ألا يدخر العبد ميسورا الا بذله بالطاعة بتحمل المشاق ، والمجاهدة بالقلب صونه عن الخواطر الرديئة مثل الغفلة ، والعزم على المخالفات ، وتذكر ما سلف أيام الفترة والبطالات ، والمجاهدة بالمال بالبذل والسخاء ثم بالجود والايثار .

ويقال : حق الجهاد الا يفتر العبد عن مجاهدة النفس لحظة .

« هو اجتباكم » يحتمل أنه يقول من حق اجتبائه اياكم أن تعظموا أمر مولاكم ، ويحتمل أن يقال هو الذى اجتباكم ، ولولا أنه اجتباكم ما جاهدتم ، فلاجتبائه اياك وفقك حتى جاهدت ..

« **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** » الشرع مبناه على السهولة ، والذى تصل به الى رضوانه وتستوجب جزيل فضله واحسانه ، وتتخلص به من أليم عقابه وامتحانه يسير من الأمر لا يستغرق كنه امكانك ، بمعنى أنك لو أردت فعله لقدرت عليه . .

ومما قال سيدى الشيخ على عقل فى جهاد نفسه واعتزازه بربه فيما نقلناه من الهامه المرتجل — رضى الله عنه :

تعب النفس فى الحياة دواها
نالت العز والمنى بعناها
تعبت ليلا فاستراحت نهارا
وجدت كنزها بنور دجاها
كل شىء له انتهاء ولكن
فضل رب العباد لا يتناهى

ان أمنيتى فنائى بحبى
وهو نعم البقاء فى محياها

كل روح تفرغت لرضاه
سعدت بالقبول من مسعاها

قبلتى فى الصلاة ساعة وقت
كم مصل بعد الصلاة تلاهى

انما قبلتى جميع حياتى
هى ذات الاله لن أنساها

فمسائى مع اليقين نهار
ونهارى سعادة برضاها

وأطال ، قدس الله سره ، كلامه المتدفق من عطاء الله لأوليائه وانتهى الى قوله :

آنس الله مهجتى بعلوم
مزجتنى بها فكنت وعاها

طاف بى النور فالمعارف بحرى
تلفظ الدر وهى لا تتناهى

نسبتى للاله أعظم جاه
قد أخذت الرحمن ذخرا وجاها

وارتقاء الأرواح فى مورد العلم
يصفى الأرواح من دنياها

وانعدام الأهواء والحس منها
هو معنى السمو فى مسراها

يا سرورى بقوله يا عبادى
أنا فى سمعها أنال رضاها

وفى مناسبة قوله رضى الله عنه :

انما قبلتى جميع حياتى
هى ذات الاله لن أنساها

يقول سيدى الامام يوسف الرازى رضى الله عنه : علم القوم بأن الله يراهم فاستحيوا من نظره أن يراعوا شيئا سواه . ويقول سيدى الامام منصور بن عمار رضى الله عنه : الناس رجلان : عارف بنفسه فشغله فى المجاهدة والرياضة ، وعارف بربه فشغله بخدمته وعبادته ومرضاته ، وهو القائل كذلك قدس الله سره : سلامة النفس فى مخالفتها وبلاؤها فى متابعتها ، ويقول سيدى الامام أحمد الانطاكى رضى الله عنه: اعمل على أن ليس فى الأرض أحد غيرك ، ولا فى السماء أحد غيره . أقول ومؤدى هذه النصيحة الأخيرة أن يكون الله تعالى هو شغلك الشاغل فى كل أوقاتك فى سرك وجهرك .

وفى هذا المقام اذكر تحدثا بنعمة الله انى أويت الى فراشى ذات ليلة واخذتنى سنة من النوم ، ماذا بالآية الكريمة من سورة مريم **(رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا)** ترد على قلبى فانتبهت من نومى وقلت حاشا أن يكون لك سمى لأنك سبحانك الواحد الأحد ، وكلما أخذت فى النوم شاغلتنى تلك الآية بنورها وأيقظتنى مرة بعد مرة حتى حانت صلاة الفجر ، وكانت تلك الليلة من أسعد الليالى فى حياتى كلها . والاصطبار هو نهاية الصبر ، والعبادة تكون بتوحيده والعمل بأمره ونهيه وبذل غاية الجهد فى مرضاته اذ ليس كمثله شئ ولا رب غيره ولا معبود بحق سواه لا اله الا هو الكبير المتعال .

ويعجبنى قول القائل من السادة الصوفية يخاطب ربه تعالى :

وما تنفست الا كنت مع نفسى
تجرى بك الروح منى فى مجاريها

وحق له أن يقول ذلك ، فانما نتنفس بهواء خلقه بقدرته لصيانة حياتنا ، وهو الذى خلق فى كل بدن من أبداننا الرئتين اللتين نتنفس بهما شهيقا وزفيرا . وقد دخل زائر على بعض السادة الصوفية فوجده متفكرا ، فسأله : فيم تتفكر ؟ قال أتفكر فى عجزنا عن شكر الله سبحانه وتعالى ، فلقد أحصيت أنفاسى التى اتنفسها شهيقا وزفيرا فوجدتها بلغت الف نفس فى ساعة واحدة ، فكل منا يتنفس فى اليوم والليلة على هذا الأساس أربعة وعشرين الف نفس ، ولله عليه فى كل نفس منها نعمة تشكر ولا تكفر ، فاذا كان سبحانه له فى باب واحد من أبواب حياتنا وهو النفس تلك الآلاف من النعم ، فكيف نحصى نعمة فى سائر أسباب الحياة من طعام وشراب ولباس وصحة وغير ذلك من النعم الدنيوية الظاهرة التى لا نحصيها ، واذا عجزنا عن احصائها فنحن عاجزون عن شكرها ، واذا عجزنا عن شكر النعم الدنيوية الظاهرة فنحن أعجز عن شكر النعم الدينية الباطنة من العقيدة الصحيحة وما يترتب عليها من سعادة الدارين ، **« ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده »** .

ومن روائع ما قال سيدى الامام احمد الرفاعى قوله رضى الله عنه : جمال القلب بالخوف ، وجمال العقل بالفكر ، وجمال الروح بالشكر ،

وجمال اللسان بالصمت ، وجمال الوجه بالعبادة، وجمال الدنيا بترك الخواطر ، وجمال الفؤاد بترك الحسد : وجمال النفس بالمخالفة ، وجمال السر بالصبر ، وجمال الحال بالاستقامة ، وجمال السير بالتسليم ، وجمال الخدمة بالأدب ، وجمال الكلام بالصدق ، وجمال الطريق بموافقة الشرع ، وجمال الكل بتوفيق الله . وسيدى الامام احمد الرفاعى قدس الله سره هو القائل كذلك : طريقى دين بلا بدعة ، وهمة بلا كسل ، وعمل بلا رياء ، ونفس بلا شهوة ، وقلب عامر بالمحبة .

ومن الدعوات الطريفة التى دعا بها سيدى وشيخى الشيخ عبد السلام الحلوانى اثناء الحرب العالمية الثانية قوله نور الله مرقده :

اللهم انى اسألك أن تبث الايمان فى قلبى بثا ، فتجعله فى أعضائى وأحشائى وفؤادى وروحى منبثا ، اللهم جنبنى الهموم ، وادفع عنى جيش الشيطان ، فلا تجعل له على سبيلا ، اللهم لا تجعل قلبى له هدفا حتى يتسلط عليه بمعداته ومصوباته ، فانى ضعيف لا أتحمل القصاص ، فيصوب على الرصاص ، فانى موقن بان المعاصى تزيل النعم ، وانعم على بشكرك على نعمك ، خصوصا نعمة الايمان ، فانى موقن أنك سريع النقم لمن لا يشكر نعمتك ويرعاها بترك المعاصى ، فلا تجعل للشيطان على سبيلا .

واجعل قلبى شديد الايمان بك ، فلا يعبأبحرب الشيطان ومعداته ، بل هو بقوة الله يصول ويجول ، فقوة الله هى الحصن الحصين ، والركن المكين وهى القوة والعدة ، وهى الحبل المتين ، فاجعلنا يا مولانا بها نتمسك ونفوز ، ومن جميع المصاعب نجوز ، **« قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا »** ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

وقد كتب رضى الله عنه ذلك الدعاء فى رسالة بعث بها ابان الحرب لتلميذه المبارك وأخى فى الطريق المرحوم السيد / سالم جمعه حين هاجر من الاسكندرية عندما دارت رحى الحرب العالمية فى العلمين بصحرائنا الغربية ، ولعله أراد أن يطمئنه ويقوى جأشه من باب الاشارة .

وقد ختم رضى الله عنه الرسالة بقوله : أسأل الله لى ولكم العافية والوثوق بالله ، وأن يجعلنا واياكم من المطمئنين به المتمسكين بحبه وحب نبيه صلى الله عليه وسلم وأن يهدينا واياكم سواء السبيل .

ومع ما يبدو فى دعاء سيدى الشيخ عبدالسلام من دعابة جميلة فانه يعلمنا به ان الايمان الحق يقتضى من المؤمن اجتناب المعاصى ، لأن اقتراف المعاصى يتعارض مع شكر نعمة الايمان وتقدير فضل الله علينا فى انعامه علينا به ، وقد أبرز الله تعالى لنا فضله علينا فى القرآن والايمان فقال سبحانه فى سورة يونس **« يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون »**

فالغنى هو غنى القلب لا غنى الجيب ، وقد وعد الله المؤمن التقى بحمايته من الشيطان وكيده ، فقال تعالى فى سورة الحجر للشيطان الرجيم **« قال هذا صراط على مستقيم ، انعبادى ايس لك عليهم سلطان الا من اتبعك منالغاوين، وان جهنم لموعدهم أجمعين » .**

وبين سبحانه لنا فى سورة الاسراء أنالصالحين فى حماية ربانية من أسلحة الشيطان القوية ، وليقرأ القارىء العزيز قولهتعالى فىسورة الاسراء **« واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا . قال أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا . قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا . ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا » .**

فانظر كيف هدد أن يستأصل أغلب بنى آدم باغوائهم وتحريضهم على الكفر والمعاصى واستثنى من غوايته القليل وهم عباد الله الصالحون وكيف أكد الله سبحانه حماية هؤلاء الصالحين من تسلط الشيطان عليهم ، وكفى بالله تعالى حافظا من الشيطان وجنده وأنعم به سبحانه حاميا من شره وكيده .

ويقول سيدى الامام أبو عثمان النيسابورى رضى الله عنه : الموفق من لا يخاف غير الله ولا يرجو غيره فيؤثر رضاه على هوى نفسه وهو القائل كذلك : اصبر على الطاعة حتى لاتفوتك الطاعة ، واصبر عن المعصية حتى تنجو من الاصرار على المعصية .

وقد سئل رضى الله عنه : ما علامة السعادة والشقاوة ؟ فقال : علامة السعادة أن تطيع الله وتخاف أن تكون مردودا وعلامة الشقاوة أن تعصى الله وترجو أن تكون مقبولا .

ويقول سيدى الامام ابو عبد الله بن الجلاء رضى الله عنه : سمت هِمم العارفين الى مولاهم فلم تعكف على شيء سواه ، وسمت همم المريدين الى طلب الطريق اليه فأفنوا نفوسهم فى الطلب.

أقول : ولا يستطيع المريد وحده أن يربى نفسه بنفسه فى طريق التصوف الذى يسعى به أهله الى مقام الاحسان وقد عرفه مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلوات الله وسلامه عليه : الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه ، فانه يراك » . ويأخذ الخلف عن السلف تربيتهم الدينية العالية طلبا لمقام الاحسان جيلا بعد جيل من بداية الاسلام . والأئمة المرشدون مهيأون بفضل الله لما خلقهم الله له . ويقول فى شأنهم سيدى الامام جلال الدين الرومى فيما ترجمه عنه من الفارسية صديقى العلامة الشيخ الصاوى شعلان مد الله فى عمره وزاده من عطائه:

« سبحان من قدر فهدى ، ووفق كل كائن للغاية من فطرته ، ان الهام النحل هو الشهد ، والهام حشرة القز نسج الحرير ، والهام البلبل أغانى السحر ، والهام رجال الله نور يشهدون به ملكوت السموات والأرض .

صدقوهم هم مصابيح الدجى
أكرموهم هم مفاتيح الرجا

« اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون »

وقد وصف الله تعالى عباد الرحمن المتقين بأوصافهم التى ترضيه ، وبين سبحانه فيما وصفهم به فى سورة الفرقان أنهم يدعون ربهم أن يجعلهم أئمة يقتدى بهم أهل التقوى وقال تعالى فى ذلك « والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما » ومن فضل الله على عباده أن هؤلاء الأئمة يوجدون فى كل جيل من أجيال الأمة المحمدية ويدلنا على ذلك قوله سبحانه فى سورة الأعراف « وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » ويقول صلى الله عليه وسلم : « لا تزال من أمتى طائفة على الحق الى أن يأتى أمر الله » ويقول سيدى الامام أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه اوصانى حبيبى — أى شيخى — فقال : لا تنقل قدميك الا حيث ترجو ثواب الله ، ولا تجلس الا حيث تأمن من معصية الله ، ولا تصحب الا من تستعين به على طاعة الله ، ولا تصطف لنفسك الا من تزداد به يقينا .

اقول وكفى عظة للمؤمنين فى الأخذ عن الصادقين من الائمة الهداة المرشدين أن يقص علينا سبحانه فى سورة الكهف من سعى سيدنا موسى عليه السلام — وهو صاحب التوراة وكليم الله — الى الالتقاء بسيدنا الخضر عليه السلام بعد سفر طويل ويقول له عند لقائه **« ... هل اتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا »** وقد زكى سبحانه سيدنا الخضر بقوله الكريم **« فوجدا عبدا من عبادنا أتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما »** وهو علم لدنى دل عليه قوله تعالى فى آخر القصة **« ... وما فعلته عن** أمرى ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا » وفى تلك القصة الرائعة التى قصها سبحانه علينا عبرة بالغة لمن تدبرها وأخذ منها أن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام حرص على علم القلوب فالتقى بسيدنا الخضر عليه السلام ليأخذ عنه مما أهله الله له من عطائه لأوليائه وأصفيائه ، وان كان سيدنا موسى صاحب الرسالة أرفع درجة منه لأن المزية لا تقتضى الفضيلة — فكيف يستنكف المؤمن العادى من صحبة العارفين من أهل التقوى ليأخذ عنهم علم القلوب وهو علم التصوف الداعى الى ايثار الله عما سواه طلبا لرضاه ، والله خير وأبقى . وقد استنتج العلماء العارفون من القصة أنه يجب على كل مؤمن أن يأخذ علم التصوف من أهله العارفين الصادقين .

وما أروع ما نقلناه استماعا من الهام سيدى وشيخى الشيخ على عقل حين قال ارتجالا :

وعندى أن الأمر ليس كما ترى
فلابد من سوق القلوب لمن يدرى
اذا لم يكن للنفس شيخ له هدى
يؤدبها بالروح زاغت عن السير
ولا يعبر البحر الخضم ونواه
سوى ماهر يدرى الملاحة فى البحر
ولولا اتصال الكهرباء بأصلها
على موجة التيار مانورها يسرى

وجزى الله عنا شيوخنا خيرا كثيرا وجعلنا أهلا للانتساب اليهم يوم يتحقق قوله تعالى « يوم ندعو كل أناس بامامهم » آمين ..

الدين

فى تصور مذهب المنفعة

وموقف الاسلام منه

الدكتور حسن محرم الحوينى

يقتضينا البحث فى هذا الموضوع أن نتناول قضيتين . قضية خاصة بتناول أنصار مذهب المنفعة (البرجماتية) للدين وتصورهم له . والقضية الثانية تختص بتقويم الدين الاسلامى لهذا التصور أو تلك العقيدة مع التجوز فى التعبير .

والحديث عن القضية الأولى يدعونا أن نقدم عرضا وافيا على وجازته لمفاهيمهم الدينية . وستكون عنايتنا فى هذا العرض أكثر ما تكون بما لدى وليام جيمس من مباحث حول المشكلة الدينية ، اذ أنه من ناحية أشهر الممثلين للمذهب البرجماتي ومن ناحية أخرى هو أكثر البرجماتية عناية بالدراسة الدينية . فمن أشهر كتبه فى ذلك كتاب (أنواع من التجربة الدينية) وسنعتمد فى هذه الدراسة على كثير من نصوصه المترجمة . والمذهب البرجماتي فى موقفه من الحياة لا يتصورها نظاما آليا بحيث يحياها الانسان مجبرا تحكمه الضرورة المطلقة . وانما كان تصور البراجماتية للحياة انها حقيقة مرنة تكشف عنها التجربة ونثبت فيها وجودنا بالعمل ، أو بعبارة أكثر تحديدا أن تحققها يكون بمقدار ما تتجاوب مع حاجات الانسان ورغباته وميوله . ومن ثم كانت الحقيقة ممثلة عند هذا المذهب فى الفكرة بمقدار ما تترجم الى واقعة عملية ، أو بمقدار ما تحقق لنا نتائج عملية مرضية لحاجاتنا البشرية ، وينسحب هذا

التحديد بطبيعة الحال على الحقيقة المعنوية ، اذ يمكن القول أنها هى ما كانت مفيدة أو مرضية للفكر الانسانى (مادام العالم العقلى هو جزء من الواقعى ، واذن فالحقيقة لا تزيد على أنها انبجاس من التجربة البشرية على ضوء الانتاج المفيد فى الحياة بنوعيها الحسى والعقلى)(١) .

ومن هنا فقد اعترف المذهب البرجماتى بحقية الدين والأخلاق من حيث ان كلا منهما يفى بتحقيق قدر من الحاجات البشرية والرغبات الانسانية .

الدين تجربة شخصية :

ولكن الدين تجربة شخصية فى نظر هذا المذهب بمعنى ان اتباعه وخاصة وليام جيمس لم يعنوا

---

(١) راجع الدكتور محمد غلاب — مشكلة الالوهية ص ١٤٣ .

بالأسس النظرية أو المصادر المدونة أو التراث الدينى بوجه عام . وانما تركزت عنايتهم بالتجربة الدينية لا بمعناها العام ، بل بمعناها الشخصى بحيث تتعدد التجارب بقدر ما هنالك من اشخاص متدينين .

والتجربة الدينية فى ظل هذا المذهب على اختلاف صورها ذات خاصيتان مشتركتان بين هذه الصور احداهما : قلق مبعثه الألم أو الشر . والأخرى: شعور بالنجاة من الألم أو الشر بفضل قوة عليا تشهد بفعلها فى حياة النفس نتائجه الحسنة . ويذكر عن وليام جيمس أنه قد مر بالتجربة الدينية حين مرض وهو فى التاسعة والعشرين . وقد كان شفاؤه بسبب قبوله لفكرة العون الالهى . فآمن بالتجربة الدينية وأفضت به دراسته لها الى انها تجربة تفوق التجربة العلمية غنا وعمقا .

ولكننا اذا أردنا أن نقف على شىء أكثر تحديدا لمفهوم الدين فى تصور المذهب البرجماتى ألفيناه لا يتعدى التجربة النفسية التى تسمى التدين ، أى أنه اذا كان الدين ذا مظهرين : احدهما باطنى والآخر ظاهرى ، فان المعتبر والأساس هو المظهر الباطنى المتمثل فى ذلك الشعور الداخلى بالدين أو تلك العاطفة الباطنة دون الفرائض والطقوس ، أو مجموعة المبادىء التى تتمثل فى الآثار الخالدة الصادرة عن الوحى وما الى ذلك .

واذا كان الدين أمرا شخصيا فى جوهره كما يزعمون فانه لا يعنيهم أن يقفوا على الأسس النظرية التى يقوم عليها . وانما الذى يعنيهم هو الوقوف على ثماره ونتائجه . ولذلك كان الدين مرتبطا بالحياة ارتباطا وثيقا . حيث يحيا كل شخص وفقا لمزاجه الدينى . ولذلك نرى وليام جيمس يقرر أن الشعور الدينى هو عبارة عن شعور بالانسجام الباطن العميق ، شعور السلام والراحة والاغتباط ، شعور بأن كل شىء يسير على ما يرام فى داخلنا وفى العالم الخارجى أيضا .

ولعل ما تميز به الشعور الدينى من الخُصب والقدرة على العطاء على هذا النحو ــ فيما يرى هو واتباعه ــ انما مرده الى انطواء ذلك الشعور على الاحساس بأن ثمة مشاركة بيننا وبين قدرة أعظم من قدرتنا وينطوى كذلك على الرغبة فى التعاون مع تلك القدرة على تحقيق معانى التوافق والسلام والمحبة . وهذه القدرة هى قدرة الموجود الأعظم الذى نسميه الله أو مبدأ الالوهية ، وهو الذى ساقتنا التجربة الدينية الى الاتصال به لا شعوريا على نحو ما سبق .

وقد اهتم جيمس فيما يتعلق بمظاهر الحياة الدينية وتحليلها على وجه الخصوص بدراسة العقائد الثلاثة التى تعود الى التجربة الدينية فيما يرى . **فأما العقيدة الأولى :** فهى التى تتمثل فى أن هناك عالمين أحدهما وهو المنظور أو الحسى ، يستمد قيمته من الآخر وهو غير المنظور أو عالم الالهة ، ويمكن أن تتضح هذه العقيدة بما يصوره جيمس من ذلك التحول الدينى الذى يقترن دائما بالشعور بفعل فائق للطبيعة من شأنه أن يغير من حياتنا بطريقة عميقة وحاسمة .

وأما العقيدة الثانية : فهى التى تتمثل فى اتحاد الانسان بالعالم اللامنظور أو بالله . وهى ما يمكن حصرها فى الحالات الصوفية وعنها ينتج التحول فى مركز الطاقة الشخصية للانسان ، وهى أرقى صور الشعور النفسى ، بل هى من صميم الدين باعتبارها تجربة خصبة وليست انحرافات للشعور الدينى ، وهى مصدر لطاقة الانسان وحيويته من حيث تمثل علاقة بين الانسان وبين الموجود الأعلى . ومن ثم فانه يتلقى من خلالها ونتيجة لهذه العلاقة بينه وبين الله كل معانى الغبطة والرضا والأمان .

وأما العقيدة الثالثة : التى عنى بتحليلها جيمس كمظهر من مظاهر التجربة الدينية وهى الصلاة فانما تعنى تلك التجربة الدينية التى تقوم على الايمان بأن هذا الموجود الأعلى الذى يتسامى على عالمنا المحدود من شأنه أن يحدث فى هذا العالم من الأحداث ما لا يتسنى لهذا العالم أن يقوم بها أو يحدثها وحده .

واذن فا ن المذهب البرجماتى وخاصة لدى وليام جيمس انما يرى أن القيمة الحقيقية للدين انما تتمثل فى ارتباطه بالحياة واتصاله بالتجربة الخصبة التى تحقق للانسان ما يرضى حاجاته وما يوفر له المنفعة البشرية .

ولذلك نرى الغاية نفسها منعكسة على قضية ايمانه بالالوهية ، فالايمان بوجود الله ضرورى طالما يوفر لنا قدرا من الارضاء لحاجاتنا الحيوية سواء تصورنا هذا الاله معزيا ومقويا لنا ، أو منذرا ومعاقبا حسبما تقتضيه حاجة كل منا ، ومن ثم لم يعن وليام جيمس بالأدلة النظرية فى اثبات وجود الله قدر عنايته بمدى ما يحقق ذلك الايمان من اشباع حاجة أو توفير منفعة فهو حين يسأل عن الغاية من وجود الله ، لا يجيب الا لأنه لابد أن يوجد لاننى فى حاجة اليه .

والمذهب البرجماتى كما يأخذه جيمس يتصور الله ذاتا مشخصة متناهية ، ويتصور أن عقيدة

التناهى تتيح لنا تفسير وجود الشر فى العالم ، وهو ما يدفع حريتنا نحو الميل الى مشاركة الله فى محاربته ، اذ ان الله شخصية أخلاقية تمنحنا المعونة دائما للعمل على محاربة الشر فى العالم ، وهو فى ذات الوقت لا يدخر جهدا فى محاربته . وعلى هذا فلا يكون الشر دليلا على عدم وجود الله .

وطبقا لهذا المنهج ينطلق وليام جيمس فى تصوره لصفات الله اذ يستبعد من صفاته كل ما من شأنه أن يكون عديم الجدوى مجردا من المنفعة . فليس ثمة من داع لتناول صفات الوجود بالذات . والروحانية ، والأحدية ، والبساطة ، وما الى ذلك من الصفات النظرية التى لا تحقق لنا فائدة منتقيا مثل صفات القداسة ، والعدالة والعلم . مما يحقق لنا الخوف ، ومثل صفات القدرة والخيرية مما يحقق فينا الرجاء وهكذا .

ولكن هذا التصور لتلك الصفات ليس تصورا مطلقا أو بعبارة أوضح ان هذه الصفات التى يخلعها البرجماتزم على الاله يجب أن يتطابق تصورها مع تصور ذلك الاله المشخص المتناهى . فهو من حيث انه متناه يجب ألا يعرف كل شىء أو يحيط بجميع الأشياء . أى أن علم الله يجب ألا يكون علما شاملا محيطا لا متناهيا ما دامت الذات العالمة متناهية ، اذ أن أرقى الذوات وأوسعها عقلا لابد وأن تجهل بعض مالا تجهله ذوات أخرى . والله غير قادر على كل شىء وليس خالقا لكل شىء ذلك لأن البرجماتزم يزعم أن الأشياء بل العالم كله جزء من الاله . والله جزء منه ، وهو غير مباين للعالم أو متعال عليه ، بل انه ليمثل الحقيقة المثالية الباطنةفى الأشياء ، والأشياء بدورها تكون بجانبها المثالى جزءا من صميم وجوده . والشر موجود فى العالم كما قلنا . ونحن والله معا نشارك فى محاولة التغلب عليه سعيا الى تحقيق الخير . ولكن الله لا يستطيع أن يضمن لنا خيرية العالم . وبالرغم مما زعموه من أن الله غير قادر على كل شىء فانه لا ينفك يقوم باحداث تغيرات فى نظام العالم وتجديد فى تصميماته ، الأمر الذى يمكن استنتاجه من عدم سير العالم على الطريق المرسوم دائما .

ومع أن الله شريكنا فى العمل على قهر الشر فى العالم فليس له — كما يزعم جيمز — ان يحدد لنا الطريق الذى لا ينبغى أن نحيد عنه . ومعنى ذلك أنه ليس هناك مجال للتكليف الالهى طبقا لمفهوم الأديان السماوية . واذا كنا فى حاجة الى معونة الله ومساندته لنا ، فان وليام جيمس لا يكتفى بهذا المعتقد ، بل يزعم أن الله محتاج الينا بالقدر الذى يجعلنا فى حاجة اليه . وفى هذا يقول : اننى لست أرى ما يمنع من أن يكون وجود العالم اللامرئى متوقفا الى حد ما على ردود أفعالنا الشخصية بالنسبة الى مؤثرات الفكرة الدينية . وفى هذه الحالة ليس ما يمنع من ان نقول ان الله نفسه يستمد من ولائنا واخلاصنا عظمة وجوده ومقومات بقائه .

ويترتب على فرض وليام جيمس الاله شخصية متناهية أنه لم يستسغ أن يكون هذا الاله المتناهى واحدا . بل لا يرى مانعا من الشرك والتعدد . وذلك فى نظره أقرب الى مصلحة العالم . وفى هذا يقول : ان فرض الشرك ليس أقل احتمالا من فرض التوحيد . فلماذا لا نقول بوجود قوى متعددة تحكم الكون ؟ أليس من المحتمل أن يكون العالم مؤلفا من مجموعة القوى الالهية التى تتمتع بدرجات متفاوتة من الحكمة والفهم دون أن يكون بين هذه القوى العديدة اية وحدة مطلقة ؟ . ان الناس ليتصورون الله على أنه حاكم قوى أو طاغية مستبد . ولكن الله فى الحقيقة ليس الا واحدا بين معاونين كثيرين فى وسط جمهرة من مشكلى أو صائغى مصير هذا الكون الأعظم .

ومضى وليام جيمس الى القول بالتعدد على هذا النحو يتناسق مع فلسفته الاجتماعية . اذ يتصور العالم مجتمعا تحكمه الطبقية وتكونه المستويات المختلفة . فهناك العالم المثالى بما يحتويه من مجموعة الآلهة وهو الطبقة العليا ، تليها طبقات أخرى مختلفة انسانية وغير انسانية وكلها تشترك وتتعاون فى رفع مستوى العالم والعمل على تحسينه دائما . وهل الاله فيما يرى وليام جيمس ومن نحا نحوه من البرجماتية مجرد مثل أعلى ؟ أم هو مجرد صديق ومعين للانسان؟ لكنه صديق كثير المطالب متعدد الحاجات لا يزال يبعث فيما حولنا الكثير من المخاوف والعواصف التى من شأنها أن تشحذ هممنا وأن تبرز قوانا وقدراتنا العالية ؟

ان وليام جيمس قد تصور الهه على هذين النحوين .

وبعد فها هو تصور حقيقة الدين عند البرجماتية . والآن ناتى الى الكشف عن موقف الدين الاسلامى من هذا التصور ومدى تقبله أو رفضه له .

١ — أما دعواهم أن التجربة الدينية تجربة شخصية تتعدد وتتنوع بقدر ما يوجد من أفراد متدينين فأمر غير مقبول . فالدين أمر موضوعى ، بل معرفة عامة ثابتة . وذلك هو ما يتفق ويتلاءم مع معتقداته من مبدئها الى غايتها . فالدين الذى يقوم على عقيدة وجود الله لا يمكن أن يقبل أن تكون هذه العقيدة محلا لتفاوت درجات القبول . ولا أن تكون موضعا للتردد ، أو اختلاف مراتب الايمان عند المتدينين ، فعقيدة وجود الله كأساس للايمان وأصل للدين هى حقيقة موضوعية ثابتة .

٢ — وأما ادعاء البرجماتزم أن الاعتقاد الدينى أو أن الدين يصبح حقيقة بقدر ما يكون نافعا فيجعلون المنفعة هى الأساس لحقية الدين كذلك ، فهو أمر لا يقل نصيبا من الباطل عن سابقه . لأننا فى الواقع لا ندرى أى منفعة يريدون أن يجعلوها أساسا لصحة القضية الدينيه ؟ « انهم يجيبون المنفعة العليا . فنسألهم : بأى حق — وعلى أى أساس — ترتبون المنافع وتخضعون بعضها لبعض . وانتم تزدرون النظر وتنكرون أن يكون للاشياء حقائق وقيم ؟ وما قيمة المنافع العليا بازاء المنافع السفلى ونحن نعيش فى عالم مادى . والمادية مغايرة للفضيلة ، فلا الطبيعة فاضلة أو مطابقة للفضيلة بالذات ، ولا الفضيلة موجهة بالذات للنجاح فى وسط الطبيعة والموت فى آخر الأمر واقف بالمرصاد قد يبدد المنافع جميعا »(١) .

والواقع ان المنافع التى ينشدها البرجماتزم من وراء التجربة الدينية انما هى خاضعة لمقاييسهم الانسانية المحدودة ، اذ انها ولا شك مرتبطة بوجودهم فى هذا العالم المادى . ومتعلقة بذلك الدور الذى يجب أن يقوم به الانسان فى العمل على تحسين هذا العالم دون سواه . ولا ريب أن هذا النوع من المنافع انما يعود فى نهاية الأمر الى تحكم اهوائنا ورغباتنا النسبية ، وتعسف ارادتنا واختياراتنا الشخصية .

وقد عرفت أن النزعات الفردية لا يمكن أن تتلائم مع ماتتمنع به الحقائق الدينية من موضوعية وثبات ، والا فانهاستصبح مجردأفكار من خلقنانحن وفقا لأهوائنا ورغباتنا دون أن يكون لها وجود حقيقى خارجى . وعلى فرض أن الدين يسلم بمبدأ المنفعة . فان منطقه يقوم على أساس ربط الوعود والمكافأت أو الثواب والعقاب فى الحياة الأخرى بالأعمال الصالحة والسلوك الفاضل ، مما يفتح أمام الانسان آفاقا من الأمل ، ويمنحه الأمان والطمأنينة على قيمة دوره ووجوده فى هذه الحياة ، ويدفعه الى مزيد من العمل الصالح يثمر نتائجه الخيرة ويؤتى أكله الطيب .

أقول ان منطق الدين هذا لا يمكن أن يجعل المنفعة قاصرة على الأعمال فى هذه الحياة . وانما يدع قسطها الأعظم ونصيبها الأفضل فيما يدخره للمؤمنين من عظيم الجزاء وكرم المكافأة فى حياتهم الأخرى التى يظلون ينتظرونها ولا يدخرون جهدا فى تقديم ثمنها ومقابلها من العمل الصالح حتى اللحظات الأخيرة من حياتهم .

على أن هذا المعنى الدينى الذى يقوم على أساس الربط بين العمل والجزاء لا يحقق المرتبة العليا من السلوك الدينى . وأقصد بتلك المرتبة أن يكون ما يقدمه الانسان المؤمن ، وما يبذله من طاعة أسمى من أن يصبح طمعا فى ثواب ، أو **خوفا من عقاب . وانما يصبح** تدينا محضا لذات التدين ، ولأن الله يحب أن يراه حيث أمره ، ويكره أن يراه حيث نهاه . ومن ثم يصبح حب الله وارضائه هدفا فى ذاته للمتدين دون طلب لأجر على العمل ،وهذا ما ينبغى أن يفهم الدين فى اطاره لمن اراد أن يقوم بتجربة دينية حقيقية ، الأمر الذى جعل رجلا كابن سينا فى بعض اشاراته يشبه المؤمن الذى ينتظر من الله مقابلا لعمله بأجير السوء الذى لا يحب أن يعمل عملا دون أن يتقاضى أجرا عليه ، فالدين قبل كل شىء وبعده لله وحده الذى يقتضى كماله اللائق ان لا يوجب أو يفرض عليه أحد اثابة من يطيعه ، فثوابه للطائعين له فضل منه ، وعقابه للعائدين عن طريقه الذى رسمه لعباده عدل منه .

واذن فلا يمكن أن تكون المنفعة الشخصية أو الحاجة الفردية كما ينشدها البرجماتزم أساسا لدين حقيقى اللهم الا اذا كان دينا خاصا بهم اخترعوه وابتدعوه ليوفر لهم المزيد من نزواتهم ويشبع فيهم الخسيس من حاجاتهم ، وعلى هذا النحو اختلط فى مقاييسهم الحق بالباطل واستوى عندها الخير والشر نتيجة لما اتصفت به من عدم الشمولية وما تميزت به أحكامهم من التعسف والبعد عن المثالية الدينية .

٣ — ثم ان وليام جيمس وهو الذى عنى ببحث التجربة الدينية . كما أشرنا غير مرة ليجعل من الدين مجرد شعور داخلى او عاطفة وجدانية . وهو شعور يتسم بالطابع الشخصى ايضا . فهو لا يستند الى مصادر خارجية أو نظم معدة . واذا أردت مزيدا من

(١) راجع يوسف كرم — تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٤٢٣ .

التوضيح فقل . انه لم يجعل من التراث الدينى الذى تتضمنه الكتب المقدسة مما نزل به الوحى على انبياء الله ورسله عليهم السلام . اساسا لبعث هذه العاطفة التى يعنيها جيمس . أو اثراء ذلك الشعور الذى يراه خاصا بالشخص المتدين دون ارتباط باى مصدر خارجى . والواقع أن هذا الدين الذى يفهمه جيمس على هذا النحو انما هو أشبه بدين بدائى كالذى كان يحسه الانسان الهمجى أول عهده بالحياة شعورا وجدانيا يربطه بقوة عليا يتصورها بمقدار ما يتهيأ لخياله من التصور ، وربما كان الدافع الى هذا التعلق بهذه القوة العليا هو حاجته الى حمايتها له من غوائل الطبيعة أو حاجته الى عونها فى قضاء مطالبه التى يرى أنه أعجز من أن يقضيها وحده .

وأنت ترى ما بين الدينين أعنى الدين فى مفهوم البرجماتزم ، والدين فى مفهوم الانسان البدائى من شبه ، حيث لا يستند كلاهما الى مصدر حقيقى للدين ، وحيث يقوم كلاهما كذلك على أساس المنفعة والحاجة .

صحيح أن الدين مغروز فى فطرة الانسان ، حيث وجد وانى كان بل هو الفطرة التى فطر الله الناس عليها .

ولذلك كان التدين أيا كان مفهومه ملازما لوجدان الانسان على مدى تاريخ العالم حتى فى هذه الأزمنة المتقدمة جدا على نحو ما اشرنا من قبل . بيد أن هذه الفطرة ان لم توجه ولم تهذب بواسطة المنهج الالهى الذى يمثل الترجمة الصحيحة لها والتعبير الصادق عنها . كانت حينئذ عرضة للانحراف والتشوه ، وأمكن أن تصبح مجالا يتلقى صورا زائفة عن حقيقة الدين وترهات متداخلة يحسبها الانسان من جنس العقيدة . وهى ابعد شىء عنها . ومن ثم رأينا للانسان الذى فرض عليه وجوده الزمانى أو المكانى أن لا يحظى بمعايشة دين من الاديان السماوية . يذهب به تدينه الجامح الضال الى تأليه قوى من الطبيعة وظواهرها . أو قوى وهمية يخترعها بخياله أحيانا مما يراه بمعياره الساذج اقدر على حمايته وأقدر على اجابته أن لجأ اليها .

وكثيرا ما أله الانسان اشياء بلغت من التفاهة والضعة حدا كبيرا . ولا يخفى ذلك على أحد . ولعل من أصدق ما يوضح هذه الفكره هو ما قاله أحد الفلاسفة اليونانيين الذين هداهم الله الى العقيدة القويمة . متهكما من عقائد اليونان فيما قبل الميلاد ساخرا من آلهتهم التى يخترعونها على هيئات البشر فتأكل وتشرب وتلد وتموت . قال : ان الناس هم الذين يخترعون الآلهة على هيئاتهم وصورهم . فالأحباش يخترعون آلهتهم سودا فطس الانوف . وأهل تراقيا يتخذون آلهة شقر الوجوه حمر الشعور . ولو كانت الثيران والجياد والأسود يعرفون الرسم لرسموا لنا آلهة على هيئاتهم ومن نفس أنواعهم . هكذا تجمح بالانسان فطرته ويشرد به دينه الذى لا ينفك عن وجدانه على أى مستوى كان هذا الانسان من الهمجية أو التحضر . ان لم يترجم هذه الفطرة ويعبر عن هذا الدين الوحى الذى يكشف به الله عما يجب أن تكون عليه العلاقة بينه وبين خلقه ، وهو وحده دون شىء سواه الذى يستطيع أن يكشف للانسان عن الحقائق الدينية ويجلى له عن العقائد الصحيحة التى تنير فطرته وتقفه على الحق وتهديه الى الصواب . ومن هنا فقد ارسل الله رسله الى خلقه بمنهجه الحق المتمثل فيما نزل به الوحى عليهم من آيات الكتب المقدسة ليبين لخلقه الطريق المستقيم الذى يجب أن يسلكوه فى خضوعهم له وتعبدهم اياه .

وعليك بعد هذا كله أن تدرك الى أى حد هبط مستوى الدين البرجماتى والى أى مدى جانب الحق والصواب .

٤ ــ فاذا انتقلنا الى تصور جيمس للحقيقة الالهية وجدناه لا يقل تصوره عن ذلك تهافتا وسقوطا حيث تصور الله تصورا ماديا وطبق عليه المقاييس الانسانية . فزعم ان الله شخصية متناهية حالا فى الاشياء ، ناقص العلم والقدرة ، غير خالق لكل شىء ولا غنى عن خلقه ، بل محتاجا الى معونتهم ، وأكثر من ذلك ما ذهب اليه من تعدد الآلهة والشرك . وقد مر بك تفصيل كل ذلك ، واذا كان الله كما يزعم هذا الدعى على هذا القدر من العجز ، وفى هذا المستوى من النقص الخلقى ، فأى شىء يميزه عن الانسان وأى فرق بينه وبين بعض أنواع الحيوان ؟ وأى فضل يجعله جديرا بأن يكون الها ؟ والواقع أن القول باله مشخص متناه قد سبق الى الأخذ به فرق ضالة اشتهروا فى تاريخ الفكر الاسلامى بالمجسمة . وقد لقوا مصرعهم أمام المنطق الاسلامى الخالص فى مواجهة أهل السنة والجماعة . فمثل هذه الفكرة عن الاله المشخص المتناهى ما هى الا امتداد لمذهب التجسيم القديم . ودون أى خوض فى عشرات البراهين على بطلان التجسيم

كما قدمها المسلمون فانه لا يخفى على أحد من المؤمنين الحقيقيين مدى ما تلحقه فكرة التجسيم من الخلل والتفاهة بفكرة الالوهية التى تفترض فى الاله الحق أن يكون كاملا من كل وجه ، منزها عن الحد والنهاية غنيا عن الشركاء والأنداد ، تام العلم والقدرة والمشيئة ، كامل الحكمة لا يشبه شيئا من خلقه ولا يشبهه شيء . واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله . متقدس عن كل تصور يخل بشيء من كمالاته التى لا تتناهى ، متعال عن كل نقص يلحق ذاته أو شيئا من صفاته .

هذا هو بعض ما توجبه حقيقة الالوهية على كل متدين يعرف لخالقه حقه ويقدره حق قدره . وتلك هى الصورة التى يجب أن تكون لاله جدير بأن نعبده ونخضع لسلطانه ، بل بأن نعمل ونحقق الخير ابتغاء وجهه وطلبا لمرضاته . فهل يكون الها من كان من جنس الاجسام المحسوسة كما تصوره وليام جيمس مميزا بالحد والنهاية ؟ انه ان كان كذلك .فهل يكون مركبا من أجزاء شأن كل جسم مادى ؟ وكل مركب لا محالة عرضة للانحلال والفناء . فهل يكون الاله الحق عرضة للانحلال والفناء ؟ وما الذى يستوجب البقاء والسرمدية ان لم يستوجبهما الاله الحق ؟ هذا فضلا عن أن المركب من الاجزاء والأعضاء لا محالة مفتقر الى اجزائه واعضائه ، فهل يجوز على الاله الافتقار الى اجزاء وأعضاء ؟ ومن الذى يستحق تمام الغنى عن شيء من ذلك فضلا عن شيء من خلقه غير الاله الكامل ؟ وهل يليق بكمال الالوهية الذى يجعل الاله جديرا بأن يكون الها ان يحتاج الى معونة من خلقه لمقاومة الشر وتحقيق الخير فى العالم على نحو ما تصوره وليام جيمس ؟ فاذا كنا فى حاجة الى معونة الاله وكان فى حاجة الى معونتنا لتحسين هذا العالم واكمال نقصه كما يزعم هذا الدعى ، فلا مانع من أن نزعم أنه ليس فى هذا العالم الا الآلهة . غاية ما فى الأمر انه يمكن اعتبار الطبقية أو اختلاف المستويات بين الكائنات . وقد لحق هذا الاعتبار تصور وليام جيمس بالفعل وخاصة أنه قد دعم هذا الاعتبار بافكار باهته وعقائد زائفة . فلم يميز الهه عن خلقه فى مدى ما يحيط به علمه . فادعى انه لايعلم كل شيء . ولا فيما تتصل به وتتعلق قدرته حيث زعم أنه لا يقدر على كل شيء ولا يخلق كل شيء ، فليت شعرى هل اعتبر وليام جيمس واضرابه من البرجماتية أنفسهم آلهة وقد انطبقت عليهم كل هذه الأوصاف ؟ ان هذا المذهب المتهافت كما قلت يفضى بمنطقه على هذا النحو الى اعتبار هذا العالم مجتمعا خاليا من كل شيء الا من الآلهة . فهل نحن بعد ذلك فى حاجة الى أن نوجه اليه نقدا على أى مستوى فيما مضى اليه من القول بالشرك وتعدد الآلهة . ذلك الأمر الذى هو أظهر من أن يتوارى أو يختفى وراء هذا النظام العجيب الذى يسود العالم وهذا التناسق البديع المتبدى بين ظواهره وصوره من الذرة الى المجرة ، الأمر الذى لا مجال لانكاره ، فهل يفصح هذا النظام أو ذاك التناسق الا عن اله متفرد بالوحدانية ، له كمال القدرة والمشيئة والعلم والحكمة ، والا لأفضى وجود آلهة أخرى معه الى اختلاف هذا النظام وفساده ، بل الى عدم وجود شيء من هذا العالم .

ويستطيع كل من عنده مسكة من عقل أن يجزم بأن فرض تعدد الآلهة محال على أى وجه يفرض .

والدين الاسلامى لما كانت غايته الأولى هى محاربة الشرك . وعقيدة التعدد ان سميناها عقيدة تجوزا ، ودعوة البشر الى توحيد الاله المعبود ، مخاطبا بذلك الفطر السليمة والعقول الرشيدة ومما خاطب به العقول والفطر معا حجته الدامغة على استحالة تعدد الآلهة لما يترتب على هذه الاستحالة من اختلال هذا العالم سمائه وأرضه وما يحتويانه من الظواهر الكونية . وذلك فى قوله تعالى : **((لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا))** وضمير التثنية فى الآية عائد على السماء والأرض . وما أبلغ بل ما أجمع ما قرر عقيدة التوحيد قوله تعالى : **((قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد))** وما اثبتته هذه السورة من أحدية الله وهى مبالغة فى الوحدانية . وصمديته ، وانه الصمود والمقصود اليه فى كل الحوائج . واستحالة الولادة عليه سواء كان والدا ام مولودا .واستحالة الكفوء والمثل عليه ، فلا يشبه غيره ولا يشبهه سواه . اقول ما أثبتته هذه السورة من هذه الصفات الكاملة خليق بأن يقدم الصورة اللائقة لحقيقة الالوهية والفكرة الحقيقية لما يجب أن يكون عليه الاله الحق ، وفى ذلك دحض وقطع لكل دعاوى الشرك وشتى نزعات التجسيم والوثنية ، أفبعد هذا يصوغ لوليام جيمس واضرابه من البرجماتية أن يعتقد تعدد الالهة ، وان يدعو الى الشرك . لأن ذلك ينسجم مع مذهبه الاكذوبة ، وقد تحطمت مثل هذه النزعات واشباه تلك الدعاوى بمعول التوحيد الخالص ، وعلى صخرة الاسلام الحنيف . ونحسب أننا بعد كل هذا فى غير حاجة الى أن نناقش البرجماتزم وخاصة من الوجهة الدينية فى جوانب أخرى . فقد قيل (ليس بعد الكفر ذنب) ولان كان هناك بعض الجوانب الأخرى فان من العبث والمضيعة للوقت مناقشتها والوقوف أمامها . **والله وجهتنا وهو حسبنا ونعم الوكيل ..**

الدعوة
و

الشباب

الدين و السياسة

نستقبل فى هذا الباب المشكلات التى يفكر فيها الشباب لنعرضها على منهج الاسلام .

من الأخ س. م. ع

كثر الحديث فى الآونة الأخيرة حول علاقة السياسة بالدين والدين بالسياسة .

هل لديكم مانع أن تبينوا لنا هذه العلاقة وهل توجد حالات لا دخل للدين فيها بالسياسة أو السياسة بالدين وما هذه الحالات ؟

● نعم كثر الحديث فى الآونة الأخيرة — كما تقول — حول علاقة الدين بالسياسة وفى اعتقادنا أنه لم يكن هناك مبرر للحديث فضلا عن كثرته فى هذه المسألة اذا صحت النفوس وحسنت النوايا .

وليس لدينا مانع على الاطلاق لشرح العلاقة بين الدين والسياسة بل لا نرى مانعا فى الكتابة ، فى أى موضوع ولسنا ندرى من أين يأتى المانع ؟ فما نكتبه فى مجلة منبر الاسلام نبعث به الى المطبعة حيث يطبع كما بعثناه ليصل الى القارىء فلا رقابة ولا حجر على الفكر لاننا بحمد الله نلتزم منهج الاسلام وادبه فى تقديم الفكر الاسلامى الخالص فهو يحسن الظن ولا يسيئه الا اذا قامت مبررات علمية ، مؤكدة ومن ثم فنحن نعاهد القارىء المسلم بعهد الله ألا نقول الا ما نعتقد ولا نسمح بشىء ما ان يؤثر على عقائدنا التى هى أمانة بيننا وبين الله نعيش عليها ان شاء الله وعليها نلقاه .

هذا من ناحية امكان الحديث وعدمه فى اى موضوع ..

أما فيما يتعلق بموضوع السؤال عن الدين والسياسة فاننا نقول لابد من تحديد المقصود أولا من السياسة ومن الدين لأننا فى عصر لابد فيه من تحديد المفاهيم .

فاذا كان المقصود بالسياسة المراوغة والمداهنة واستغلال المواقف والوصول الى الهدف من أى طريق كما هو مذهب « مكيافيللى » الذى حدده فى كتابه « الأمير » اذ قال الغاية تبرر الواسطة أو الوسيلة ، وهو مذهب كثير من السياسيين فى العالم اليوم .

فالسياسة بهذا المعنى لا دخل لها بالدين ولا دخل للدين بها لان الدين يقوم على قيم أخلاقية أساسية تقرر الحق فى ذاته وتشرع الوسيلة الشريفة للوصول الى الهدف النبيل مع

مراقبة الله فى تحديد الأهداف وتقواه غاية التقوى فى اتخاذ الوسائل والأساليب .

والاسلام خاصة يحرم النفعية ويجعل المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة ويعلن بصراحة ووضوح لا ضرر ولا ضرار ويامر بالعدل فى كل المواقف يقول تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

واذا كان المقصود من الدين مجرد أشكال ورسوم ومظاهر لا تصل الى الجوهر . جوهر الانسان والحياة فى صدق نيته وسلامة مقصده وسلوكه وحياته فى سائر أموره .

فالدين حينئذ ابعد ما يكون عن جوهر الدين ومعناه وهو حينئذ نفاق كاذب وخداع مهين .

واذا كان الدين شعائر مغلقة وعبادات جافة لا تؤتى ثمرتها فى واقع الحياة ، فهو حينئذ أبعد ما يكون عن السياسة .

اما اذا كانت السياسة تعنى تسيير دفة الحياة وتدبير أمور الرعية واقامة حياتهم على أساس الاخلاص والعدل .

واذا كان الدين يعنى العبادة لله فى شتى مظاهر الحياة ومنها اقامة الشريعة وكفالة الحقوق وأداء الواجبات .

فالسياسة والدين حينئذ متداخلان بل ان السياسة بهذا المعنى هى تطبيق الدين فى عمده الاساسية .

فالدين معاملة او الدين سياسة .

ويمثل الربط بين الدين وأمور الحياة والأخلاق ما روته كتب السنة من ان بعض الناس جاءوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه : يا رسول الله : ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل ولكنها تؤذى جيرانها قال : انها فى النار .

وما روته كتب السنة ايضا من مثل قوله صلى الله عليه وسلم « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له » .

ويمثل الربط بين الدين والسياسة قوله تعالى : « قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وانا أول المسلمين » .

أما استغلال الدين لتحقيق منافع سياسية لا تقيم الدين نفسه فهى عمل معارض للدين كما ان استغلال السياسة كالظهور بمظهر دينى شكلى لتحقيق منافع شخصية عن طريق الدين فهو عمل ان لم يعارض السياسة فهو معارض للدين ..

وقد ظهرت بدعة الفصل بين الدين والسياسة فى أوربا عندما استغل رجال الكنيسة هناك الدين وسخروه لخدمة مصالحهم فى الاقطاع وجمع الثروات والتحالف مع الملوك المستبدين والنبلاء الذين امتصوا ارزاق البشر وحولوهم الى كادحين مطحونين .

واذا كان الدين كما صورته الكنيسة فى أوربا حينذاك قد سمح بهذا الاستغلال والتسخير فاننا فى الأمة الاسلامية أبعد ما نكون عن مثل هذه الظروف .

فديننا والحمد لله لم يبدل ولم تلعب به الاهواء والمطامع وهو دين يكفل صلاح الحياة واستقامتها على منهج عادل يوفر كل ضمانات الحياة الكريمة اذا اقيم شأن الناس وأمور حياتهم على أساسه ووفق توجيهاته فانه يقودهم الى الخير **« ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » .**

من هنا لا يتأتى بأى حال من الأحوال أن نفصل بين الدين والسياسة بمعناها الشريف ومدلولهما الحقيقى المنزه عن الاهواء الشخصية ومطامع الطامعين .

ولسوف يطمئن المؤمنون وتقر عيونهم يوم تنتهى لجان تقنين الشريعة الاسلامية وتصدر القرارات الاسلامية المنظمة للحياة على هدى هذا الدين .

ويومها لن يكون هناك جدل حول فصل الدين عن السياسة بل ستقبل الهمم كلها على العمل الجاد المثمر لخير الحياة .

شركة الجمهورية لتجارة الأدوية والكيماويات والمستلزمات الطبية

تقوم الشركة بتوفير الكيماويات الدوائية اللازمة لتصنيع الدواء بمصر والكيماويات المعملية ذات النقاوة العالية للبحث العلمى .

وتوفر الشركة الأجهزة الطبية والعلمية والمستلزمات الطبية للمستشفيات والجامعات والأطباء بمختلف التخصصات والمعامل والصيدليات .

وتجهز الشركة المستشفيات والوحدات الصحية بجميع الأجهزة الطبية والعلمية الى جانب المطابخ والمغاسل والأسرة والمفروشات .

كان رأسمال الشركة عند تأسيسها ٥٠٠ ألف جنيه فأصبح رأس المال المدفوع ١٢ مليون جنيه ورأس المال المستثمر ٥ر٣٦ مليون جنيه .

وأصبح حجم نشاط الشركة ٧٥ مليون جنيه مبيعات بالمقارنة بمبلغ أربعة ملايين عند التأسيس .

ويبلغ عدد العاملين الآن ١٦٢٥ عاملا تبلغ مجموع أجورهم السنوية ٠٠٠ر٢٥٠ر١ مليون ومائتان وخمسون ألف جنيه .

وللشركة فروع بيع فى جهات مختلفة بخلاف البيع بمقر الشركة .

مقر الشركة : السواح الأميرية ت : ٨٧١٠٦٧ — ٩٦٩٣١٤

القاهرة : ١٣ شارع محمود بسيونى ت ٥٧٣٧٨

١٥ (أ) شارع شريف ت ٥٩٥٤٨

ميدان باب اللوق ت ٢٧٥٧٧

الاسكندرية : ٧ شارع الاسقفية ت ٢٩٩٥٢

١ شارع أديب اسحق ت ٣٣٨٣٩

أسيوط : شارع طلعت حرب ت ٣٧٣٦

طنطا : شارع الجيش ت ٣١٩٢

كتاب الشهر

بسم الله الرحمن الرحيم

قراءة في كتاب

القرآن العظيم

هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين

للشيخ محمد الصادق عرجون

تقديم محمد ابراهيم الخطيب

● لا يحتاج المؤلف الجليل الى تعريف ، ويكفى أن نعلم انه درس فى الأزهر الشريف وتخرج فيه وشغل وظائف متنوعة فيه ، وكان استاذا نابها ادى أمانة الأستاذية ، وخرج أجيالا تذكره بالخير الكثير . والكتاب الذى اقدمه له أهدافه النبيلة ، فهو بحث حول تفسير القرآن الكريم ، وقد عرض فيه المؤلف صورة مجملة للمنهج الذى سار عليه السلف والخلف فى مؤلفاتهم فى هذا العلم ويرى فضيلته أنهم قد أدوا واجبهم فى حدود طاقاتهم وما ملكت ايديهم من وسائل الدراسة والبحث نحو تفسير كتاب الله الكريم ، ومع هذا الجهد البالغ كان هناك تساؤل يتحدث به بعض الناس الى بعض، يقولون : هل فسر القرآن ؟

ويرجع هذا التساؤل لما يشعرون به من فراغ فى ارض الحياة الفكرية عند المسلمين فى هذا العصر المليء بحصائل تجارب العلم والمعرفة والتى كانت أثرا من آثار التطور العالمى ، وهذا التساؤل « هل فسر القرآن ؟ يحمل — فى رأى المؤلف — معنى القسوة والتنكر الى حد ما لآثار العلماء الأفاضل الذين قاموا بتفسير القرآن الكريم ، ولكن هذا التساؤل يدل من ناحية أخرى على التعطش الى معرفة الحقائق الاسلامية عن طريق العلم من مثقفى عصرنا وقد يكون المقصود من التساؤل القول بأن تفسير القرآن ليس نهاية ما يمكن أن يفهم منه ، والحقيقة أن طاقات المخلوقين قاصرة عن الاحاطة بكل انواع الهداية القرآنية ..

ما تناوله المؤلف فى هذا الكتاب :

وقد تناول المؤلف فى هذا الكتاب أصول الهداية القرآنية التى يجب أن يقوم على دعائمها تفسير القرآن فى كل زمان ومكان يقول المؤلف : ويتضح من هذه الأصول — وهى عشرة — أن ما خلفه

لنا ائمة التفسير على مافيه من عمق وتفصيل لم يستوف البحث فى جميع جوانب الهداية القرآنية بل ظل بعضها مكنونا أو انه قد مس مسا رفيقا ، وقد جاء التطور الفكرى والتقدم العلمى بكثير من الأفكار والمذاهب الجديدة وهى ذات آثار خطيرة على أفكار المثقفين من الشباب وعقائدهم وسلوكهم ، واقتضى ذلك من دارسى القرآن أن يبينوا موقف القرآن فى تفسيره من هذه الأفكار والمذاهب بصورة تكشف عن وغائه بحاجة البشرية التى تطلب الهداية والرشاد .

والآن تعالوا نستعرض هذه الأصول العشرة بصورة سريعة

١ ـ الأصل الأول الذى يهدى اليه القرآن هو العقيدة ، وهداية القرآن فى العقيدة تستهدف معرفة الله جل جلاله معرفة تطمئن بها القلوب وتؤمن بها العقول ، وهذا اللون من الهداية نجده فى آيات القرآن الكونية المعبرة عن عظمة الوجود الألهى ، وعظمة الكون العالمى بما يدل على تفرده تعالى بقدرة الابداع والخلق، وعلى وحدانيته وحكم تدبيره **« والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم . ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » .**

٢ ـ والأصل الثانى الذى يهدى اليه القرآن هو التشريعات التعبدية وهذا الأصل وسيلة الأتصال بالله تعالى ، واساس هذا النوع من الهداية افراد الله تعالى بالعبادة **« اياك نعبد واياك نستعين »** ، وهو يشمل جميع انواع العبادات التى شرعها الله تعالى ، والتى تتمثل فى اركان الاسلام الأربعة بعد عمودها الأصيل الذى تدور حوله العقيدة فى الأصل الأول ، وهذه الأركان هى : الصلاة والزكاة والصوم والحج .

٣ ـ والأصل الثالث الذى يهدى اليه القرآن هو سياسة الخلق ، ويستهدف تحقيق أبلغ ما تتطلع اليه النفوس البشرية من نظم فى تدبير شئون الحياة على اوضاع متناسقة من سياسة الخلق سياسة تعتمد على العدل والرحمة والاخاء والمحبة : **« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » ، « ان الله يامركم ان تؤدوا الأمانات الى اهلها ، واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا »** وكم فى القرآن من آيات تتحدث عن هذا المجال .

٤ ـ الأصل الرابع الذى يهدى اليه القرآن هو الروابط والصلات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات على مستوى المجتمع الانسانى والمجتمع الايمانى فى السلم والحرب ذلك الذى عبر الله تعالى عنه بقوله : «انما المؤمنون اخوة» وقد وضحت هداية القرآن علاقات أفراد المجتمع الايمانى وجماعاته وعلاقاتهم مع غيرهم فى السلم والحرب .

٥ ـ والأصل الخامس الذى يهدى اليه القرآن هو ايقاظ العقل وتحريره ، ومن المعروف أن هناك عوامل طارئة أثرت على وجود العقل ، وكان لابد من أن يرد الى العقل اعتباره . ليظل الانسان بالعقل مسيطرا على الحياة وموجها لها ، وفى القرآن الكريم اشارة الى رسالة « ابراهيم » عليه السلام تلك التى كانت رسالة تعتمد على نظر العقل ، وكان التقدير الأول فيها لقيمة العقل ، والقرآن الكريم يقص على العقل الانسانى مواقفه فى تلك الرسالة ليفكر بأصل فطرته المشرقة التى اصدأها مرور الزمن ، يقول تعالى : **« الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا احيى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين » ويقول تعالى أيضا : « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى ، فلما أفل قال : لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون . انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ماتشركون به الا ان يشاء ربى شيئا ، وسع ربى كل شىء علما أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولاتخافون انكم اشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فاى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء أن ربك حكيم عليم » .**

وللمنهج العقلى فى رسالة « ابراهيم » عليه السلام صور مختلفة أوردها القرآن الكريم فى عدد من سوره غير ما ذكرناه واقرأ ان شئت سور الأنبياء والشعراء والصافات ، وهدف

القرآن من بيان هذه النماذج أن نتخذ نحن أبناء الدين الاسلامى هذا المنهج اسلوبا شاملا أصيلا لنا تقوم على دعائمه أصول الدين وفروعه فى جميع ما يغنى فيه العقل من نظم الحياة الاجتماعية، وللقرآن الكريم فى هدايته التى يقصد بها الى ايقاظ العقل وتحريره ألوان من الأساليب التى يستثير بها هذا العقل ليثير أسرار الحياة الدفينة فى آيات الكون وقد بلغت هذه الأساليب حدا لا يبلغ الحصر استيفاءه ليكون ذلك باعثا على المضى مع العقل فى ظل هداية القرآن العظيم حتى لا يضل ولا ينسى .

٦ — والأصل السادس الذى يهدى اليه القرآن هو عوامل الدفع القيادية فى المجتمع الاسلامى ، وهو يقصد الى بيان ما فى هذه الهداية من عوامل وقوى تدفع بالأمة الاسلامية الى آفاق الانطلاق حرة كريمة عزيزة منيعة ، وكم جمعت الهداية القرآنية فى هذا المجال أشتاتا من الأمم والشعوب الانسانية فى شتى أقطارها ووحدت بينهم رابطة الايمان فكانوا أمة واحدة « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** » ، وهذه الدعوة الى القيادة تستدعى أن تكون هذه الأمة فى مستوى المثل الأعلى لنموذج القيادة الانسانية فلا يقبل منها مثلا أن تطبق العدل على غيرها وتنسى نفسها .

٧ — والأصل السابع الذى يهدى اليه القرآن هو مكانة العلم فى الحياة ويدور هذا الأصل حول ابراز مقام العلم وشرفه وسمو مكانته وموضعه من الحياة وبيان ما خلعته عليه الهداية القرآنية من فضل وضعه فى الذروة ، وقد أعطت الهداية القرآنية العلم مجاله الفسيح الذى لا تجاريه فيه قيمة أخرى من سائر القيم الانسانية الدافعة ، والعلم فى نظر هذه الهداية هو صانع الحضارة ، وهو القيم على الحياة بما وضع الله فى خصائصه من طاقات ، والعلم هو الذى وضع المجتمع الاسلامى فى مكان الصدارة من الحياة وهذه الهداية القرآنية لاتقصد الى لون خاص وهذه الهداية القرآنية لا تقصد الى لون خاص من العلم ، وهى تلفت نظر اهل العلم من العقلاء الى انهم موجهون الى النظر فى ملكوت السموات والأرض ، ولا يمكن الوصول الى ذلك الا بالبحث العلمى الدائب لمعرفة حقيقة السموات وما فيها من عوالم قد تدخل فى عناصر تكوينها يقول تعالى : « **أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب** » والغوص فى بحار الكون ابلغ فى الوصول الى آلاء المعرفة بجلال الله الخلاق العظيم ، وهذه المعرفة البرهانية التى تشهد صاحبها عظمة الله فى صنائعه الكونية هى أسمى مراتب الهداية القرآنية التى يجب أن يكشف عنها من يتعرض لتفسير القرآن العظيم .

٨ — والأصل الثامن الذى يهدى اليه القرآن هو التربية السلوكية وهو يستهدف بيان منهج القرآن وطريقته فى التربية السلوكية للفرد والجماعة ليجعل من الفضائل الانسانية دعامة لبناء المجتمع الاسلامى على قواعدها ، ومن أهم عوامل التربية التى أبرزتها الهداية القرآنية تحمل المسئولية ، والترغيب والترهيب والدعوة الى مكارم الاخلاق .

٩ — والأصل التاسع الذى يهدى اليه القرآن هو المجتمع البشرى بين عناصر التماسك وعوامل الانحلال ، وفى قصص الأمم السابقة فى البيان القرآنى مواضع للعبرة والعظة ، والهداية القرآنية فى هذا المجال لا تترك المجتمع فى مضيعة من أمره دون أن تضع بين يديه دعائم الحصانة التى تعصمه من الانهيار يقول تعالى : « ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون . فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم أجمعين . فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون . وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون » .

١٠ — والأصل العاشر : هو اعجاز القرآن بين الهداية وروعة البيان ، يقول المؤلف : ان هذا الأصل هو المحور الذى تدور عليه فكرة هذا الكتاب وهذه الفكرة تقصد الى وجوب تبيين معالم اعجاز القرآن فى تفسيره تبيينا يجعل منه لكل من يطلبه أو يطلب اليه نصيبا قل أو كثر على حسب استعداد المناظرين واختلاف درجاتهم فى العلم والمعرفة ، وهذا النظر فى القرآن يجب الا يتجاوز المقصد الأسنى من نزوله وهو الهداية، فلا ينبغى أن يقع المفسرون تحت وطأة الحماسة التى تجعلهم يضعون القرآن — حين تفسيره — بين يدى نظريات العلم المتقلبة بل عليهم أن يشبعوا المتطلعين الى هداية القرآن ببيان اعجازه بطرائق علمية لها يقين العلم ، وفيها علم اليقين ليكون هذا الاعجاز حجة قطعية على وجوب الايمان به كتابا هاديا الى ما يصلح العالم ويحقق سعادة البشر فى الدنيا والآخرة والآن هل هذه الأصول العشرة من أصول الهداية القرآنية هى كل شىء فى القرآن ؟ ويجيب المؤلف : اننى لا أقصد الحصر لأن ذلك لا يقع فى مقدور

(البقية ص ٩٤)

العالم الإسلامي

□ **أخبار** إعداد: محمد حسن أبو حطب

□ **أحاديث** تحرير

□ **تحقيقات** تحرير

نص الحديث الذى أدلى به فضيلة الدكتور
عبد المنعم النمر
وزير الأوقاف للأستاذ فهمى عمر
مدير إذاعة مع الشعب يوم ٧٩/٤/١١

الأستاذ فهمى عمر : السلام أمر جاء به ديننا الحنيف يحض عليه والآيات الكريمة التى جاءت فى كتاب الله تتحدث عن السلام كثيرة ، وفى سهرة الجمعة الليلة نسعد بلقاء **فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف** لنتحدث مع سيادته عن السلام كقيمة تكمن فى نفوسنا وقلوبنا ، **يهدينا اليها ديننا ، الحنيف ، والرئيس المؤمن** ايمانا منه بهذه القيمة كانت منه مبادرة السلام ليعم الخير ويعيش الناس فى طمأنينة وسلام .

الدكتور الوزير : السلام هو الأمر الطبيعى فى حياة كل فرد والسلام كالصحة يتمناه الانسان دائما ، والانسان لا يرضى بالمرض الا اذا أتاه مضطرا كما أن الانسان لا يرضى بالحرب الا اذا كان لابد منه .

فالسلام أمر طبيعى وكل الناس تحب السلام حبا طبيعيا ، الناس ليسوا فى حاجة الى أن نحببهم فى السلام ، الناس فى حاجة لكى نحمسهم للحرب لأن الله سبحانه وتعالى يقول **« كتب عليكم القتال وهو كره لكم »** لكن حينما تكون الحرب ضرورة للدفاع عن النفس ، أو الدفاع عن المال ، أو الدفاع عن الدولة ، أو الدفاع عن الدين ، أو الدفاع عن الشرف ، أو الدفاع عن العرض ، حينئذ تصبح الحرب واجبة ، وهى شر لابد منها حتى يمكن أن ندعم القيم ونحافظ على المال والعرض والدين والوطن الى آخره .

فالواقع أن السلام أمر يحبه الناس حبا طبيعيا ويميلون اليه ميلا طبيعيا وبالفطرة لأن السلام هو الخير وهو الراحة وهو الأمل لكل انسان وهو الفرصة لكى يعمل الانسان فى هدوء .

الناس لا تحتاج الى أن نحببهم فى السلام اللهم الا فى مثل هذه الظروف التى مرت علينا لأننا عشنا حوالى ثلاثين سنة أو أكثر نعبىء الناس للحرب .

لماذا السلام الآن هذا هو السؤال ؟

لأن جيشنا واذاعاتنا وكتبنا وأدبنا والأجيال الموجودة الآن كلها عاشت فى ظل الدعوة الى الحرب والى التحفز لرد الأرض والانتصار للشرف والكرامة الى آخره .

لكن وجدنا أنفسنا نتحول ونعمل لمعاهدة السلام كيف هذا ؟ لماذا تحولنا هذا التحول وان كنت أعتقد أن كل فرد هنا وكثيرين جدا خارج مصر يعرفون لماذا كان السلام ضروريا الآن ولماذا يكون الاستمرار فى العنتريات والشعارات والدعوة الى الحرب هذا يمكن تسميته بالعنتريات الفارغة لأنها تصدر من أناس لا يقدرون الكلمة أو لهم مصلحة فى ترديد هذه الكلمة وهذه الشعارات .

لكن لكى نحقق غرضنا الآن لابد أن الأمة العربية تكون متضامنة تضامنا تاما وأن يكون لديها سلاح متقدم عن أسلحة الدول التى تدعم اسرائيل ، لابد أن نكون من ناحية صناعة الأسلحة أقوى وأكثر تقدما من أمريكا ومن غيرها من الدول ،

يمكن حينئذ أن نمحوا اسرائيل رغم أنف أمريكا ورغم أنف الدول الكبرى ، هذا الفرض غير ممكن، اذن هل نظل معلقين هكذا ؟

مصر منارة الاسلام وحضارة الاسلام علميا ولغويا ، فقد حمت مصر العالم من خطر المغول والتتار والصليبيين فاذا عزت مصر عز العرب، واذا عزت مصر عز الاسلام ، ان مصر تحملت الكثير من الأعباء فى المال والرجال والشباب .

أنا أمثل العرب باثنين فى معركة كل منهما ضد الآخر وواحد واقف بعيدا يقول اضرب وهو بعيد ، لكن من الذى سيصلى بنار المعركة هو الذى يتعارك .

ولمصلحة من أدعو للحرب ، **مصر حاربت واستطاعت أن تنتصر .**

وكما كانت النكسة ذلة للعرب جميعا ، كان الانتصار عزة للعرب جميعا ، واستفاد العرب نفسيا ومعنويا وماديا من هذا الانتصار ، وثمن البترول ارتفع كثيرا بسبب الحروب الأخيرة التى خاضتها مصر .

ان البعض يتنكر لمصر الآن ومصر لها دورها فى كل ما وصلوا اليه وهذا هو واجب الأخ لأخيه وواجب المسلم لأخيه المسلم وواجب العربى لأخيه العربى ، والحرب والسلم أمران يدوران مع المصلحة .

على الحاكم المسلم أن يلاحظ أنه اذا كانت رعاية مصلحة المسلمين لا تتحقق الا اذا دفع أموالا فليدفع ، واذا كان يجد أن الحرب هى التى تحقق مصالح المسلمين فليحارب ويضحى .

لذلك فانى أقول للذين ينادون بضرورة الحرب دون مراعاة للظروف فانهم أناس لا يعرفون روح الدين ولا يعرفون النصوص التى جاءت فى كتب التراث الاسلامى .

فعلى الحاكم المسلم أن يقدر ظروف الأمة ويتصرف على ضوء مصلحة المسلمين ، فاذا كانت مصلحتهم فى الحرب وكان فى استطاعته أن يحارب فليحارب وان لم يكن باستطاعته ان يحارب يكون آثما اذا دفع الأمة الى حرب ليست مستعدة لها وليست كفئا لعدوها فيها حتى ان الامام الغزالى عليه رحمة الله يذكر بأنه مثلا اذا كان طريق الحج خطرا فيكون محرما أن ينشد شعر ، أو تلقى خطبة أو يلقى غناء يحرض المسلمين على الحج لأن فى هذا تحريضا على القاء المسلمين فى التهلكة .

فكذلك طريق الحرب مع الدول الأخرى اذا كنا قادرين على ان ننتصر فى الحرب وهذا احتمال وارد فلنحارب ولنجازف لكن اذا كانت الظروف أمامنا والواقع أمامنا يقول لنا أن عدوكم تسنده دول أقوى ولا تستطيعون أن تقفوا ضدها فانه يكون من الحرام شرعا أن ندفع بالأمة الى حرب معروفة المصير وأن ندفع بالشعب والالاف الى الموت وأن ندفع الأمة الى التخريب .

هذه يجب أن يفكر فيها الذين يقولون ما رأى الدين هذه مسائل عامة ترجع الى تقدير الحاكم وهذه هى الظروف التى يمكن أن يقيم بها الحاكم حكمه ورأيه فى هذه الظروف .

الى متى تظل هذه الظروف ، نحن فى مصر وصلنا الى درجة الصفر فى مصالحنا وأحوالنا ومعيشتنا ونحاول أن ننهض ونأتى بالشركات والمرافق فلا يجد الخبراء الامكانيات ، والناس ينظرون لنا قائلين ان العملاق مصر تترنح،وربما شمت بعضهم ، هكذا صارت الحال .

مع الأسف توجد عندنا قروض للدول العربية بفائدة . نحن نشكرهم على كل حال لأنهم أمدونا فى وقت الحاجة ، ويكون الشكر اكثر لو أن ذلك كان تعاونا جديا كافيا من الأخ لأخيه ، ومصر لن تضن .

الحرب معروف نهايتها ، ليست العرب الآن مستعدة للحرب وقد اعترف العرب بالقرار رقم ٢٤٢ وبالحل السلمى أن عودة الفلسطينيين الى وطنهم فى المعاهدة تحتاج الى خمس سنوات فى عمر الأمة ثم يكون لهم حق تقرير المصير والاستقلال هذا ليس بشىء كثير بل انه قريب قريب .

ومصر مرت بالاستقلال الذاتى وكل الدول التى تتكلم الآن مرت بالاستقلال الذاتى فلا بأس أن يمر الفلسطينيون بالاستقلال الذاتى . خمس سنوات ويحصلون على حقهم واستقلالهم ، مضى ثلاثون عاما دون أن يحصلوا على شىء ، فاذن السلام قضية ضرورية لابد أن نلجأ اليها الآن حرصا لماء وجهنا وحفاظا لحياتنا وحفاظا لمصالحنا ، ليست مصالح مصر وحدها وانما لمصالح الأمة العربية ، مصلحة الأمة العربية الآن أن تنتهى الى حالة من السلم تصلح به نفسها وتعاود تقدير مواقفها .

وفى الغد قد يكون العرب قوة ترهب ، قد يصلوا الى غاياتهم ، مصر هى العرب وكما قلت اذا عزت مصر عز العرب وعز الاسلام اذ كانت مصر فى قوة حربية ومالية واقتصادية تستطيع أن

تحمى كل البلاد العربية والاسلامية ، وكانت الدول كلها تعمل حسابا لها ولا تعتدى على أى بلد اسلامى او عربى ، اتيوبيا فى اعتدائها على السودان وعلى الصومال ، لو كانت مصر فى قوة كما نرجو ان تكون ان شاء الله فى المستقبل لوقفت فى وجه كل من يعتدى على العرب والمسلمين .

اليمن الجنوبية وهى مركز للشيوعية كان يكفى أن تقول لها مصر عيبا أن تعتدى على المسلمين وان تكونى مركزا للشيوعية كيف تحولين مصدرا للاسلام قويا الى مصدر للالحاد قوى ثم انها كانت تحمى بذراعها المسلمين فى أى مكان يعيشون فيه **فقوة مصر قوة للاسلام وقوة مصر قوة للعرب وقوة للشرق ، اذا كان الرافضون كما قال السيدالرئيس يستطيعون تقديم شيىء أحسن من هذا فليقدموا .**

هؤلاء العنتريون الذين ينادون بالحرب وهم لا هم لهم الا اشياء أخرى غير الحرب ، الفلسطينيون انفسهم غير موحدين يقتل بعضهم بعضا ويعتدى بعضهم على بعض ، ثم بعد ذلك ينادون بأننا خنا القضية من الذى خان ؟

يهاجمون مصر الآن ومصر هى التى تحتضن كل عربى ، وكل مصرى يعتبر نفسه أخا لكل عربى ويستقبله بالأحضان ، ومع ذلك نجد الشتائم البذيئة من بعض الصحف ومن بعض الناس على مصر .

كيف نرضى عن هذا ، وكيف يرضى عن هذا حاكم البلاد ويصورون مصر وشعبها بصورة مهينة ، ان مصر افتقرت الآن **عندما كانت مصر غنية كانت تمد يدها للجميع وما كنا نمن على أحد لكننا ان شاء الله لن نجوع ولن نضعف .**

بدأنا ان شاء الله الطريق الى استرداد قوة مصر ومكانة مصر وهيبة مصر وأنا أقول للشعب ان الرئيس أنور السادات حقق رغبة الأم والأخ والأب والأخت وحقق رغبة الأرض لو نطقت الارض فستطلب ذلك .

الأستاذ / فهمى عمر .. فضيلة الدكتور وزير الأوقاف لعلنا فى هذه المرحلة التى نعيشها نحتاج الى مزيد من البذل ومن التضحية ومزيد من العمل لعل فضيلتكم فى لقائكم مع الدعاه تكون هذه الصورة واضحة أمامهم .

فضيلة الوزير / نعم أنا بدأت هذا ثانى يوم من مجيء الرئيس السادات بعد توقيع المعاهدة مباشرة تحدثت مع الاذاعة قلت ان الدور الآن هو دور كل فرد اننا فى موقف تحد عنيف يقاطعوننا لنركع تحت أقدامهم لا .. لن يركع فرد من أفراد الشعب المصرى تحت ضغط اى انسان ، **اننا نجوع ولا نركع ، ومع ذلك فالمصرى باذن الله لن يجوع . لأن فيه امكانيات غير متوفرة فى أى شعب ولديه امكانيات باذن الله ستكون أوفر من أى بلد آخر ، عندنا النيل الخالد ، عندنا أرضنا عندنا المعادن ، عندنا آبار البترول ، وستكون مصر بأذن الله من كبارالدول البترولية، عندنا قناة السويس ، عندنا العزيمة .**

انكم تصنعون الآن مستقبلكم ، انكم تستطيعون ان تصنعوا الآن أعظم مستقبل لكم .

اننا فى موقف التحدى هذا يظهر معدن الشعب المصرى والطاقات الكامنة فيه — الشعب المصرى لا تظهر طاقاته الا وقت الأزمات .

وفى حرب أكتوبر ظهرت طاقات الشعب المصرى وأصالته حتى المنحرفين تركوا انحرافاتهم وتقدموا الصفوف ومن هنا أقول لكل أخ كما قلت انكم تصنعون مستقبلكم بأنفسكم انكم تستطيعون أن تجعلوا مصر جنة تعيدونها الى سابق مجدها وان تعيشوا فى بلادكم كراما وتموتوا كراما ان شاء الله .

والأمر بيدكم وقد فعل الرئيس السادات ما لم يفعله أى زعيم لوطنه والبقية لدى الشعب ، والشعب يستطيع أن يكرم الرئيس السادات بتحقيق الأهداف التى وضعها أمام عينيه وهو توقيع معاهدة السلام لقد فعل هذا من اجل شعبه وضحى بما لم يضح به أى انسان — كان يستطيع أن يكون كأى حاكم وكأى زعيم ويزايد مزايدات رخيصة وأن يترك شعبه يسير نحو الهاوية نعم لقد أوقف كل هذا لنبدأ الصعود الى القمة وسنصل الى القمة ان شاء الله ..

السادات يهدى القرآن الكريم

صرح الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف بأن الوزارة ستقوم بطبع آلاف الكتب الدينية وترجمات القرآن الكريم باللغات المختلفة لتوزيعها على الهيئات العالمية هدية من الرئيس المؤمن محمد أنور السادات .

أمريكى يشيد بالاسلام

أشاد أندرو يونج رئيس الوفد الامريكى فى منظمة الأمم المتحدة بالاسلام ووصفه بأنه قوة ثقافية فى عالم اليوم .

منبر الاسلام :

هذه شهادة صادرة من شخص له مكانته فى قومه ، تضاف الى شهادات سابقة تشيد بالاسلام وترى أنه الدين الوحيد الذى يحل مشاكل المجتمعات والافراد ويصلح أحوالهم] .

مجلس اسلامى فى عمان

أصدر وزير التربية والتعليم بسلطنة عمان قرارا يقضى بتشكيل مجلس استشارى للتربية الاسلامية .

ويهدف المجلس الى غرس روح العقيدة الاسلامية فى مراحل التعليم المختلفة واكسابهم الحقائق والمعارف النابعة من الاسلام والمثل العليا المستمدة منه .

المركز الاسلامى الافريقى

عقد مجلس أمناء المركز الاسلامى الافريقى اجتماعه فى الخرطوم لبحث تقديم الخدمات التعليمية والاسلامية لأبناء القارة الافريقية .

مسلمو الهند

صرح الشيخ عبد الله شاه بخارى أمام وخطيب مسجد شاهنشا هانى أكبر مساجد نيودلهى بأن مسلمى الهند يشكلون قوة سياسية هامة وانهم يتمتعون بمركز فريد فى الهند .

ومسلمو الهند متمسكون بدينهم وبتعاليمه ، وانهم يتولون بأنفسهم تدريس المواد الدينية ويعملون على انشاء شبكة من المعاهد الاسلامية فى أنحاء الهند .

الاسلام والسياسة الاجتماعية فى ندوة دولية

المعهد الدولى للدراسات الاجتماعية التابع للامم المتحدة فى جنيف ، قرر تنظيم ندوة عن الاسلام والسياسة الاجتماعية بهدف دراسة أهمية الاسلام فى مجال السياسة الاجتماعية وتأثير الفكر الاسلامى على التنمية .

مسجد ومركز اسلامى بروما

وافقت بلدية روما على انشاء مسجد ومركز اسلامى بالعاصمة الايطالية .

وصرح مدير المبانى فى البلدية بأن الاجراءات الروتينية ستستغرق بعض الوقت قبل الموافقة النهائية .

ويخدم المشروع ٥٠ ألف مسلم بالعاصمة .

بريطانى يدعو للاسلام فى بريطانيا

يقوم اللورد المسلم هاملتون حاليا بنشاط اسلامى ملموس فى المجتمعات البريطانية يتمثل فى المحاضرات التى يشرح فيها الاسلام ورأيه فى القضايا المعاصرة وقد أسلم ٢٤ شابا وفتاة على يديه .

ولزوجته نشاط فى جمع وتوزيع الزكاة على مستحقيها، وهى عضو فى لجنة الزكاة بالمركز الاسلامى بلندن .

ومجلة منبر الاسلام يسرها أن تقف الجهات المسئولة عن الدعوة الاسلامية فى العالم بجانب هذا المسلم المجاهد فى سبيل دينه بامداده بالكتب الدينية باللغة الانجليزية والدعاة الذين يتقنون اللغة الانجليزية حتى لا يقف هذا المسلم فى الميدان منفردا) .

العلاقات بين الاسلام والغرب

دعت جامعة ادنبرة بالاشتراك مع اتحاد الطلاب المسلمين بالمملكة المتحدة وايرلندا الى عقد مؤتمر يتم فيه تدارس العلاقات بين الغرب والاسلام من قديم العصور .

وستلقى فيه عدد من المحاضرات التى تتعلق بمناهج الاسلام ومناقشة بعض البحوث التى تبحث العلاقات بين الغرب والاسلام

تدريس الشريعة الاسلامية فى أمريكا

قررت كلية الحقوق بجامعة هارفارد الأمريكية — وهى من أكبر الجامعات الأمريكيه — تدريس برنامج كامل عن الشريعة الاسلامية كمنهج أساسى بين دراستها القانونية

تهدف الدراسة الى تعريف الطلاب بمصادر القوانين المقارنة الهامة وتطبيقاتها ، خاصة وان الدين الاسلامى منتشر فى بقاع واسعة من العالم .

مؤتمر اسلامى فى بريطانيا وايرلندا

فى لندن عقد أول مؤتمر اسلامى من نوعه يضم جميع أئمة المساجد فى بريطانيا وايرلندا وعددهم ٢٧٠ اماما .

وهدف المؤتمر تكوين لجنة مركزية لجميع الأئمة واصدار مجلة شهرية باللغة الانجليزية تسمى (الامام) .

وركز المؤتمر على ضرورة تزويد المساجد بمكتبات دينية وثقافية تساعد على فهم العقيدة الاسلامية ، وضرورة تعليم الأطفال المسلمين اللغة العربية ومبادىء الدين الاسلامى .

« منبر الاسلام يسعدها أن تسمع وتقرأ أن أجهزة الدعوة بمصر قد قدمت أو ستقدم لهذا المؤتمر ما يحتاجه من الكتب الدينية والثقافية وكل ما هو فى حاجة اليه من أجل الدعوة الاسلامية » .

السيرة النبوية فى مؤتمرها الثالث

سيعقد المؤتمر الثالث للسيرة النبوية فى أوائل العام الهجرى القادم فى الدوحة .

وسيشترك فيه ممثلون عن جميع الدول الاسلامية وسيبحث المؤتمر الجوانب المختلفة لحياة الرسول عليه السلام .

الدورة التدريبية الثالثة بنيجيريا

فى منتصف يوليو القادم ستبدأ الدورة التدريبية الثالثة لمعلمى اللغة العربية للكبار فى ولاية كانو بنيجيريا وتستمر الى نهاية أغسطس .

والدورة تقام تحت رعاية الاتحاد العالمى للمدارس العربية الاسلامية الدولية بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم فى ولاية كانو بنيجيريا

تطبيق الشريعة الاسلامية

وزير العدل الصومالى يدعو العالم الاسلامى الى تطبيق الشريعة الاسلامية وتوحيد الجهود الاسلامية من أجل وحدة الشعوب الاسلامية ضد الاخطار التى تحدق بالعالم الاسلامى .

« وجمهورية مصر العربية بصدد تطبيق الشريعة الاسلامية الغراء فى مصر ، والسيد وزير الاوقاف الدكتور عبد المنعم النمر يرأس اللجنة المشكلة لهذا الغرض .

وتواصل اللجنة عملها بصفة مستمرة حتى تتمكن من انجاز مهمتها فى أسرع وقت تنفيذا لتوجيهات السيد رئيس الجمهورية .

دار الكسوة الشريفة توجيهات للرئيس برعايتها

طلب الرئيس أنور السادات من فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر وزير الاوقاف ضرورة العناية بدار الكسوة الشريفة والابقاء على فن النقش على المنسوجات الذى تقوم به الدار .

وصرح الوزير بأنه سيتم وضع خطة للحفاظ على الدار والابقاء على هذا الفن الاسلامى الذى اشتهرت به مصر وتتضمن منح حوافز مادية وادبية لتشجيع النشء على الاتجاه للعمل بهذا الفن مع رعاية العاملين القدامى وتعليم جيل جديد من الحرفيين لقواعده .

مصر تدعو لعقد مؤتمر اسلامى عالمى بالقاهرة لمناقشة القدس

أعلن الرئيس محمد أنور السادات أن مصر سوف تدعو الى عقد مؤتمر اسلامى عالمى بالقاهرة لمناقشة قضية القدس .

وأن مصر سوف تقدم الحلول الجذرية حتى تعود السيادة الاسلامية والعربية

نظرة موضوعية

إلى التعليم الديني

قررنا ازدواج المناهج - فأين الحوافز؟

الأستاذ محمد نعيم

التعليم الدينى المتخصص لا تتعدى نسبته الحالية اثنين فى المائة قياسا على التعليم العام ، وهى كما ترى نسبة ضئيلة لا تتلاءم واحتياجات المجتمع الملحة الى مثل هذا النوع من التعليم ، فضلا عن الالتزامات الأدبية والدينية تجاه العالم الاسلامى والوفاء بما يطلبه من معلمى الدين والدعاة اللازمين له •

ويرجع هذا الانخفاض الى قلة المعاهد الدينية القائمة وعدم تكافئها العددى مع مدارس وزارة التعليم بجانب تزايد عدد السكان المستمر ، كما أن هناك ثلاثة عوامل أخرى ساعدت على نشوء تلك الظاهرة وهى :

● صعوبة المقررات التى تدرس بالمعاهد الأزهرية ، وافتقادها من حيث الصياغة الى اسلوب العصر •.

● ازدواج المناهج .. ويتطلب من الطالب الأزهرى مجهودا مضاعفا للجمع بين منهاجى المعاهد الدينية ووزارة التعليم فى وقت واحد ..

وقد أدى ذلك بدوره الى انصراف معظم الطلاب عن التعليم الدينى ، وحرص أولياء الأمور على الحاق ابنائهم بمدارس وزارة التعليم ، نظرا لسهولة المقررات فيها نسبيا ، بالاضافة الى اقتصار مرحلة الثانوى العام على ثلاث سنوات بدلا من أربع فى معاهد الأزهر ، وهو ما يوفر على أبنائهم سنة كاملة من اعمارهم ..

قررنا الازدواج واغفلنا الحوافز ؟!

وكان من المفروض ازاء ماذكرناه ان ينهج التعليم الدينى فى تخطيطه العام **أسلوب تشجيع** الطلاب واغرائهم على الالتحاق به ، وذلك بتقرير نظام الحوافز مثل : تقديم وجبة غذائية مجانية ، وهو ما كان معمولا به من قبل بالأزهر ويعرف باسم (الجراية) .. وغير ذلك من المزايا المالية والعينية ، وتخصيص مكافآت وجوائز سنوية للطلاب المتفوقين فى دراستهم على مستوى الجمهورية ..

لكن الملاحظ ان التعليم الدينى أصبح فى السنوات الماضية عالة على التعليم العام ، فكل ما تلفظه مدارس وزارة التعليم من أصحاب المجاميع الضعيفة فى الشهادة الاعدادية العامة يتحولون تلقائيا الى المعاهد الأزهرية ، ومن ثم فالتحاق هؤلاء الطلاب بالازهر ليس نتيجة اقتناع او رغبة منهم ، وانما كمحاولة أخيرة من أولياء الأمور لانقاذ مستقبل ابنائهم بعد فوات فرصة دراستهم بالثانوى العام ، وهذا يشكل بطبيعته عبئا اضافيا على التعليم الدينى ويؤدى فى النهاية الى هبوط مستواه العام ، وهو ما نشكو منه اليوم خاصة بالنسبة لتدهور حفظ القرآن الكريم بالمعاهد .. وعلاج ذلك يستوجب :

□ التركيز فى المرحلة المقبلة على معاهد القاعدة ، وأعنى به المعاهد الابتدائية وكتاتيب القرآن الكريم على وجه الخصوص .

□ التدرج فى انشاء المعاهد الاعدادية والثانوية **بالقدر الذى** يستوعب فقط طلاب كل مرحلة سابقة ، مع مراعاة مواقع تلك المعاهد من حيث الكثافة السكانية والتوزيع الجغرافى ..

□ انشاء اقسام داخلية لطلاب المعاهد المغتربين بالعواصم والمدن ..

□ تخفيف مقررات وزارة التعليم الثقافية التى يدرسها الطالب الأزهرى بجانب مقرراته الأصلية ..

وإذا كانت خطة التعليم الدينى الموضوعة للسنوات الخمس القادمة تستهدف ـ كما علمت ـ الارتفاع بنسبة هذا التعليم الى نحو سبعة فى المائة بدلا من اثنين ، فهى بلا شك خطة طموحة تستحق كل تأييد وتعضيد ..

الكم والكيف معا ..

الا انه من الضرورى أن يتلازم أثناء التنفيذ الكم مع الكيف ، فلا يترتب على التوسع فى انشاء المعاهد التجاوز عن كفاءة الطالب الأزهرى أو ضعف مستواه العلمى ، أو ملء الاماكن الشاغرة بتلك المعاهد بطلاب من التعليم العام غير مؤهلين للتعليم الأزهرى من حيث العلوم الاسلامية وحفظ القرآن الكريم ..

هذا ما يجب ان يتداركه المسئولون فى الأزهر من الآن حتى يظل خريج المعاهد الازهرية متمكنا من علمه ، قادرا على العطاء والتحرك برسالة القرآن ..

.. ومسئولية وزارة التعليم باقية ..

تبقى بعد ذلك مسئولية وزارة التعليم فى العناية بتدريس المناهج الاسلامية فى جميع مدارسها وبمختلف المراحل لا سيما حفظ القرآن الكريم .. واعتبار الدين مادة اساسية للنجاح والرسوب فى كافة امتحانات النقل والشهادات العامة .. وتنظيم مسابقات عامة فى حفظ القرآن الكريم على مستوى المحافظات ومنح الطلبة المتفوقين فى حفظه جوائز كبيرة .. بهذا وحده يمكن تأهيل طالب التعليم العام الذى قد يخونه المجموع فى المواد الأخرى لمواصلة تعليمه بالأزهر واجتياز امتحان القبول الذى تجريه ادارة المعاهد الدينية كل عام بنجاح حقيقى ..

(بقية مقال القرآن العظيم)

فرد من الأفراد ، وانما أردت التنبيه الى ذكر نماذج من أصول الهداية لنعرف حظ هذه الأصول من الرعاية والعناية فى مناهج التفسير والمفسرين .

وعلم التفسير علم يراد به توضيح كتاب الله تعالى انه يبين معانيه ويستخرج أحكامه ، وهذا العلم قديم وهو فى جملته نوعان : تفسير بالمنقول ويعتمد على ما أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين ، وتفسير راى واجتهاد يلم فيه المفسر بأساليب العرب وأسباب النزول ثم يوضح معانى القرآن على حسب ما يرى ، وقد يتوسع المفسر فيضيف الى تفسيره علوما أخرى كالتشريع والتوحيد والأدب والبلاغة وقد أصبحت كتب التفسير صورة للحياة العقلية فى العصر الذى كتبت فيه .. وقد اتخذ أسلافنا من معارفهم وأفكارهم سبلا لفهم كتاب الله فهما يقوم على حقائق العلم الصحيح لتبيين هدايته . ونقف لنتساءل : ما موقفنا نحن من عصرنا ومعارفه ووسائله وأفكاره ومذاهبه ؟

هل نقف من آيات الله عندما وصل اليه أسلافنا أو نتقدم كما تقدموا الى البحث بوسائل عصرنا وبعقولنا التى رباها القرآن بحكمته وحريته وبراعة أسلوبه وتناوله الرائع لقضايا الحياة والكون مع عنايته بتثبيت قواعد الايمان فى قلوب دارسيه من المؤمنين .. ويرى المؤلف أن الجانب الكونى فى آيات القرآن جانب مهم جدا ، لأنه عماد الدلائل الالهية على وجود الله تعالى ، وهذا الجانب ـ فى رأيه ـ فى حاجة ماسة الى اعادة النظر فيه للتفسير بأسلوب علمى ولكن على شرط أن نحذر فلا نخضع القرآن لنظريات لا تزال فى مهب التجارب . يجب تفسير الآيات تفسيرا علميا بشرط الا نجعل النظريات العلمية هى تفسير الآيات ومعانيها التى قصدها القرآن ولكن على أساس أن القرآن لا يصادم علما ثبت بالبرهان القطعى ثبوتا لا يحتمل الارتياب ، وهذا يتطلب من علماء الاسلام أن يتسلحوا بالعلم والمعرفة بأوسع معانيهما ، وبقدر ماتتسع له الطاقة البشرية . ونتوقف عند هذا الحد سائلين الله تعالى أن يهدينا جميعا سواء السبيل ..

مختارات من الصحف والمجلات

إعداد : الأستاذ احمد عبد الرحيم السايح

(هل لهذا الليل من آخر ؟)

ذكرت مجلة «البريد الاسلامى» التى تصدر فى الاسكندرية فى عددها الأخير رقم «٤١٤» مقالة جاء فيها : ربما لم يمر على المسلمين عهد كهذا الذى نحن فيه ، فقد تمزقت فيه الكلمة ، وتبعثرت الجهود ، وتشتت القوم أيدى سبأ ، ولكل لسانه ودعواه ، حتى عمى على الناس ، فهم لا يعرفون وجه الحق ، وقد تركوا دينهم تنهش فيه الذئاب دون أن تاخذهم عليه غيرة ، أو تتحرك فيهم نخوة . بل انساقوا وراء الحياة الجارفة المملوءة بالزبد ، وأضحوا غرباء عن دينهم ، أو دينهم غريبا عنهم . ولعل ذلك وان جاء على فترات ، فانه لم يلبث كما لبث ، ولم يتأصل كما هو الآن . ولا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم ماذا أراد الله بهم ؟

وربما ينقشع الليل المظلم عن شمس مشرقة . وما ذلك على الله بعزيز . وان فى أمتنا أصحاب أقلام ورأى ، وذو فكر ودعوة ، وعلماء عاملون مخلصون ، وحكام حكماء يقظون . وهذا ما يبعث فى النفس الأمل ، ولكن لابد من جمع الشمل وتوحيد الكلمة ، وتضافر القوى ورسم الخطة ، فى اطار المنهاج الربانى الذى عاش به سلفنا . فكان لهم المجد والسؤدد ، ومن كان مع الله كان الله معه ، فلننفض تراب العار عن رءوسنا ، ولنرفعها لاعادة خير أمة تقيم الحق ، وتزهق الباطل ، وتؤمن بالله ، وتنشر لواء السلام وهدفها أن تكون كلمة الله هى العليا . وهنا تشرق شمس الايمان على العالم وتحوطه رعاية الله وينعم برضاه ..

(ان العاقبة للمتقين) :

نشرت مجلة التربية الاسلامية ، التى تصدرها جمعية التربية الاسلامية بالكرخ ، فى عددها التاسع من السنة الحادية والعشرين ، افتتاحية نقتطف منها الكلمات التالية : **مما لا شك فيه أن الأخذ بالأسباب أمر هام فى الحصول على النتائج المطلوبة** ، ومن أراد الحصول على شىء أخذ بالوسائل الممكنة والسبل الكفيلة التى تحقق له الوصول الى ما يصبو اليه . وقد أصاب من قال : **« من سار على الدرب وصل »** . هذه سنة من سنن الحياة استنها بارىء الكون سبحانه وتعالى لعباده فى حياتهم الدنيا . وهكذا باقى سنن الكون بارزة لكل ذى لب وبصيرة ، والقرآن العظيم يحدثنا عن العديد منها ، ويخبرنا عن مقدمات الشىء واذا قام المرء بها حصل على النتيجة المحتمة **« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »** وعلى سبيل المثال فقد امتدح الله تعالى الصبر وأمرنا به ووعدنا بالحسنى .

ان نحن وعيناه حقا ، كانت النتيجة **« انما يوفى**

الصابرون أجرهم بغير حساب » فكل عمل يقوم به المرء له أجر مقدر عند الله تعالى الا الصبر فأجره غير محدود . وللصبر وجوه متعددة جدير بالعاقل أن يتدبرها ويتحصن بها لينال المرتبة التى وعده الله تعالى بها .. وحرى بنا نحن اتباع هذه الأمة أن نجعل من رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوتنا وقدوتنا لنسعد فى حياتنا الدنيا ، وتسعد بنا الدنيا بأسرها فى هذا الخضم المائج ، والله سبحانه وتعالى ينادينا بقوله : « **ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ».

وقد أثنى الله تعالى على المتقين بعد أن أوصانا بالتقوى ووعدنا الحسنى ان نحن سرنا فى طريق الذين اتقوا ربهم « **يأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم** » .. وأوضح لنا ربنا جلت قدرته أن التقوى سبيل لتفريج الكربات، كما أن فيها السعادة فى الدنيا والأخرة « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » .. وقد وردت آيات كثيرة تحث المسلمين على الصبر والتقوى فى آن واحد ، وتلك مرتبة عالية قد تكون سببا لنجاة الأفراد والأمم فى كثير من المهالك .ولنتأمل ما ورد فى كتاب الله العزيز من هذه الآيات : « **لتبلون فى اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور** » .

فالصبر والتقوى من معالى الأمور التى ترفع من شأن الأمة وتعلى قدرها وهى سائرة فى طريق الله تعالى حيث يتحقق بهما النصر على الأعداء .

الاسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة :

تحت هذا العنوان قالت مجلة « منار الاسلام » فى عدد جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ : ان الاسلام لم يكن عقيدة فقط ، ولم تكن مهمته تنظيم العلاقة بين الانسان وربه فقط ، وانما كان عقيدة وكان شريعة ، وكان توجيها للانسان الى جميع نواحى الخير وعمل الصالحات فى هذه الحياة . ولكن لا وجود للشريعة فى الاسلام الا بوجود العقيدة الصحيحة المبراة من درن الشرك ، وكل عمل جاهلى من أعمال الجاهلية الأولى أو ادران الحضارة الغربية المعاصرة . لأن الشريعة بدون عقيدة علو ليس له اساس . فان عقيدة توحيد الله والايمان به وبكتابه وبرسله هى القوة المعنوية التى تسند الشريعة وتوحى باحترامها وتدعو لمراعاة قوانينها وتطبيق نظمها ، مما يستوجب على المسلم العمل بموجب ومقتضيات الشريعة ، بدون حاجة الى قوة من خارج النفس ذاتها . **لأن الشريعة هى أفعال المكلفين الظاهرية النابعة من انفعال القلب وتيقنه بسلامة المعتقد،**

البقية ص ٩٣

والاعتقاد الجازم على هذا النحو هو طريق النجاة والفوز بما أعده الله لعباده المؤمنين . ولذلك أجمع علماء التوحيد وعلماء الفقه على أن من آمن بالعقيدة وألغى العمل بالشريعة أو أخذ بالشريعة وأهدر العقيدة لا يكون مسلما عند الله ، ولا سالكا فى حكم الاسلام سبيل المسلمين.

والاسلام الذى ندين به والحمد لله سوى بالنظر الى عقيدته وشريعته بين جميع بنى الانسان ، دون النظر الى ما بينهم من فروق شخصية كذكورة أو أنوثة وبياض وسواد . أو فروق اجتماعية كغنى وفقر ووجاهة وعدمها . بل ان درجات القرب من الله تتبع درجات القوة فى الايمان والاستقامة على الشريعة ، على أسس من العقيدة الصحيحة : «**يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير** »

وهذه الآية من الذكر الحكيم لو علقت بعد ترجمة معانيها فى قبة المجتمعين بالأمم المتحدة ، وعلم الجميع بأن معتقد المسلمين بأن الله خالق الناس وباريهم من أصل واحد هو آدم وحواء ، وصيرهم بالتكاثر جموعا عظيمة وقبائل متعددة ليتم التعارف والتعاون بينهم ، وان أرفع الناس منزلة عند الله فى الدنيا والآخرة أتقاهم له ، وأكثرهم مراعاة لرابطة الانسانية ، وان الله محيط علمه بكل شىء خبير ، لا تخفى عليه دقائق كل شأن . لو استبان الناس — كل الناس — حقيقة عقيدة الاسلام ، ويسر شريعته ، لدخلوا فيه أفواجا . وكيف يستبين الناس ذلك ؟ هل عن طريق ترجمة الاسلام الى لغاتهم فقط .. لا .. وانما بجانب ذلك والأهم منه بترجمة الاسلام والقرآن فى اخلاقنا وعادتنا وسلوكنا . **ان العقيدة والشريعة تشكل نظام حياة الانسان ،** وعليه فالمسلم مطالب بصقل عقيدته والتمسك بشريعة الاسلام وجعلها نظام حياته .

قبل أن تشرق شمس القرن الخامس عشر :

جاء فى مقال بهذا العنوان ذكرته مجلة التضامن الاسلامى بالجزء الثامن من السنة الثالثة والثلاثين : قد وصل الاسلام فى مفتتح القرن الخامس عشر الى كل ركن من اركان القارات الخمس . بل ودخل كل مدينة واقيمت المآذن فى كل أرض ، وبلغ المسلمون الف مليون ممن يقولون لا اله الا الله ، هم ربع سكان العالم ، واصبحوا الفئة الثانية بعد سكان البلاد الأصليين فى انجلترا وفرنسا والمانيا ، وفى الولايات المتحدة لا تشرق الشمس الا على مسلم جديد . وقد تكشف لأهل العلم والثقافة فى الغرب أن التوحيد هو قمة المعرفة . واضطربت النفوس بعد مكتشفات العلم ازاء التعدد والوثنية ، وازاء العقائد

أخلاق ومواقف

إعداد حامد المرسى تقى الدين

حقيقة الانسان

نظم هذه الكلمات أبو محمد عبد الله البسامى الخوارزمى حيث يقول :

عجبت من معجب بصورته
وكان بالأمس نطفة مذرة

وفى غد بعد حسن صورته
يصير فى اللحد جيفة قذرة

وهو على تيهه ونخوته
ما بين جنبيه يحمل العذرة

***

لا حد للعقل

قال الحكماء : لكل شىء غاية وحد ، والعقل لا غاية له ولا حد ، ولكن الناس يتفاوتون فيه كتفاوت الأزهار فى الرائحة والطيب .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أنه سأل السيدة عائشة رضى الله عنها : أرأيت الرجل يقل قيامه ، ويكثر رقاده والآخر يكثر قيامه ، ويقل رقاده : أيهما أحب اليك ؟

فقالت : سألت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن ذلك ، فقال لى : « أحسنهما عقلا »

فقلت : يا رسول الله ، انما سألتك عن عبادتهما !

فقال : ياعائشة « انهما لا يسألان عن عبادتهما ، وانما يسألان عن عقولهما فمن كان له عقل كان أفضل فى الدنيا والآخرة » .

ويقول الشافعى — رضى الله عنه : العقل نور فى القلب — يزيد وينقص .

ويقول العتبى : العقل عقلان ، عقل تفرد الله بصنعه وهو الأصل ، وعقل يستفيده المرء بأدبه ، وهو الفرع ، فاذا اجتمعا قوى كل منهما صاحبه تقوية النار فى الظلمة للبصر .

وقد أخذ العتبى قوله من أبيات تنسب الى الامام على كرم الله وجهه وهى :

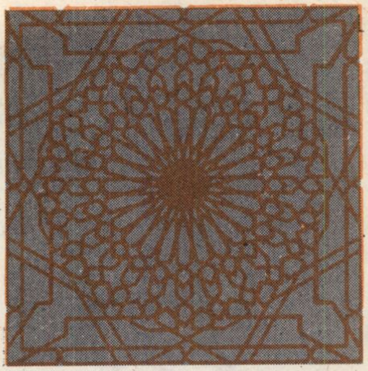

رأيت العقــل عقلين　　فمطبــوع ومسموع
ولا ينفع مســموع　　اذا لم يك مطبــوع
كمــا لا تنفع الشمس　　وضــوء العين ممنوع

* * *

ايمــان اعرابية

قال الأصــمعى : مررت بأعرابيــة فى كوخ بالبادية ، فقلت : يا أعرابية . من يؤنســك هنا ؟

فقالت : يؤنسنى مؤنس الموتى فى قبورهم !

فقلت : ومن أين تأكلين ؟

قالت : يطعمنى مطعم الذرة « النملة » وهى أصغر منى !

* * *

اجوبة حكيمة

قال رجل ليحيى بن أكثم : أيها القاضى ، كم آكل ؟

قال : فوق الجوع ، ودون الشبع .

قال : فكم اضحك ؟

قال : حتى يسفر وجهك ، ولا يعلو صوتك .

قال : فكم ابكى ؟

قال : لا تمل البكاء من خشية الله تعالى .

قال : فكم أخفى عملى ؟

قال : ما استطعت .

قال : فكم أظهر منه ؟

قال : ما يقتدى بك فى البر ، ويؤمن عليك قول الناس .

* * *

من نوادر الأعمش

كان الأعمش من كبار علماء الاثبات ، ولكنه كان كثير الضجر والتبرم بكثرة الكلام ، فمن ذلك : أنه أتت ليلة الشك فى رمضان ، فجاء الناس يسألون أيصومون أم يفطرون ؟ فضجر من كثرة السؤال ، وبعث الى بيته فجىء اليه برمانة ، فشــقها ووضــعها بين يديه ، فكان اذا نظر الى رجل مقبل يريد أن يسأله ، تناول حبة منها فأكلها ، فيغنى الرجل عن السؤال ، ويغنى نفسه عن الرد .!

* * *

استفتاح الكتب

قال ابراهيم بن محمد الشيبانى : لم تزل الكتب تستفتح بـ « **باسمك اللهم** » ، **حتى** أنزلت سورة « **هــود** » وفيها « **باسم الله مجريها ومرساها** » ، فكتب « **باسم الله** » .

ثم أنزلت سورة « **الاسراء** » وفيهــا « **قــل ادعوا الله أو أدعوا الرحمــن أيا ما تدعو فله الأسماء الحسنى** » .

فكتب « **باسم الله الرحمن** » .

ثم أنزلت سورة « **النمل** » وفيهــا « **انه من سليمان ، وانه بســم الله الرحمن الرحيم** » فاستفتح بها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصارت سنة .

شخصيات

إسلامية

بشر الحافى

فضيلة الشيخ محمد على الطعمى

كان هذا الرجل عظيما ـ وابن عظيم ، ومن سلالة ناس عظماء ، لهم مكانة مرموقة فى العلم والأدب والرئاسة ، فشب يلبس الحرير وينام على الحرير ، ويسكن القصور العالية ، وتفيض يداه بنعمة موفورة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة .

واقبلت الدنيا على هذا الرجل ، وتزيدت فى الاقبال عليه ، وسخت معه وبالغت فى السخاء : فعب من مفاتنها عبا ، وأخذ من مطايبها ما أمتع به نفسه ، وجعله يرتع فى الملذات .

وشاءت عناية الله أن تنقذ هذا الرجل، وتجعله من الذين سعدوا ، والسبب كما يقول المؤرخون ، أنه كان يمشى فى الطريق متبخترا ، وكان يلهو ويعبث ويدنون بعبارات ، فيها شىء من الجد والهزل ، وفجأة رأى ورقة فى الأرض ، عفرها التراب ووطئتها الأقدام ، فالتقطها وقرأها فوجد فيها اسم الله تعالى فما كان منه الا أن اشترى عطرا غاليا ، وعطر به هذه الورقة ، ثم وضعها فى حائط ، فرأى فيما يرى النائم من يقول له : يا بشر طيبت اسمى ، لأطيبن اسمك فى الدنيا والآخرة : فاستيقظ من نومه تائبا .

نفحة من نفحات الله ، أصابت عبدا من عباده المنحرفين ، فأغمض عينيه عن المعصية ، وتعلق قلبه بذكر الله ، ففاز بالصفاء القلبى ـ الذى لا يفوز به الا الأواهون الذين سبقت لهم الحسنى وصفت نواياهم من الرعونات ... وكل من سار على الدرب وصل .

وكما أغمض الرجل عينيه عن المعصية ـ كذلك أغمض عينيه عن المال الذى كان معه ، وأعطاه لمن يستحقه من الفقراء ، ثم تخشن ـ وترك لبس الحرير ـ والنوم على الحرير ، والسكن فى فخفخة القصور ، وراح يطلب العلم بالحاح ، ويأخذ بصبر وقوة ، حتى أصبح عالما ومن كبار العلماء ، لكن الرجل غلبت عليه العبادة ـ وأراد أن يسلك طريق القوم ، الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله .

اسم هذا الرجل ـ أبو نصر ـ بشر بن الحارث ـ بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال ابن ماهان ، بن بعبور ، وبعبور هذا من قرية يقال لها « ماترسام » من أعمال مدينة « مرو » أسلم على يد على بن أبى طالب ، وأسماه عبد الله ، فسكن بغداد ، ومن بعده سكنها أولاده وأحفاده ، الذين منهم بشر الحافى ، الذى كانت له الزعامة على الصوفية ، والذى دوى صيته فى الآفاق .

ولأمر ما ، لقب بشر بن الحارث « بالحافى » وقد لازمه هذا اللقب ، واشتهر به بين الناس ، والسبب فى ذلك أن احدى نعليه انقطع شسعها، فأمسك بها ، وذهب الى اسكاف ، وطلب منه شسعا ، فقال له الاسكاف : ما أكثر كلفتكم ـ يا معشر الصوفية ـ على الناس : فغضب بشر والقى بالنعل المقطوع شسعه من يده ، وخلع الآخر السليم من رجله ، وحلف يمينا لا ينتعل مادام حيا ، فلقب « بالحافى » .

والاسلام دين يدعو الى المحافظة على الصحة

ـ وفى أحاديث كثيرة أمر بالانتعال وشدد فيه ، لكن ماذا تصنع مع صوفى فاهم ؟ أخرجته كلمة ساخنة عن صوابه ، فأراد أن يأخذ نفسه بالمشقات ، فحلف لا ينتعل طوال حياته ، وفعلا بر الشيخ بيمينه .

ولقد كان يصعب على الناس ، أن يروا بشرا يمشى حافيا ، فكان يحضه كبيرهم وصغيرهم على أن ينتعل فكان يسخر منهم ، وأحيانا يبتسم لهم ، فى شىء من المرارة وعدم القبول .

ويقال ان بشر الحافى ، ذهب يوما لزيارة صديق له ، ودق عليه الباب ، فقيل من بالباب؟ فقال : بشـر الحافى : فقـالت له بنت من داخـل البيت : لو اشتريت لك نعـلا بدانقين ، لذهب عنك لقب الحافى : الذى لا نرضاه .

أرأيت كيف طلق بشر الحافى دنياه ثلاثا ؟ وكيف هرب من ناموس الكون ، وناموس الكون جميل؟ ثم أرأيت كيف حدد لنفسه برنامجا صعبا ، التزم به ، وقاسى فى تنفيذه الأمرين ؟ والذى حمله على ذلك ، أن الناس تطاولوا عليه بألسنتهم ، وعيروه بأنه يسأل الناس شسعا ، وقد أصبحوا لايطيقون السؤال عن توافه الأشياء .

ومع ذلك كان بشر الحافى رجلا مهيبا ، فيه جلال الزهاد ، ووقار النساك ، وكان عالما بالحلال والحرام ، وله فى الفقه باع طويل ، وله فى الحديث صولات وجولات واستنباطات ، ويكفى أن سر السقطى ، أكبر أستاذ فى زمانه ، روى عنه علم الحديث .

حدث بشر يوما تلاميذه ، فقال : يا أصحاب الحديث ، أدوا زكاة هذا الحديث ، قالوا : وما زكاته ؟ قال اعملوا عن كل مائتى حديث بخمسة أحاديث .

وهذا نداء طيب ومركز ، من امام فاضل الى علماء الحديث ، لكى يتابعوا نشر الدعوة الاسلامية ، وعليهم الا يملوا من المتابعة فيها ، امتثالا لقول الله تعالى « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، واولئك هم المفلحون** » .

ولعمرى ، ان ذلك القياس لطيف ومضبوط، أوجب فيه الشبلى مقدارا معينا من الأحاديث، يبذله المحدثون للطالبين ، تمشيا مع قاعدة الزكاة، التى توجب فى أموال القادرين جزء منها للمحتاجين، وهذه معادلة صحيحة ، وفيها اشارات واضحة، **لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .**

وفى مرة قال له تلاميذه : حدثنا يا أبا نصر، فأنشد يقول :

أقسم بالله لرضخ النوى
وشرب ماء الأعين المالحة

أعز للانسان من حرصه
ومن سؤال الأوجه الكالحة

فاستغن بالله تكن ذا غنى
مغتبطا بالصفقة الرابحة

اليأس عز والتقى سؤدد
وطمع النفس خلة فاضحة

من كانت الدنيا به برة
فانها يوما له ذابحة

وهذا الشعر يبين لنا بجلاء ، عزة النفس التى كانت تكمن فى ضمير هذا الصوفى العظيم .

وكما أن بشر الحافى أخذ نفسه بالتقشف والعفة والتشبث بأكل الحلال الخالص ، كذلك كانت أسرته تنمو هذا النمو ـ فقد اتجهت برمتها الى الزهادة والعبادة ، والبعد عن المحرم والمشبوه ، وأخذت تعمل بيديها فى حقل الحياة ، لتوفر لنفسها لقمة عيش خالية من المسئولية أمام الله .

حكى عبد الله بن أحمد بن حنبل ، فقال: دخلت امرأة على أبى فقالت: يا أبا عبدالله ـ اننى امرأة أغزل الصوف على ضـوء المصباح ، وربما طفىء المصباح ، فاغزل على ضـوء القمر ، فهـل على أن أبين للشارى عند البيع غزل المصباح من غزل القمر ؟ فقال لها أبى أحمد بن حنبل : ان كان عندك بينهما فرق فى الغزل ، فعليك أن تبينى ذلك ، فقالت له : يا أبا عبد الله: أنين المريض ، هل هو شكوى ؟ فقال لها: انى أرجو ألا يكون شكوى ، ولكن هو اشتكاء الى الله تعالى ، ثم انصرفت ، قال عبد الله ، فقال لى أبى: يابنى ماسمعت بمثل هذه الأسئلة ، اتبع تلك المرأة ، قال عبد الله فتبعتها الى أن دخلت دار بشر الحافى ، فعلمت أنها أخته ، فاخبرت أبى بذلك ، فقال : هذا والله هو الصحيح ، محال أن تكون هذه المرأة الا أخت بشر الحـافى .

وقال عبد الله أيضا : جاءت ـ مخة ـ أخت بشر ـ وقالت : يا أبا عبد الله ، راس مالى دانقان ، أشترى بهما قطنا وأغزله وأبيعه فأنفق مما يزيد على الدانقين ، وفى هـذه الليلة

مرت مجموعة من الناس معهم مشعل ــ فغزلت على ضوئه أكثر من كل ليلة ، فعلمت أن الله تعالى ، سوف يطالبنى فى هذا ، لأننى انتفعت بمال الغير بلا حق ، فخلصنى من ذلك ، خلصك الله ، فقال لها ابى أحمد بن حنبل : تخــرجين من الدانقين وتبقين بلا رأس مال ، حتى يعوضك الله خيرا منه ، قال عبد الله ، فقلت لأبى الامام أحمد ، لماذا لم تقل لها ، لا تخرج من رأسمالها ، وتتصدق بما عداه ؟ فقال : يا بنى ، سؤالهــا لا يحتمل التأويل ، فمن هذه المرأة ؟ فقلت هى ــ مخة ــ أخت بشر الحافى ، فقال ابى : من هنا اتيت :

اذن أسرة بشر الحافى أسرة كان عندها وعى دينى مشبوب ، وكانت تعمل بهذا الوعى ، وتحرص على العمل به فى دقة وحذر ، حتىلاتقع فريسة للشيطان .

وبشر الحافى نفسه،يشهد بذلكفيقول ، تعلمت الزهد من أختى ، فانها كانت تجتهد ألا تأكل ما لمخلوق فيه صــنع ولقد كانت لبشر ، صلة وطيدة وقائمة ودائمة بالامام أحمد بن حنبل ، وكان بين الرجلين حب وود ووفاء ، وعندما امتحن ابن حنبــل وصبر على الامتحان ونجح فيه،قال بشر: أدخل أحمد بن حنبل الكير ــ كير الامتحان ــ فخرج ذهبا خالصا ، وأربى على الذهب فلما بلغ ذلك الامام أحمد ، قال الحمدلله الذى أرضى بشرا بما صنعناه :

ولا يفوتنا أن نذكر ، أن لبشر الحافى كلاما يسيل عزوبة ورقة ، وقد جاء من كلامه : لاتكون كاملا حتى يأمنك عدوك ، وكيف يكون فيك خير، وأنت لا يأمنك صديقك : ؟ كلام واضح وجميل كسلاسل الذهب ، لأن من كمال الرجل اذا عادى انسانا ، لا يغدر به ولا يكيد له ، وهذا نهجمفقود بين الصديق والصديق ، فكيف يكون الحــالمع غير الأصدقاء ؟

ومن كلامه : الدعاء ترك الذنــوب : ومعنى ذلك ، أن المســلم اذا ترك الذنوب ، أصبــح مستجاب الدعوة ، اما اذا انغمس فى الشهوات، فلا دعاءَ له ، وان دعا لا يستجاب له دعـــاء ، فأولى له أن يتحرر من الذنوب ، ثم يدعو الله كما يشاء .

وقال بشر الحافى : بى داء مالم أعالج نفسى ــ لا أتفرغ لغيرى ، فاذا عالجت نفسى تفــرغت لغيرى ، وفى هذا الكلام توجيه عظيم ، فانهلاينبغى للانسان أن ينهى عن المنكر ويعمله ، وفيه ينبغى أن يكون الداعية قدوة حسنة ، سلوكا وعملا ، والا فلا يصلح الفاسد بالفاسد .

ان بشر الحافى رجل ذواقة فى الكلام ، ولــه تعبيرات فضفاضة ، فيها نصيحة وأدب وفن ، وكان اذا تكلم خرجت موعظتــه من القلب الى القلب ، كأنها قبسات من السماء .

ماتت له أخت أكبر منه ، فبكى عليها بكاء مرا، فسأله أصدقاؤه ، لم تبك يا بشر هــذا البكاء العنيف ؟ فقال لهم : قرأت فى بعض الكتب ، أن العبد اذا قصر فى خدمة ربه سلبه أنيسه ــ وهذه أختى ، كانت أنيستى فى الدنيا ..

وبعد هذا ، كانت لبشر أحوال عجيبة ، تثير الانتباه وتلفت الأذهــان ، وتــولد فى النــاس الاحساس بالتساؤل ، روت كتب الصوفية ، أن أن رجلا مر على بشر فى يوم ممطر شديد البرد، وقد علق مرقعته على شجرة وكان لايملكغيرها، وجلس عاريا يستقبل المطر بجسمه ، فسأله : لم هذا يا بشر ؟ فقال :أرد ت أن أشارك الفقراء ما يجدونه من الم البرد .

سلام على بشر الحافى ، المحدث والصــوفى والزاهد ، سلام على هذا العلم الفذ ، الذى له تــاريخ وأيام وكرامات ، ســلام عليه فى قمم الصوفية ، الذين سموا بأفكارهم ، وعفتقلوبهم وأيديهم وألسنتهم عن المحرمات .. سلام على بشر الفيلسوف الصامت ، الذى قال عن نفسه: انى لأشتهى الشواء منذ أربعين سنة ، ماصفالى ثمنه : ، والذى قال عنه المأمون : لم يبق احد على وجه الأرض ، يســتحى منه ، غير هــذا الشيخ .. بشر بن الحارث :

وأحب بشر لقــاء الله ، وأحب الله لقــاءه ، فقضى نحبه فى بغداد ، فى العاشر من محرم سنة ٢٢٧ هـ ، كما أنه كان من مواليد سنة ١٥٠ هـ ، فأسكنه ربه جنات تجرى من تحتها الأنهار .

المضطربة والتفسيرات التى لا يقبلها العقل وشهدت صواريخ الفضاء المتجهة الى القمر والى الكواكب بأن لهذا الكون خالق قادر ، وكشفت التلسكوبات الضخمة عن مدى سعة هذا الكون وعظمة الخالق الذى جعل وراء مجرتنا التى تحوى مائة ألف شمس مائة ألف مجرة أخرى ، وصدق الله العظيم « فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم » كل هذا يبين مدى ضخامة تبعة المسلمين ازاء تبليغ رسالة الاسلام الى العالمين ، ومسئوليتهم وتقصيرهم ازاء هذه الفريضة الا من رحم الله من رجال لا تلهيهم تجارة قد وهبوا حياتهم صادقين . كل هذا يدعونا الى أن ندعو قومنا الى التحرك من داخل قيمنا ومفاهيمنا فى مواجهة الغزو الفكرى والثقافى الذى يستهدف تمزيق النفس المسلمة والعقل المسلم واخراج الأمة عن اطاراتها الأصيلة وقيمها الأساسية ، لتتحرك من داخل فكر الغرب حتى تستسلم استسلاما كاملا لمناهجه وفلسفاته، وهذا أمر يجب أن نتكاتف جميعا على الوقوف فى وجهه لأسباب عديدة .

أولا : لأن هذه المناهج الغربية لم تحقق للغرب نفسه ما يطمح اليه من بناء المجتمع ومن العسير أن تخرج هذه الأمة من مناهجها الى مناهج أمة أخرى لم تثبت فى بيئتها أى صلاحية لها فكيف تستطيع أن تعطى الأمم الأخرى .

ثانيا : ان أمة لها عراقة الأمة الاسلامية تاريخا وقيما ومنهج حياة ، **من العسير أن تتخلى عن ذلك كله فى ظل تحديات مرحلة من مراحل الضعف أو التخلف ، وهى مرحلة عابرة فى طريقها الضخم الطويل .**

ثالثا : ان الدعوة الى اخراج الجيل الجديد من اطارات الدين ، هى دعوة مدمرة لكيان الأمة، وشخصيتها ، ومعارضة لطبيعة الأشياء ، ومضادة لسنن التطور ،ومخالفة لأعمق أعماق هذه الأمة فى مزاجها النفسى وتركيبها الاجتماعى . ذلك لأن هذه الأمة قد تشكلت والدين يوجه سلوكها وحياتها . الدين بمفهومه الاسلامى لا بمفهومه الغربى . أما العلم فهو ثمرة من ثمار الاسلام الذى دعا الى البرهان فى المعرفة وأعان على انشاء المنهج العلمى التجريبى .

رابعا : ان لدينا فى ميراثنا الاسلامى ثروة ضخمة تستطيع أن تعطينا حلولا صادقة لكل ازماتنا وقضايانا ، فليس دعوة أصدق اليوم من الدعوة الى التماس المنابع والحفاظ على الأصالة.

قول :

« أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه :
الحلم ، والتواضع والسخاء ، وحسن الخلق »

الامام الجنيد رضى الله عنه

شركة مصر للغزل والنسج
بالمحلة الكبرى

قلعة الصناعة العربية

نالت منتجاتها العديدة شهرة عالمية

١٩٧٩

الإنتاج

غزل القطن	٤٠٠٠٠	طن
منسوجات قطنية	١٦٧ مليون	متر
أقمشة وبرية	٤٨٠	طن
غزل الصوف	١٨٤٥	طن
منسوجات صوفية	٣,٦ مليون	متر
بطاطين صوفية	٧٨٥٠٠	قطعة
ملابس جاهزة	٧ مليون	قطعة
قطن طبى	١٨٥٠	طن

......

المبيعات

محلى :	٥٨,٥	مليون جنيه
تصدير :	٣٤,٥	مليون جنيه
جملة :	٩٣	مليون جنيه

العمالة

عدد العاملين :	٣٢٠٠٠ عامل
الأجور :	٢٥,٥ مليون جنيه

شركة مصر للغزل والنسج
بالمحلة الكبرى

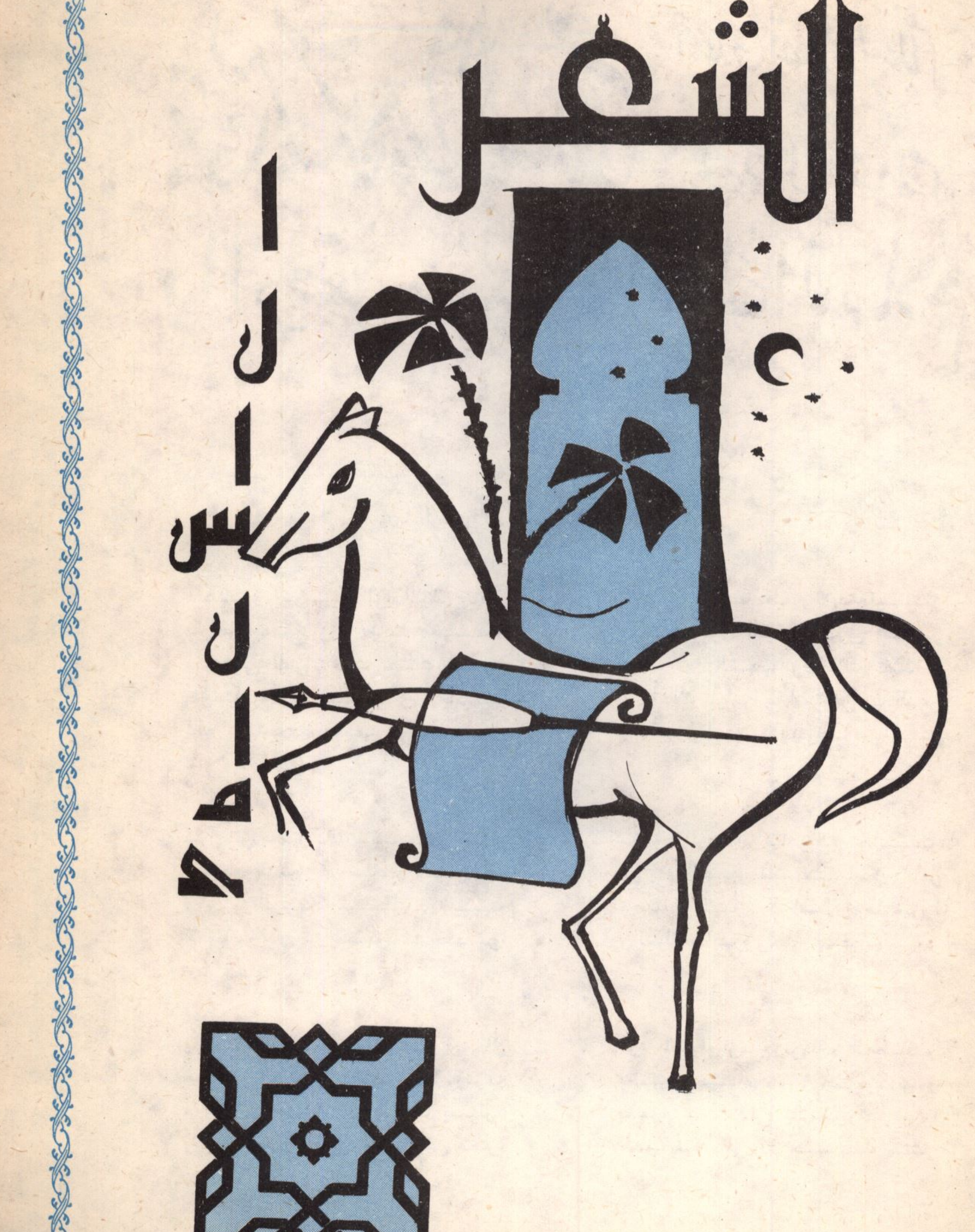
الشعر

عنابة عيد السلام

أهدى قصيدة السلام

إلى بطل السلام

يا أرض سيناء أتاكِ السلام

يا أرض سينا أتاك السلم

الحق دوما على الأيام ينتصر ... والبغى مهما طغى لابد ينـدثر
ما خاب ساع وان طالت مسالكه ... وبعد طول الليالى يشرق الفجر
يا داعى السلم قد حققت أمنية ... باتت لها الشهب والأفلاك تنتظر
طوفت بالأرض تسعى فى مناكبها ... ما انتابك اليأس ما استولى بك الذعر
لك الجناحان من حب ومن عدل ... والحب والعدل لا يعلوهما .. قدر

. . . .

يا أرض سينا أتاك السلم فى شوق ... يعانق الرمل فالذرات تخضر
يكفكف الدمع كم سالت شواطئه ... ويزرع الخير فليستأصل الشر
وكم روتك دماء فيك غالية ... وكنت قبرا لأبطال وما قبروا
كفاك ما كان ان القوم قد جنحوا ... والسلم يطرق حتى يدخل النصر

. . . .

يا أرض سينا أتاك السلم فى حلل ... من الضياء وفاح برملك العطر
فجددى الثوب أعلاما مرفرفة ... بالحب بيضاء .. لا حمر ولا سمر
وجددى العهد تاريخا يسطره ... بالعزم جهد الألى بالأمس قد عبروا
يا أرض سينا أهنىء واستقبلى عصرا ... الحب فيه على الأرجاء منتشر

الأستاذ عبدالمنعم عبدالله حسن

من وحى نتائج الامتحانات

المادة	[illegible]	عربي	دين	[illegible]	علوم	جغرافيا	موسيقى
نوفمبر	١٠	١٢	١٤	١٨	٢	٤	٨
ديسمبر	٩	٨	٤	١٢	١٤	١٦	٢٠
يناير	١٠	٤	٦	٢	٨	٨	٢٠
فبراير	٢	٤	٨	٤	٢	٣	٢٠

إذن فاتعظ!

الأستاذ محمد عبد السلام عطا

حوار بين طالب اسمه « راشد » وعلامة حمراء رآها على احدى المواد فى نتيجة امتحانه آخر العام الدراسى .

راشد : « مخاطبا العلامة الحمراء فى حزن عميق » .

لا كان يومك عند القدر
فأنت نذير الجوى والخطر
فهجت الفؤاد ، فصرت به
شريد الخيال أليف الفكر
وصارت حياتى كلحن الجناز
تكاد القلوب له تنفطر
فبت أقاسى عذاب الهموم
ودمعى غزير شبيه المطر
وأمست أناس بعيد سعيد
تزف النشيد لنجم السحر
وبت حزينا حيال دماء
تأجج فيها وميض الشرر
فيالك من جمرة لفحها
يبيد الرجاء ويزجى الكدر
ومرآك يدمى جراح الفؤاد
ويدنى السقام ويعشى البصر

العلامة : « فى سخرية »

أراشد ، مهلا ، أطلت السباب
وخانك فيه زمام الحذر
وكلت الى صنوف الملام
بسامى البيان قوى الصور
فطف بالحقيقة واترك خيالا
تشاهد هناك حلى الخبر
فما أنا ناى يزف النشيد
بلحن حزين لكل البشر
ولست ألوح بطرس مجد
عدو الهجود أليف السهر
يكون الكتاب رفيقا اليه
حيال المقام وحين السفر
رياض العلوم أحب اليه
من الغانيات وحفل السمر
وما أنا الا كسهم المنون
أسوق الكسول خلال الحفر
وانى اليه كلفح الهجير
أثير اللهيب طوال العمر
هلم الى الجد يابن الكرام
فان التكاسل سر الضرر
فتغدوا لحياة كصافى النمير
تألق فيه ضياء القمر

راشد : « فى حياء وندم » مناجيا نفسه :

لهوت زمانا بلغو الحياة
وكنت فقيرا الى من يعظ

« متجها الى العلامة مبتسما » .

وكنت الى شعاع الحقيقة فيه الرجاء . . .

العلامة : « فى كبرياء المنتصر » .

اذن فاتعظ

١ = ٣

وهذا صحيح

ولأول مرة في تاريخ التأمين

مبالغ التأمين الأساسية

المستثمرة تتضاعف إلى أكثر من

ثلاثة أضعافها

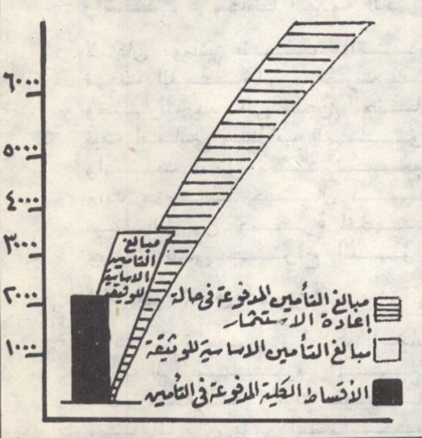

هذا هو أكبر استثمار تأميني

توفره لك

الوثيقة

الماسية

لكافة الاستعلامات إملأ الكوبون المرفق

وارسله إلى:

شركة التأمين الأهلية المصرية

القاهرة ٢٣ و٣٤ شارع قصر النيل تليفون ٩٧٩١٠٠

الاسكندرية ٣٣ شارع سعد زغلول ٨٠٢٣٢٨

القاهرة ص.ب ٥٨٠ الاسكندرية: ص.ب ٤٤٦

الاسم ------------------------

العنوان ------------------------

شاهندة

نادى

القصة والمسرحية

يوسف الصدّيق

تمثيلية فى حلقات :

الأستاذ بهاء الدين القبانى

ملخص لما نشر :

على مشارف حاران ، بئر من حولها تجمعت فتيات ينتظرن دورهن فى سقاية أغنامهن ، راعيان يحاولان عبثا زحزحة الحجر عن عين البئر ، وقعت عيناهما على شاب غريب عن القريه يجلس الى ظل شجرة قريبة ، دعواه للمساعده فاقبل عليهما فرايا عليه سمات التقى والفتوة ، عرفا منه أنه يدعى يعقوب ابن النبى اسحق ابن النبى ابراهيم : وأنه قادم من قرية بئر سبع ويتوجه الى قرية حاران حيث يقيم خاله لابان ، سألهما عن الطريق اليه فأخبراه بانه سيد حاران وفدان أرام وأن راحيل ابنته من بين هؤلاء الفتيات ، ورآها يعقوب لأول مرة فأعجب بحسنها ، طلب الراعيان اليه أن يزحزح الحجر بمفرده لأنهما قد تعبا ، تقدم يعقوب فزحزح الحجر وسقى غنم راحيل واصطحبته الى دار أبيها حيث استقبله لابان مرحبا ، ليئة الابنة الكبرى وراحيل الصغرى أختنا من خلال الباب تسترقان النظر الى يعقوب مبهورتين بفتوته ورجولته ، تهمس ليئة كيف أنها لم تر يعقوب مذ كانا صغيرين ، وتهمس راحيل كيف أن يعقوب بمفرده قد زحزح الحجر الضخم ، لم تسترح ليئة تماما لحديث أختها فنهرتها وانصرفتا دون أن تعرفا سبب قدوم يعقوب ..

عرف لابان أن اسحق قد دعا ليعقوب بالخير، فخافت عليه أمه من غيرة وبطش أخيه عيسو ، فأوعزت الى يعقوب أن يغادر بئر سبع الى حاران ، وأوصته كما أوصاه أبوه بأن يتزوج من احدى بنات خاله ، وعرض على لابان الزواج من راحيل فوافق على أن يعمل لديه فى الحقل مدة سبع سنوات ، وفى ليلة الزفاف انفرد يعقوب بعروسه الملثمة وفوجىء بأنها ليئة ، ولكنه فى الصباح عاد الى خاله غضبان أسفا وكرر طلب الزواج من راحيل وتم له ما أراد بعد شهر واحد ومن ثم أصبحت الأختان زوجتين له ..

رزق يعقوب من ليئة بأربعة أبناء من الذكور هم راوبين وشمعون ولاوى ويهوذا ولم ترزق راحيل بأبناء فأصابها الأسى ، وطلبت من يعقوب أن يتزوج من جاريتها بلهة لتلد هذه أبناء يمكن لراحيل أن تعتبرهم أبناء لها ، وأجاب مطلبها وتزوج بلهة وولدت له دانا ونفتالى ، ودبت الغيرة فى قلب ليئة خاصة أنها مكثت عامين دون انجاب فطلبت من يعقوب أن يتزوج من جاريتها زلفة أسوة بجارية راحيل ، وولدت له زلفة جادا وأشير ، ثم عادت ليئة فأنجبت يساكر وزبولون .

وذات مساء أدخل يعقوب الأغنام فى الحظيرة ثم توجه الى مخدع راحيل ، حيث أبدت أسفها من عدم الانجاب منذ عشر سنوات ، ولكنه طيب خاطرها وأخذ يدعو لها بأن يهبها الله ذرية صالحة ..

وبينما هما كذلك اذ سمعا طرقا شديدا على الباب ، تساءلا عمن يكون الطارق — ثم فتح يعقوب الباب ..

الحلقة الثانية

يعقوب : من ؟ أهلا وسهلا .. بأبنائى الأحبة راوبين .. شمعون .. لاوى .. ويهوذا .. ادخلوا .. ادخلوا .. (لا يدخلون)

راوبين : يأبت .. اسمح لنا بكلمة قصيرة .. على انفراد !

يعقوب : قل ياراوبين ماذا حدث ؟ هل هناك سر يخفى على راحيل .. انها خالتكم .. وأمكم .

راوبين : (متلعثما) ان امى .. امى ..

يعقوب : ماذا حدث ياراوبين ؟ أنت كبيرهم .. هكذا انت تتجحل دائما . تكلم أنت يا شمعون ..

شمعون : أمنا بعثتنا اليك .. لتقول لك انك تاخرت اليوم كثيرا..وتطلب اليك الحضور على الفور لاختيار احدى الأغنام لذبحها كى تهيىء لك الليلة عشاء شهيا . !

يعقوب : (فى دهشة) ولكن أمك دائما هى التى تذبح ما تشاء..لابد أن هناك سببا آخر؟.

شمعون : (فى غلظة) كلا . .كلا .. هيا اخوتى نعد الى أمنا فقد تأخرنا نحن كثيرا .. وحتى لا تتهمنا أمنا بأننا مثل أبينا !!

راحيل : (فى رقة) اذهب يا يعقوب .. اذهب .. فأنا لا أريد أن تغضب ليئة .

شمعون : (فى سخرية) قلبك كبير ياخالتنا .. تخافين أن تغضب أمى .. وأبى عندك منذ رجع من المرعى ..

يعقوب : لقد عدت الآن فقط من المرعى يا شمعون .. وكنت أتهيأ الآن للذهاب عندكم .. ثم ان المسافة ليست بعيدة .. فأنتم فى الجانب الشرقى من الدار الفسيحة ..

شمعون : هذا ظاهر جدا يا ابت ! ظاهر !. هيا ياراوبين .. لاوى .. يهوذا ..

يهوذا : كيف تخاطب اباك بمثل هذه اللهجة يا شمعون ؟ أنت طويل القامة ولكنك قصير النظر .. مغرور ..

شمعون : (فى تحد) اصمت ايها الأبله .. فأنت لا تفهم شيئا .. أولى لك فأولى أن تاكل مما تاكل منه الأغنام .. فلست تفترق عنهم فى شىء .

يهوذا : انت طويل اللسان .. وقاسى القلب يا شمعون .. ولولا وجود ابى لأمسكت برأسك ثم حطمته فى هذا الحائط ..

شمعون : أنت تحطم رأسى ؟ أيتها الشاة العجفاء ؟ ..

يعقوب : (متدخلا) يا أولادى الأعزاء .. ليس هناك ما يدعو الى كل هذا الشجار .. اجلسوا .. اجلسوا .. واهدأوا .. يرعاكم الله ..

شمعون : كلا .. لن نجلس .. هيا نغادر المكان فورا .. (يتهيأون للانصراف)

يعقوب : سأحضر على أعقابكم .. تصحبكم السلامة .. ياراوبين فرق بين اخوتك اذا حدثت مشادة بينهم فى الطريق .. لاتتركهم يتشابكوا بأيديهم .. (ينصرفون) ..

راحيل : يعقوب .. اذهب معهم .. شمعون هذا شرير وقد يتشابك مع يهوذا .

يعقوب : كلا .. راوبين سيمنعهم — لا تخشى شيئا ..

راحيل : ليئة سوف تغضب لعدم ذهابك اليها .

يعقوب : لا تراعى .. حكاية ذبح احدى الأغنام والعشاء الشهى حكاية مفتعلة .. وليئة كما أعلم قد هيأت فعلا العشاء وهى تنتظرنى لهذا الغرض .. ولا تنتظرنى كى أذبح .. أنا أعرف ليئة جيدا ..

راحيل : ومع ذلك .. لا تجعل ليئة تغضب منك .. ومنى .

يعقوب : أنت ترين هذا .. اذن ..

راحيل : أجل .. فى حفظ الله ..

يعقوب : أستودعك الله .. هه .. السلام عليك ..

راحيل : وعليك السلام ..

***

(فى الطريق)

شمعون : ها .. ها .. ان أبانا متيم جدا براحيل .. الم تروا انه لا يريد أن يفارقها ولو لفترة قصيرة ..

راوبين : ولماذا يفارقها وهى على قدر كبير من الجمال والحسن .. الحق أقول لكم .. اننى لم أستطع أن أطيل اليها النظر .. انها كالقمر ليلة البدر .. أليس كذلك يا شمعون ؟ ..

شمعون : بلى .. يا راوبين .. هى أنثى ناضجة .. لم تلد وقوامها معتدل .. أما اللواتى ولدن مثل أمنا .. قد يترهلن ولا يعتنين بأنفسهن ولا يبدين زينتهن .. ارتكانا على أنهن قد ولدن .. وأمسكت بتلابيب ازواجهن ولن يستطيع هؤلاء أن يفارقوهن الى غيرهن ..

راوبين : اجل .. اجل .. خاصة اذا كن مثل أمنا التى كبرت فى السن كثيرا .. وظهرت التجاعيد على وجهها .. وبدأت أسنانها تتساقط واحدة بعد الأخرى ..

شمعون : ها .. ها . .يا لك من خبيث يا راوبين .. قليل الكلام . .ولكنك داهية ماكر .. أليس كذلك يا .. يا يهوذا ؟ .. (يلتفت الى يهوذا) .

يهوذا : (يشيح بوجهه) تحادثا بما تشاء .. لن أشترك معكما فى الحديث ..

شمعون : ولماذا يا يهوذا .. قل لى بحق الله .. لماذا يقبع أبونا دواما الى جوار راحيل؟ ونحن أبناؤه لا ننعم بالجلوس اليه الا على فترات متباعدة ؟ ان قريتنا حاران وفدان أرام وجميع القرى المجاورة تتحدث عن الرجل الأمين يعقوب الذى يحب زوجته راحيل .. بل انهم ينصحون بأن يحب الجميع زوجاتهم مثله ! ..

يهوذا : (مندفعا) هون عليك يا شمعون .. أبونا يود ان يطيب خاطر راحيل حتى لا تحزن .. أنسيتم أن راحيل زوجة لأبى منذ خمسة عشر عاما ولم تنجب له ولدا واحدا .. الا يكفى أنها أنثى تريد أن تثبت وجودها لدى زوجها ولكن القدر يقف لها بالمرصاد .. أنسيتم أن أمنا وبلهة وزلفة هؤلاء الثلاثة انجبوا له حتى الان عشرة أبناء .. وراحيل خالتنا كسيرة القلب .. فهل تستكثرون عليها أن يسأل عنها زوجها كى لا تشعر بالوحدة ؟

شمعون : اسمع .. ان أباك يفضل راحيل عن زوجاته الأخريات .. يفضلها على أبنائه جميعا .. ويجب أن تفهم يا يهوذا ان عدم انجاب راحيل ليس له دخل فى الالتصاق براحيل .. فهناك فرق بين الحب والاشفاق .. هو ينزلها من قلبه منزلة كبيرة .. ولا يمكن أن يمر يوم واحد دون الالتقاء بها والتحدث اليها .. وهذا أمر بالطبع يختلف عن الاشفاق .. يا يهوذا .. أليس كذلك يا لاوى ؟ .. لماذا لاتتكلم؟

لاوى : وماذا أقول ؟ كل شىء ظاهر .. ان أبانا يخص راحيل بجميع هداياه .. صناعته التى يعملها لها .. فى الشتاء يقدم اليها ثيابا من صوف الأغنام ليمنع عنها البرد .. وفى الصيف يعمل لها ملابس للصيف خفيفة .. فهل يصنع هذا لأمنا ؟ ..

يهوذا : ما هذا الهراء الذى تقوله يا لاوى ؟ من اذن الذى صنع لكم ملابسكم التى ترتدونها الان .. وصنع الأغطية .. وصنع الفراش والنعال التى فى أقدامكم ؟

شمعون : نراك تدافع عن أبيك يا يهوذا ؟ يبدو أنك لا تعيش معنا فى بيت واحد ؟ ان أمنا يا يهوذا هى التى تتولى صنع الملابس والأغطية ..

يهوذا : (مقاطعا) ربما مرة واحدة .. وأبونا دواما يقوم بصنع جميع الأدوات .. لا تغالوا هكذا .. أبونا .. هل فرط فى أحد منا يوما من الأيام .. انه يحمل قلبا كبيرا .. الم يسهر على راحتنا منذ كنا اطفالا .. الم يذبح الذبائح ساعة ولادة كل منا فتأكل حاران كلها تيمنا بنا .. وحتى اليوم هو دواما يدعو لنا بالخير ..

شمعون : منذ نشأنا .. وبدأنا نعرف الأشياء واهتمام أبينا براحيل يزداد يوما عن يوم .

يهوذا : لا تغالى يا شمعون .. اتق الله ..

شمعون : بل تصبح الكارثة الكبرى لو ان راحيل ولدت لأبينا أبناء .. عندئذ سينصرف عنا تماما ..

راوبين : لا قدر الله يا شمعون .. تلد راحيل .. اذن .. فلسوف نهاجر من هذه الأرض الى أرض أخرى .. ونعتبر أنفسنا بلا أب

شمعون : هذا صحيح .. فمن يحب الشىء .. يحب توابعه وتوابع توابعه ..

يهوذا : يا اخوتى لا تقدروا شيئا ليس فى أيديكم .. ولا تملكون تغييره .. أبونا يحبنا جميعا .. راقبوا الله فى أقوالكم وأعمالكم!

شمعون : انت يا يهوذا أصغر من فينا سنا .. واكبر منك بيوم .. يعرف عنك بسنة .. انت لا تزن الأمور بميزان صحيح .. ولكن بعد أن يسير بك العمر فى دروب الحياة ستعرف أن كلامنا اليك كان حقا كله ..

راوبين : لو كان يعقوب ابونا يحبنا ـ كما تقول ـ لأعطانى القميص الذى يرتديه دوما من الداخل .. فقد قال عنه انه ورثه عن أبيه اسحق .. وابوه اسحق ورثه عن أبيه ابرهيم .. وابرهيم أعطاه اياه جبريل عليه السلام ساعة القوا بابرهيم فى النار.

شمعون : تقول يعطى لك القميص يا راوبين ؟ أنت واهم .. أنت فعلا كبيرنا ولكنك أصغرنا عقلا .. لا يمكن أن يعطيه يعقوب اليك ولا لأحدنا .. انه سوف يعطيه لراحيل لتحوطها البركة ..

راوبين : كلا .. لم يعطه لأحد .. فقد شهدته أمس يرتديه يا شمعون ..

شمعون : سيعطيها اياه غدا .. بعد غد .. أما نحن .. فلا ..

يهوذا : أبونا قادم من خلفنا .. لقد ادركنا .. انتظروا حتى نسير معه ..

يعقوب : ما زلتم سائرين يا أولادى الأعزاء .. بسلامة الله .. هيا ..

***

(فى دار بلهة وراحيل) .

يعقوب : يا أهل الدار .. يا أهل الدار ..

دان : هذا صوت أبى .. يا نفتالى ابونا حضر ..

نفتالى : أبى ؟ أين هو ؟ يا دان ..

يعقوب : أهلا .. أبنائى الأحبة .. كيف أنت يا دان .. كيف أنت يا نفتالى ؟ .. (يضمهما) .

دان : (ونفتالى) بخير يا أبت ..

يعقوب : اين أمكم راحيل ؟ انها ليست بصحن الدار ..

دان : تقصد امنا بلهة يا ابت ؟

يعقوب : راحيل أمكم .. وبلهة أمكم .. لا فرق بينهما ..

دان : بل انت تفرق بينهما يا أبت ؟ أنت تفضل راحيل عن أمى بلهة .. وتفضل راحيل عنا .. وعن اخوتنا جميعا ..

يعقوب : (فى استغراب) من قال ذلك ؟ انتما صغيران فى السن .. ولا ينبغى أن تقولا لأبيكم مثل هذا القول .. اقترب منى يا دان .. وأنت يا نفتالى .. هل سمعتما هذا القول من قبل ؟ ..

دان : اخوتنا يقولون كذلك .. وأمى بلهة تردد دائما أنك تعز راحيل عن جميع ازواجك . وأننا جميعا لسنا بذات قيمة لديك ..

يعقوب : كلا .. كلا .. يا أبنائى .. معاذ الله .. أنتم جميعا أبنائى . وهل يفرق الأب بين أبنائه ؟ لا شك أنه يكون ظالما . وأنا لست كذلك ..

بلهة : (تظهر فجأة) اذن .. بماذا تفسر كل هذا الحب والود لراحيل .. وتعاملها هى بمفردها معاملة من نوع خاص ؟ ..

يعقوب : بلهة ! .. أنت أيضا ؟ وأنت جارية راحيل .. وتغارين منها ؟ .

بلهة : أنا الان زوجك .. ولا تتهرب من السؤال ..

يعقوب : لا شىء يا بلهة .. ولكنى أرى أن راحيل تحتاج الى المزيد من العطف والرعاية .. فهى عاقر كما تعلمين .. وأنت ولدت دانا ونفتالى وليئة ولدت ستة أولاد .. وزلفة ولدت ولدين .. وأولادكن جميعا كبروا .. وأنت تعلمين قلب الزوج التى لا تلد .. تنطوى على نفسها وتشعر كأن القدر يحاربها وأن العالم يكرهها .. بل لا يشعر بوجودها .. فاذا لم أمسح عليها دمعة حزن وأطيب خاطرها وأشعرها أننى أحنو عليها .. فربما اعتراها سوء ـ تصورى نفسك مكانها.. الا تكونين فى أشد الاحتياج الى اقتراب زوجك منك أكثر من الزوجات الأخريات ؟ كونى عاقلة يا بلهة ولا تسقى أولادك الكره لأبيهم .. فيخرجوا الى الدنيا قاسية قلوبهم سيئة طباعهم ! ..

بلهة : دعك من كل هذا .. راحيل جميلة .. أما نحن .. فلنا الله !.

يعقوب : حتى انت يا بلهة ؟ وأنا أعزك تماما مثل راحيل ..

بلهـة : لو كنت تعزنى مثل راحيل .. لسألت عنى وعن أولادك أولا .. فقد حضرت أنت الى هنا بالأمس ومكثت فترة عند راحيل ولم تسأل عنا .

يعقوب : يا بلهة .. الا تسكنين أنت وراحيل فى جناح واحد .. حجرتاك الى جانب حجرتيها ؟ ليست بينكما مسافة طويلة .. فهل أنت فى بلد وهى فى بلد آخر ؟ ثم انك بالأمس كنت نائمة أنت وولداك فأحببت أن لا أقلقكم .. ثم .. من الذى أخبرك ؟

بلهـة : راحيل .. راحيل نفسها .. ومع ذلك .. لا عليك يا يعقوب .. ادخل عند راحيل .. ادخل .. فانها طيلة ليلة أمس وهى مريضة وكنت أسهر على رعايتها ..

يعقوب : راحيل مريضة ؟

(ينصرف مسرعا الى حجرة راحيل) .

بلهـة : الم أقل لكما ؟ .. لقد أسرع الى حجرة راحيل ولم ينتظر حتى أكمل كلامى .. انى أخشى أن يكون وراء مرض راحيل أشياء وأشياء ..

يعقوب : (يدخل فى حجرة راحيل) راحيل .. ما بك ؟ .. لا .. لا تنامى يا راحيل .. قومى .. فليس لى فى هذا الوجود بعد الله سواك .. ماذا ؟ ماذا حدث ؟

راحيل : لا تقلق يا يعقوب .. اطمئن .. (تبتسم) .

يعقوب : أجل .. ابتسمى .. ابتسمى ياراحيل .. فالدنيا كلها تبتسم عندما تبتسمين .. والدنيا كلها تعبس عندما يبدو عليك اى تعب .. ماذا ؟ ماذا يا راحيل ؟ أتشكين من شىء ؟

راحيل : بالأمس ليلا .. أصبت بغثيان .. والدنيا دارت بى .. وكدت أسقط على الأرض لولا انى استندت الى الحائط ..

يعقوب : ماذا ؟ ماذا ؟ .. يعنى أنت ؟ ..

راحيل : ربما .. ربما يا يعقوب .. وانى احس الان بأن هناك شيئا فى بطنى يتحرك .. لا أكاد أصدق .

يعقوب : اذن .. فأنت حامل .. حامل .. الحمد لله .. وفى حفظ الله ان شاء الله .

راحيل : أنت مسرور يا يعقوب ..

يعقوب : هذا أجمل خبر سمعته فى حياتى .. يا كريم يا الله .. خمسة عشر عاما .. الصابرون بخير .. الحمد لله .. رب اجعله عاليا عندك .. عاليا فى نفسه .. عاليا عند الناس ..

راحيل : يتقبل الله منك يا يعقوب ..

يعقوب : هه .. راحيل .. بم نسميه ان شاء الله ؟ ..

راحيل : نختار له اسما الآن على أنه ولد ذكر .. أما اذا كانت أنثى فسوف نسميها عند الوضع ..

يعقوب : لك ذلك .. هه .. بماذا نسميه ؟

راحيل : أنت ابوه .. سمه بما تشاء ..

يعقوب : (يطرق ثم يرفع رأسه) ان ما مر بنا من المآسى يا راحيل .. وخداع أبيك لى بارغامى على الزواج من ليئة بالطبع شىء يؤسف ويحزن .. ومكوثك أنت مدة خمسة عشر عاما بدون ولد شىء يؤسف أيضا .. وتنكر أختك ليئة .. وتزعمها حملات الكره لى من أبنائى العشرة .. وزلفة جاريتها . حتى جاريتك أنت .. بلهة .. أخذت فى المدة الأخيرة تقول وتفعل ما يؤسف .. أما الأمر الذى يؤسفهم ويحزنهم أكثر وأكثر هو انك ستنجبين طفلا .. بعد أن خيب الله ظنونهم .. من أجل ذلك .. ما رأيك .. نسميه يوسف ؟؟ ..

راحيل : أجل .. يوسف .. يوسف يا يعقوب .

يعقوب : على بركة الله يا يوسف ..

* * *

(بلهة فى مخدع ليئة)

ليئـة : ماذا تقولين يا بلهة ؟ .. راحيل حامل؟ لم أرها منذ شهور ..

بلهـة : أجل .. وفى شهرها التاسع .

ليئـة : كلا .. كلا .. أنت تغالين .. يبدو أن راحيل تشعر بانتفاخ فى بطنها فقط .. وليس حملا .. الم تذهبى اليها يا زلفة ؟

زلفـة : راحيل حامل .. وربما تلد اليوم أو غدا !! ..

بلهـة : يعقوب الان مسرور .. الدنيا لا تسعه .. يبتسم ويصلى ويدعو الله ويبارك .. ويقترب من راحيل .. تحركى بهدوء يا راحيل .. ادعو الله لك بالسلامة يا راحيل .. يا بلهة .. كونى الى جوار

راحيل .. لا تفارقيها ..

ليئة : طبعا .. طبعا .. راحيل حبيبة القلب.

***

(الاخوة مجتمعون فى الحظيرة القريبة من الدار) .

شمعون : حامل ؟ راحيل حامل يا راوبين ؟

راوبين : أجل .. سمعت يا شمعون .. والقرية كلها سمعت بأن راحيل حامل .. وأنها قد تلد اليوم او غدا ..
(يدخل يهوذا) .

شمعون : ضجة شديدة ؟ لماذا ؟ .. ولدتنا امهاتنا ونعتقد أنه لم تحدث ضجة فلماذا عندما تلد راحيل ؟

يهوذا : وهل يغضبكم أن يكون لنا أخ آخر ؟ ..

شمعون : ها .. ها .. قد حضرت يا يهوذا .. لماذا لم تذهب عند راحيل لتستقبل المولود الجديد ؟ أنت تنفعأن تكون قابلة يا يهوذا؟

يهوذا : أما زلت على غيرتك العمياء يا شمعون ؟ أنت كبرت فى السن ويجب أن تتعقل الأمور وتتصرف فى حكمة .. أنسيت أن يعقوب أبوك ؟
(يدخل نفتالى وهو يهرول مضطرب الأنفاس) .

راوبين : ما بك يا نفتالى ؟ أنت تهرول ؟ ماذا حدث ؟ أنت مصفر الوجه ؟ قل ما الذى جاء بك على عجل ؟

يهوذا : ماذا يا نفتالى ؟ تكلم ..

نفتالى : أمر خطير .. خطير جدا ..

راوبين : ماذا ؟

نفتالى : راحيل ولدت ولدا .. اسمه يوسف .

راوبين : (فى أسى) يوسف .. يوسف .. اذن .. بدأت المتاعب ..

يهوذا : ماذا تقصد يا راوبين ؟

راوبين : الأمر ظاهر يا يهوذا ..

يهوذا : ظاهر ؟

شمعون : الا تعرف كيف يكون الأمر ظاهرا يا يهوذا ؟ مجىء يوسف اليوم من راحيل .. سوف يطيح بما بقى من حنان لنا فى قلب أبينا .. فمن اليوم سوف يبارك يوسف .. ويدعو ليوسف .. ويبتسم ليوسف .. ويهدى هداياه ليوسف .. انه .. انه ابن حبيبة القلب ..

راوبين : طبعا .. جاء لأبينا بعد فترة طويلة من عدم الولد .

يهوذا : هونوا عليكم .. حنان أبينا يعقوب كثير قلبه كبير .. أنسيتم أنه من بيت النبوة .. وهو نفسه نبى ؟ والنبى يتسع قلبه فيشمل السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى .. انه يرى الله ويشعر بوجوده فى كل هؤلاء .. فكيف لا يتسع لأفراد يعدون على أصابع اليدين ؟ وحتى لو فقدتم حنان أبيكم .. اليس هناك حنان الله تعالى يشمل جميع عباده ؟

راوبين : هه .. بدأ الدفاع عن أبينا ..

نفتالى : دعكم من يهوذا ومن دفاعه .. تصوروا أن أبانا قد جهز منذ شهور فرشا وألبسة واغطية للمولود المنتظر .. تصوروا أنه صنع له سريرا خاصا به معلقا على عمود من الخشب بحيث يكون سهل الحركة .. يدفعه الواقف بيديه فيتأرجح فيكف الطفل عن البكاء ..

راوبين : طبعا .. طبعا .. قل ليهوذا يا نفتالى.

نفتالى : بل هناك شىء آخر أهم .. حمله أبوه بين ذراعيه وقال له وهو يداعبه رعاك الله . وأجرى الخير على يديك يا يوسف .. وعندما تغدو صبيا سأهب لك القميص الذى ورثته عن جدى ابرهيم .. أنت له وهو لك ..

شمعون : (فى غيظ) طبعا .. طبعا .. والقدر يخبىء لنا الكثير ..

راوبين : ولكن يا اخوتى .. ينبغى على كل منا أن لا يظهر شيئا مما فى قلبه أمام أبينا .. أو أمام راحيل .. ويجب أن نتصرف فى هدوء .. وفى حكمة وفى اتزان .. وأن نكتم ولا ننسى .. واظهار العداوة ليس فى صالحنا .

شمعون : أجل يا راوبين .. أنت داهية .. ماكر

راوبين : اذن .. هيا جميعا الان .. نذهب الى المولود الجديد .. نبارك له وندعو له أمام أبينا ونظهر سرورنا أن الله قد استجاب لخالتنا فأعطاها مولودا بعد طول ترقب .
الاخوة (جميعا) .. أجل .. أجل .. هيا ..

***

(فى حجرة راحيل)

(يعقوب يفرغ للتو من صلاته)

(بلهة تحمل بين ذراعيها يوسف الرضيع)

(يدخل جاد واشير ويساكر وزبولون)

بلهة : ما شاء الله .. قمر .. واجمل من القمر ليلة البدر ! .. انظرى يا زلفة .

زلفة : (تتناول يوسف بين ذراعيها) ما شاء الله .. ما شاء الله (تقبله) .

يعقوب : (باسما) ما شاء الله .. ما شاء الله لا قوة الا بالله .. سوف نذبح الذبائح .. ولتأكل حاران جميعها تيمنا بمولد يوسف.
(تتناوله بلهة مرة اخرى وتقربه من راحيل وهى فى فراشها) .

بلهة : (باسمة) انظرى يا سيدتى .. طفلك جميل .. انه يبتسم ! .. قولى يا سيدتى من منكما الأكثر جمالا انت أم هو ؟

راحيل : (تبتسم فى سعادة) هو .. يوسف اجمل ..

يعقوب : فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين.

(زلفة تقترب من بلهة) .

زلفة : (تهمس الى بلهة) لا تقولى مثل هذا أمام سيدتى ليئة ــ فربما أغضبها ذلك . أنت تعلمين أن غضبها لا يقف عند حد ..

بلهة : (هامسة الى زلفة) .زلفةاننىأحببت الطفل اكثر من أولادى ولا أستطيع أن أكبت مشاعرى من أجل .. من أجل ليئة ؟ مهما كانت ليئة هذه .. (تدخل ليئة) .

ليئة : ما شاء الله .. أعطنى الطفل يا بلهة..
(تتناول الطفل بين ذراعيها تداعبه) .
ــ قمر .. انه بدر .. أليس كذلك يازلفة؟

زلفة : (فى تردد) بلى .. بــ .. لى ياسيدتى.

ليئة : (تقبل يوسف) زلفة .. انظرى .. انه مستدير الوجه . .أبيض مثل اللبن .. اننى ولدت أطفالا .. وحضرت ولادة أطفال كثيرين . .ولكنى لم اشعر بحب مثل الذى اشعر به نحو يوسف .. اننى احببته يا زلفة .

زلفة : (وقد تشجعت) أجل .. وكلنا كذاك يا سيدتى .. أحببناه .. كلنا ..
(يدخل راوبين وشمعون ولاوى ويهوذا)

راوبين : (يتصنع الابتسام) ما شاء الله .. لقد رزقنا الله اخا جديدا ..
(يتناول الطفل من ليئة ويداعبه)

شمعون : (ينظر الى الطفل فى يدى راوبين ولكنه لا يمد يده ليتناوله) (يكلم الطفل) ــ هه .. أنت جميل يا يوسف .. تستحق أن تحصل على القميص المبارك من أبيك .. أليس كذاك يا أبت ؟؟ ..

يعقوب : (يؤخذ لحظة من قول شمعون) سيرتديه هو الاخر لبضعة أيام من ولادته .. مثلك تماما يا شمعون .. كل واحد منكم ارتدى القميص المبارك لمدة سبعة أيام فقط من ولادته .. أليس كذلك يا ليئة ؟ وانت يا زلفة ؟ وانت يا بلهة ؟..
النسوة : أجل .. أجل ..

شمعون : (فى استعطاف) ولكن يا أبت .. أود .. أود أن تهبنى أنا هذا القميص ..

يعقوب : لسوف ترثون القميص المبارك من بعدى بلا شك .. فبعد أن أموت تجرون القرعة بينكم على من يحوزه منكم .. وأحب أن أقول لكم جميعا يا أبنائى الأحبة .. أن القميص لا ينفع ولا يضر .. وانما الذى ينفع هو تقوى الله .. والعمل الصالح .. هيا .. هيا شمعون وانت يا راوبين ويا لاوى .. يهوذا .. هيا نختر بعض الذبائح السمينة تيمنا بيوسف .. يا أبنائى ..

ليئة : (مقاطعة) أبوكم كان يذبح الذبائح لدى ولادة كل واحد منكم ..

يعقوب : (وكأنه يكمل كلام ليئة) وكباركم راى هذا لدى ولادة صغاركم .. أليس كذلك ؟

راوبين : اجل .. هذا صحيح يا أبت ..

راوبين : أجل .. هذا صحيح يا ابت .. صحيح

يعقوب : هيا .. هيا .. (ينصرفون)

* * *

(فى مخدع راحيل)

راحيل : مرحى . اختى ليئة .. اهلا زلفة .. تفضلا .. تفضلا ..

لبئـة : (تبتسم فى مرح) لا أستطيع يا راحيل .. لا أستطيع أن يمر أسبوع بأكمله دون أن أرى يوسف .. (تضع لفة الهدايا على منضدة) ..

زلفة : (تضحك) لقد سحرنا الطفل يوسف .. سحرنا .. انا يا راحيل سنأخذه منك ونربيه عندنا .. هه . ماذا قلت ؟

راحيل : هل احببتما يوسف الى هذا الحد .. انه لذو حظ عظيم .. أن تحبه خالته ليئة ! . وزلفة ! .

(تلتفت الى يوسف الواقف الى جوار السرير ..) ..

يوسف !. حظك من السما يا يوسف ..

ليئـة : (فى حنان بالغ) حبيبى يوسف .. (ترفعه الى أعلى) ما شاء الله ! .. ما شاء الله ! .. أنت بدأت تسير على قدميك يا يوسف .. انظرى يا زلفة .. انه أجمل ولد يعقوب .. بل وفى حاران وفدان أرام .. وبيت لحم .. شكيم .. والعالم كله ! .

راحيل : (تهدهد الطفل وهو بين يدى ليئة) . هه يا يوسف .. أتحب أن تذهب مع خالتك لتعيش معها هناك ؟ أم تفضل أن تعيش مع أمك يا يوسف ؟ .. (تبتسم راحيل) وتخرج ..

ليئة : (الى زلفة) لم يبلغ السنة وجسمه يزداد فورانا ! . انه سيكون طويل القامة .. عريض الصدر .. غزير الشعر مثل أبيه يعقوب ! .

(تدخل بلهة)

بلهـة : مرحى .. مرحى ..

ليئـة : اهلا .. بلهة .. انى أود أن ارى يوسف صباح مساء .. انظرى .. عيناه يا بلهـة .. لا استطيع ان اطيل اليهما النظر .. واسعتان .. سوادهما شديد وبياضهما شديد .. حاجباه مقرونان .. شعره أسود مثل الليل .. يداه بضتان جميلتان .. انظرى يا زلفة .. أصابع يديه ورجليه انه ليس بها عظام .. ورقبته .. ريح المسك تنبعث منه .. يا لله ..

انه لا يمكن أن يكون من البشر .. انه ملك ! .. ملك ! .

بلهـة : أراك شغفت به حبا يا سيدتى .. وأنا أنا أيضا ..

ليئـة : (تهدهده وتخاطبه) لسوف تفتتن النساء بك يا يوسف .. ستكون فتنة لهن ! .. (تدخل راحيل وفى يديها أكواب الشراب) (تخاطبها ليئة) .

ــ بسم الله .. ما شاء الله .. القمر نفسه نزل الى حجرتك .. وبعد أن كان يضىء الصحراء والليل أصبح يضىء حجرتك يا راحيل .. والفرق بينه وبين القمر أن القمر فى أول الشهر وآخره لا يظهر بتمامه .. أما يوسف .. بدر طوال الشهر ! ..

زلفـة : (الى راحيل) بعد خمسة عشر عاما يا راحيل تلدين ملكا .. عيناه مكتحلتان بمرود غاية فى الدقة .. يخيل الى أننى انظر فى عينيه الى بئر عميقة .. فى قعرها وحدة وأمل .. لكأننى أنزل فى البئر الآن فأحس بذراعين حانيتين تضمان صدرى ضما لذيذا ..

ياه .. انا فى حلم جميل لا أريد أن أفيق منه ..

(تقطر الدموع من عينيها) ..

• • •

(يجلس لابان الى باب الدار الخارجى)

لابان : (لنفسه) وماذا بعد يا لابان ؟ يعقوب الآن أصبح له أحد عشر ولدا ذكرا .. أى أصبحت له عصبة من الرجال .. والثانى عشر قادم من راحيل .. وله اربع زوجات يتنافسن فى ارضائه والسهر على رعايته أما أنا فليس لى أولاد .. بل أكاد أصبح غريبا بينهم .. وهم جميعا يعيشون من عمل يد يعقوب .. صحيح أنه منذ جاء يعقوب الى البيت والرزق يزداد يوما عن يوم .. والبركة عمت الدار والمرعى .. وأصبح لى عدد من رءوس الأغنام لا أستطيع حصرها الا بصعوبة .. ولكنى قلق .. خائف .. ربما تكاثر أبناء يعقوب على فقتلونى ليصبح لهم كل هذا الميراث

الضخم ! . ولكن .. ما رأيك يا لابان ؟ يا لابان ؟؟ .. ماذا تفعل لتبعد القلق وليبتعد عنك القلق .. فكرة مدهشة .. يعقوب الآن .. يدخل الأغنام الى الحظيرة ومن حوله ابناؤه كأنهم سحابة ثقيلة أنتظر حتى يدخل جميع الأغنام وينصرف الأبناء وأنادى يعقوب ..

— يعقوب .. يعقوب ..

يعقوب : نعم يا خالى لابان ..

لابان : أريدك بعض الوقت ..

يعقوب : سمعا وطاعة ..

لابان : ألا ترى يا يعقوب أن أجرك عن العمل عندى كثير .. أصبحت اليوم لا طاقة لى به ! .

يعقوب : (فى دهشة) هذه لغة جديدة لم أعهدها فيك من قبل يا خالى لابان ..

لابان : أولا .. انت تؤمن بأن الزمن يتغير يا يعقوب .. جئت الى هذه الدار منذ أكثر من اثنين وعشرين عاما بمفردك .. والآن أصبحت ستة عشر فردا .. وربما أصبحت سبعة عشر فردا بعد أيام قلائل

يعقوب : الزمن لا يتغير يا خالى لابان .. وانما نحن الذين نتغير .. كان لك عدد محدود من الأغنام ساعة قدومى الى دارك .. فهل تستطيع أن تعد الآن رءوس اغنامك التى ملأت الوادى ..

لابان : انها على اية حال .. اغنامى ..

يعقوب : بل أنت ومالك ملك لله تعالى .. كما اننى وعيالى ملك لله تعالى ..

لابان : هه .. ماذا قلت ؟ ! ان أجرك عن العمل عندى كثير ولا طاقة لى به .. ولسوف اقتطع منه الثلث ! .

يعقوب : افعل ما تشاء .. ازواجى هم بناتك .. وأولادى هم أحفادك .. وأنا ابن اختك .. ولسنا بغرباء عنك ..

لابان : أجل .. فأنت تتقاضى اعدادا كبيرة من الغنم واعدادا كبيرة من الماعز .. ومن الماشية .. وتأخذ محصولا كبيرا من الأرض .. ولسوف أعطيك منذ الآن ثلثى ما كنت تتقاضاه من كل نوع ..

يعقوب : لك ما تشاء .. وأنت تعلم أن أبنائى يعملون لك أيضا .. ولكنهم لا يتقاضون أجرا ! ..

لابان : كلا .. كلا .. انهم لا يحسنون العمل أكبرهم سنه خمس عشرة سنة .. ولسوف أنقص أجرك الى النصف فقط ! .

يعقوب : لك ما تشاء يا خالى لابان .. فهذا عرض من أعراض الدنيا الفانية .

لابان : (لنفسه) أذن .. فهو لين الى حد كبير ولسوف يقبل أى عرض أعرضه عليه .. انه لا يستطيع أن يعيش بهذا العدد من أهله بعيدا عنى — ولكنى أخشى على نفسى من بقاء أولاده هنا معى .. أجل .. اجعله يحملهم الى قرية بعيدة .. على أن يبقى هو معى هنا بمفرده ان كان يريد الاستمرار فى العمل عندى ..

يعقوب : هل تقول شيئا يا خالى لابان ؟ ..

لابان : لا شىء .. لا شىء يا يعقوب .. ما رأيك عندى حل للمشكلة ! .

يعقوب : هات ما عندك يا خالى لابان ..

لابان : أجعل لك من الغنم ما كان نصفها صوفا أسود .. ومن الماعز ما كان نصفها أبيض ومن الماشية ما كانت بلونين .. أما من المحصول فلا تأخذ الا ما يكفيك بمفردك .. واذا أردت المزيد اشتريته برءوس من الغنم .. هه .. ما قولك ؟

يعقوب : انى أقبل أى عرض تقدمه لى ..

لابان : اذن نتعاهد أمام الله أننا قبلنا الشروط. (يمد يده ويعقوب يمد يده) ..

يعقوب : الله على ما نقول وكيل ..

لابان : الله على ما نقول وكيل .. والفرز يتم غدا .. ومن بعد الفرز سأعرض عليك شرطى الجديد ..

يعقوب : شرطك مقبول مقدما يا خالى ..

(ينصرف) ..

•••

(فى الصباح .. لابان يفتح باب الحظيرة.. يقبل يعقوب وأبناؤه) ..

لابان : (لنفسه) ها .. ها .. سيأخذ يعقوب من كل صنف واحدة فقط .. فالشرط لا يتوافر فى الكثير من الرءوس .. اذن .. لقد نجحت فى اذلاله ..

يعقوب : هل نبدأ الآن بعملية الفرز ؟ ..

لابان : اجل .. يا يعقوب .. هيا الى الحظيرة ولا يحضر معك أحد من أبنائك ..

يعقوب : لك ما تشاء .. راوبين شمعون .. هيا جميعا الى الدار ..

(ينصرف الاخوة .. يدخل يعقوب ولابان الى الحظيرة ..) .

(تسمع أصوات الماشية والأغنام .. تستمر عملية الفرز فترة) .

لابان : ما هذا .. لقد اخذت أغلب الغنم واغلب الماعز واغلب الماشية ! ..

يعقوب : انظر .. كلها تتوافر فيها الشروط ..

لابان : ولكن .. ولكن ..

يعقوب : لقد تعاهدنا أمام الله ..ومع ذلك فأنا أهب لك من عندى نصف ما جمعته .. وأنا أصارحك يا خالى لابان .. لقد امرنى الله تعالى أن اغادر هذا المكان الى حبرون وأسكن على مشارف فدان أرام حيث أكون قريبا من بيت لحم . ومن شكيم .. ومن دوثان .. هذه البقع الطاهرة !! .

لابان : (فى دهشة) ماذا ؟ ماذا تقول ؟ اذن فأنت رجل مبارك يا يعقوب .. ابق هنا وأعطيك ما تشاء من الأغنام ..
(يبكى فى استرحام) ..

يعقوب : وكيف اعصى امر ربى ؟

لابان : اذن .. فخذ ما شئت من الرءوس ! .

يعقوب : كلا يا خالى .. لن آخذ راسا واحدا اكثر من نصف ما جمعته ..

لابان : ولكنى اهبك رءوسا أكثر ..

يعقوب : كلا .. يا خالى .. وأستودعك الله منذ الصباح الباكر ..

لابان : بسلامة الله يا ولدى .. بسلامة الله يا ولدى .. يارب اغفر لى .. (يبكى) سامحنى يا يعقوب ..

●●●

((القافلة تتجهز للرحيل والأبناء يأخذون أماكنهم من الابل) ..
(يعقوب وزوجاته على ظهر احداها ومعهم يوسف وبنيامين الرضيع) ..

يعقوب : هيا .. توكلنا على الله الى حبرون .. سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ه .. أستودعك الله يا خالى لابان ..

السلام عليك .. (لابان يودعهم ويبكى)

(فى حبرون .. وفى مخدع يعقوب) ..

(يوسف نائم الى جوار يعقوب) ..

(يفتح يوسف عينيه) ..

يوسف : ياه .. أبى ما زال نائما .. وهو قد تعود الاستيقاظ مبكرا للصلاة ..

(ينظر الى النوافذ المغلقة) ..

— يبدو أننا ما زلنا فى وسط الليل .. أم ترى نحن فى آخر الليل ؟ لأفتح باب الحجرة وانظر ..

(يقوم من فراشه .. يتوجه الى الباب ويفتحه) ..

— ياه .. الكواكب تلمع فى الفضاء البعيد لا أثر للقمر فى كبد السماء .. أجل .. نحن فى مطلع الشهر القمرى والقمر قد بزغ عند الغروب قليلا ثم غاب ! . ياه .. ملك الله عريض .. انى أؤمن بك يا خالق السموات والأرض .. لأملأن صدرى من هذا الهواء النقى .. انه يمر على الزرع الأخضر المحيط بنا .. الحمد لله ..
(يخطو الى خارج الباب خطوتين) ..
ماذا ؟ الدنيا من حولى كأنها تتهيأ لاستقبال تغيير سيجرى فى أفلاكها الآن (الفضاء على يسارى ينحسر فيه الليل الى النصف فقط ويظهر فيه القمر بدرا ! . النصف الآخر على يمينى أصبح نهارا ! . الشمس

فى وسط السماء كأننا فى وقت الظهيرة .. ياه ! منظر غريب ! .. انى أقف تماما على الحد الفاصل بينهما .. ماذا أرى ؟ الكواكب !! الكواكب تنتقل من أماكنها .. من عليائها وتتجه نحوى .. واحد .. اثنان .. ثلاثة .. أحد عشر كوكبا !! يا ساتر يا رب ! يا ساتر يا رب ! انها تقترب منى . .انها تقف أمامى صفا واحدا فى خشوع شديد .. ماذا ؟ حتى الشمس الشمس تترك مكانها .. والقمر .. القمر يترك مكانه هو الآخر .. غريب .. الشمس والقمر يتهاديان رويدا رويدا نحوى .. انهما يقفان أمامى مباشرة ومن خلفهما الأحد عشر كوكبا .. كلهم خشوع .. انهم يسجدون لى عند موطىء قدمى !! كأننى كنت أعلم من قبل أنهم سيسجدون لى .. ماذا ؟ انى أشير عليهم أن يرفعوا رءوسهم الحمد لله .. الحمد لله ..

(يستيقظ من نومه ويجد نفسه الى جوار يعقوب

ماذا ؟ (يتلفت حوله) .. أنا .. أنا ما زلت على الفراش وأبى ما زال نائما الى جوارى .. باب الحجرة مغلق .. أين الشمس والقمر والكواكب ؟ .. فهى اذن رؤيا .. رؤيا .. رب اجعلها خيرا يا رب (يواصل يوسف نومه) ..

● ● ●

(فى الصباح) ..

(يعقوب يلاحظ أن يوسف يتهيأ للخروج)

يعقوب : استيقظت هذا الصباح مبكرا يا يوسف وعلى غير عادتك .. ما بالك يا يوسف .. غسلت أطرافك بالماء بسرعة وارتديت ملابسك ونعلك .. الى أين أنت ذاهب ؟

يوسف : الى أخوتى .. أين هم الآن يا أبت؟. هل غادروا الدار مبكرين الى المرعى ؟ .

يعقوب : انهم فى الجانب الآخر من الدار .. وربما لم ينطلقوا بعد الى المرعى ..

يوسف : انى متوجه اليهم على الفور يا أبت !!

(والى الحلقة التالية فى العدد القادم ان شاء الله) ..

كلمة

■ خلق الله الأيدى لتعمل ..

فإذا لم تجد فى الطاعة عملا ،

التمست فى المعصية أعمالا . !

« عمر بن الخطاب »

العودة

قصة قصيرة

إن مع العسر يسرا

الأستاذ رستم كيلانى

عاد اليها بعد جولة طويلة بدأت منذ الصباح .. وهو يسير متنقلا من شارع الى شارع حتى شعر بأن قدميه أصبحتا غير قادرتين على حمله .. ولا يدرى أى شجاعة واتته حينذاك فى الرجوع اليها .. بعد أن لعنها أشد اللعنات قبل خروجه ، وأقسم بينه وبين نفسه الا يعود اليها مرة ثانية ..

وارتقى الدرج الى أعلى الدار ..

ووقف أخيرا أمامها مترددا .. شاعرا بمذلة نفسه .. واحتقار ذاته .. وخجله من عدم تحقيق هدفه الذى ساوره طوال ليلة أمس ..

لقد ضاق صدره ، ولم يعد يحتمل أكثر من ذلك ، لقد كانت حياته فى أيامه الأخيرة التى يمر بها أشد مرارة وأعمق ايلاما ، وبدت الحياة بالنسبة له ثقيلة قاسية ..

وكأن الدنيا قد ضاقت فى وجهه .. وأحس كمن يقف على رأسه والأشياء التى من حوله كلها مقلوبة .. حتى أصبح الحزن مظهرا طبيعيا من مظاهر نفسه ..

وحاول فيما بين نفسه أن يعود الى الطريق من جديد . ونازعه هذا الخاطر لعله يجد الهواء المنعش الذى يتنفس منه .. انه يشعر عندما يدخل الدار ويرتقى درجاته باختناق شديد يكاد يكتم أنفاسه ..

وتلاشى من جديد هذا الخاطر فقد أحس عدم قدرته على التنفيذ ..

انه متعب منهوك القوى .. لا يقوى على العودة الى الطريق لأنه سأل نفسه الى أين يذهب ؟ ايجوب الشوارع كالتائه ؟ .. يجر ساقيه فوق الطريق ساهما شارد الفكر .. لا يحس بشىء من حوله ولا يعرف الى أين المصير ..

وعادت اليه حيرته وقلقه .. ماذا ينوى أن يصنع اذن ؟ ..

لابد أن يعود اليها مرغما .. مهما كلفه ذلك الكثير على حساب عزة نفسه صحيح انه لا يملك غيرها .. ولا يعرف غيرها فى هذه العاصمة .. وانها الوحيدة التى تحملته كثيرا .. والتى تعرفه .. وسوف تتحمله مهما فعل ..

ويعود الى نفسه .. الى هواجسه التى تنطلق من أعماقه وتهزه فى حيرة ..

أيعود اليها بعد أن نبذها هذا الصباح نبذ النواة .. ولعنها بأشد اللعنات .. وأقسم الا يعود اليها من جديد .. أيعود اليها بعد كل هذا .. وكأن شيئا يدفعه اليها .. ولم يجد مناصا من العودة اليها ..

ووقف أمامها من جديد مترددا ..

نعم .. وقف أمامها ..

أمام حجرته .. ووضع المفتاح فى الثقب ، وفتحه متمهلا .. ودخلها فى حذر .. كأنه يدخلها لأول مرة .. ومد يده الى المصباح الكهربى فأضاءه ..

وتلفت يمينا ويسارا .. كان يجول بعينيه فى الحجرة يتأمل كل جزء فيها .. كانت صغيرة الى حد ما .. نظيفة مرتبة .. فلقد اعتاد دائما أن يقوم بترتيبها يوميا ..

هناك السرير ملتصق بالجدار الأيمن .. وها هى المنضدة تتوسط الحجرة فوق سجادة قديمة بالية تآكلت أطرافها .. وكرسى ملاصق لهـا .. ومشجب علقت عليه منامته وسترته .. ونافذة صغيرة تطل على الشارع الجانبى .. علقت فوقه آية قرآنية :

« فان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا »

(صدق الله العظيم)

خليط عجيب من الأشياء تنبىء عن حالة قاطن تلك الحجرة من وحدة قاسية ..

***

وعندما انتهى من جولة عينيه .. تنهد تنهيدة عميقة فيها حسرة وأسى .. ثم القى بجسده على الفراش .. منهوك القوى يحط عن كاهله أثقال النهـار ..

وحملق فى سقف الحجرة المشـقق .. وبدا القطوب على جبينه ، وعلت سـحنته جهامة واكتئاب ، واحس فى وجدانه بمرارة عندما شدته الذكريات العديدة الى الماضى .. ماضى تلك الأيام التى كان يحيا فيها مع أسرته الصغيرة فى هنـاء وسـعادة ..

هكذا كان يحيا مع أسرته الصـغيرة المكونة منه .. ومن زوجته المحبة الوفية التى ضحت من اجله سـنوات طوال .. ووقفت بجانبه حتى أصبح شيئا بعد أن كان لا شىء ..

وابنته الوحيـدة « سهير » ..

وتوقف لحظات عن سرد ذكرياته .. واخرج من جيبه بكل عنايه صورة لطفلة صغيرة تشع من عينيها البراءة .. وشعرها الطويل ينسدل على صـدرها .. وترتسم على شفتيها شـبه ابتسامة رقيقة حالمة ..

واخرج صورة اخرى .. لزوجته .. حبيبته .. **شريكة عمره .. وكفاحه .. جمالها هادىء ..** بطلة قصة حياتـه الطويلة والتى ذاقت معـه الأمرين من أجل لقمة العيش فى سبيل تخطيط حياة سعيدة مستقرة لابنتهما الوحيدة التى رزقها الله بهما بعد عسر طويل ..

***

واخذ يستعيد من جديد ما مر به من أحداث أليمة أصبحت تحتل أكبر جزء فى قلبه .. بل فى كل كيانه .. سـبب مأسـاته .. وضـياعه .. وتغطى بسوادها القاتم تلك الظلال من حياته الهانئة ..

ففى ذلك اليوم المشـئوم الذى نزع فيه أهـل السويس مرتاعين على صوت صفارات الانذار تعوى ويصم أذنيه هدير الطائرات المغيرة ودوى القنابل التى بعثت فى نفوسهم الهلع ، وكان يوم الحشر قد حل ..

ولم يشعر بنفسه وهو خارج من المخبأ .. وقد رأى أن متجره قد تهدم فعاد أدراجه مذعورا الى بيته للاطمئنان على زوجته وابنته الوحيدة ..

ولكنه صدم .. لأنه لم يجد بيته .. بل لقيه خاويا على عروشه يطوى تحت ترابه أعز ما لديه .. ابنته .. وزوجته .. أسرته الصغيرة ..

وانهار أمله .. وتحطم قلبه الى ذرات .. وقد هده الحزن ..

ولم يجد مناصا الآن بترك المدينة .. تعيسا .. ضائعا .. هائما فى متاهات الحياة فلقد ضاق بكل شىء .. حتى هذه الحجرة التى تأويه ضاق بها .. أحس بأن جدرانها تكاد أن تنطبق على صدره كغول مخيف .. وتكتم أنفاسه ..

فلقد أقسم اليوم ألا يعود الى هذه الحجرة من جديد .. لأنه فكر فى الخلاص من هذه الحياة .. واستسلم لهمومه .. وأصبح اليأس يسـيطر عليه ..

وعندما حاول أن ينفذ حكمه على نفسه .. تراجع لخوفه من الله وعذابه .. وكيف يقدم على هذا الأمر والايمان يغمر قلبه ..

وعاد اليهـا ..

وعاد الى حجرته من جديد التى يشعر فيها بالوحشة .. والفراغ الهائل بالوحدة القاتلة التى تمزق روحه ..

وسرعان ما استبد به الكرى ..

* * *

وسمع نقرا خفيفا .. رقيقا على البـاب .. فكذب أذنيه .. ولكن النقر ترامى اليهـا مرة اخرى ..

وقام بتثاقل شديد .. وفتح الباب ..

واذا فتاة صغيرة .. جميلة الوجه ترنو اليه وقد لاحت على محياها بشاشة ، وشعرها الطويل متجمع فى ضفيرة واحدة وقد ألقت بها خلف ظهرها ، وارتسمت على شفتيها شبه ابتسامة حلوة ..

ووقف أمامها مبهوتا .. وطفق يتأملها متفحصا لحظات ، ولبثت عيناه لا تفارقان محياها وقد عقد ما بين حاجبيه ..

وطال به الصمت .. كأنما يقف أمام ابنته الراحلة « سهير » ينظر اليها .. كانت الطفلة تقول فى صوت رقيق :

ـــ أبى يريدك الليلة عندنا بالدور الأول ..

ـــ ومن والدك يا صغيرتى ..

ـــ صاحب البيت ..

وربت على كتفيها فى حنان .. كاد يـود أن يحوطها بذراعيه يغمرها بحنانه الأبوى الفياض ، ولكنه اكتفى بتلك اللمسات ..

ثم قال لهـا :

ـــ بلغى والدك اننى سأحضر اليه ..

وانصرفت الفتاة تجرى فى مرح .. وشيعها بنظراته حتى توارت ..

* * *

وعندما احتواه الفراش من جديد .. وجد نفسـه يفكر فى أمر استدعائه المفاجىء لصاحب البيت ..

وظل يقلب الأمـر على شتى وجـوهه .. واحتمالاته .. وتكاثرت عليه التصورات .. كما ظل يسائل نفسه :

ـــ يا ترى ماذا يريد منى صاحب البيت .. هل يعرفنى .. اننى لم أره منذ تأجيرى لهذه الحجرة الا لماما وهو جالس على المقهى المقابل للبيت .. اننى منذ حضورى العاصمة ولم أصادق أحدا طوال فترة معيشتى القصيرة كما اننى لم أتأخر عن دفع ايجار تلك الحجرة .. هل .. هل ..

ولم يجد لأسئلته اى جواب .. وغرق فى دوامة من التفكير والحيرة ..

وعندما أقبل المسـاء ..

قابل صاحب البيت .. وعرف أنه صاحب متجر كبير .. وأنه لاحظ من حديثه معه أنه مهتم به كغريب فى هذه المدينة ، وطلب منه أن يقص عليه قصتـه ..

وروى لصاحب البيت قصة حياته القاسية التى لعب القدر فيها دورا كبيرا ..

كان حديثه ولهجته فيها مرارة وأسف ، وكانت تعروه نوبة بكاء مكتوم من حين لآخر ..

فأثار حنان صاحب البيت عليه ..

وفى ختام اللقـاء ..

عرض صاحب البيت عليه العمل فى متجره للاستفادة من خبراته السابقة .. حتى يخرجه من عزلته وكآبته هذه ..

وملكه ذهول .. ووقف مشدوها لا يكاد يصدق ما حدث .. وقـد احتبس فى فمه القـول .. وتدفقت دموعه على وجهه المتعب الذى أنهكته المتاعب والأحزان .

* * *

وارتقى الدرج الى أعلى الدار ..

وعاد اليهـا ..

عاد الى حجرته من جديد .. ووقف أمامها .. ولم يكن مترددا هذه المرة ..

ووضع المفتاح فى الثقب بكل ثقة .. وفتحه .. ودخلها بصدر منشرح .. لقد شعر الليلة فقط بأن مسرح وحشته قد أسدلت ستاره .. والفراغ الهائل والوحدة القاتلة التى كانت تمزق روحه قد انتهت الى الأبد بعد أن أحس انه انتقل الى حياة أخرى كلهـا نور وبهجة .. بعد صـداقة صاحب العمارة الذى كان عوضا عما فقده .. والذى رأى فيه الانسانية تشع من عينيه .. وينظر الى الحياة فى تفاؤل واستبشار ..

ومد يده الى المصباح الكهربى فأضاءه .. وتسمرت عيناه على اللوحة القرآنية التى علقت على الجدار فوق النافذة الصغيرة التى تطل على الشـارع الجانبى .. والتى تواجـه مدخـل الحجرة ..

وبدأ يتمتم فى ايمان عميق بصوت مسموع وكله خشوع لله عز وجل بعد أن اختفت من جبينه تلك الخطوط اليائسة :

ـــ « فان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا .. » .

(صدق الله العظيم)

خديجة بنت خويلد

٢

الدكتورة نعمات محمد على

هى أولى أمهات المؤمنين ، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه بخمسة عشر عاما ، اشتهرت رضى الله عنهابالحكمة : والروية، وبعد النظر وأراد الله سبحانه وتعالى بزواج الرسول منها أن تكون برهانا شاهدا على حسن خلق رسول الله ، ودليلا قويا يصد عنت أعداء الله ورسوله وهم يحاولون اتهام رسول الله بشدة ميله الى النساء . ذلك أن خديجة بلغت أربعين عاما يوم تزوجها رسول الله . وكان عمره خمسا وعشرين سنة يومذاك . كما أن خديجة لم تكن بكرا لأنها تزوجت رجلين قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، وفى ذلك رد بليغ على كل ادعاء وافتراء يظهر على طول الزمن ، وهو ما يظهر دائما على السنة أعداء الحق أعداء الله . فلو كان محمد يبحث عن الأنوثة والمرأة لتزوج بكرا ، ولتزوج امرأة أصغر منه عمرا ، وبخاصة انه عرف بين أهل مكةبقوة البنية ، وجمال الصورة : وحب العمل ، وكرم الأخلاق ... لكنه لم يفعل وتزوج خديجة العجوز لتشاركه حياته بكرمها . ونبلها . وسعة أفقها .

ولقد اشتهر زواج الرسول بخديجة بين العرب جميعا بعد ما أولم الرسول صلى الله عليه وسلم لزواجه أول وليمة يطعمها ، يروى الملا فى سيرته عن النبى انه لما تزوج الرسول خديجة ذهب ليخرج فقالت له : الى اين يامحمد اذهب وانحر جزورا أو جزورين . واطعم الناس ففعل ذلك صلى الله عليه وسلم وهى أول وليمة أولمها صلى الله عليه وسلم . وبقى العلم بهذا الزواج معروفا بين الناس لا يمكن انكاره ، ولا يمكن وضعه فى وضع اتهام طيلة خمس وعشرين سنة تقريبا وهى المدة التى عاشتها خديجة فى كنف رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فارقته رضى الله عنها الى ربها بعد هذه المدة وقد بلغ عمره صلى الله عليه وسلم خمسون عاما!

والعقل يتساءل بكل تجرد ... اتلحق تهمة الميل الشديد الى النساء برجل بعد أن يبلغخمسين سنة وهو الذى عاش قبلها مبرأ عن هذا ؟؟!

اتظهر هذه التهمة فى صاحبها وهو يحمل هموم أمة ، وثقل رسالة أم تظهر فيه وهو فارغ البال قبل الرسالة ؟؟ ! اتصدق هذه التهمة مع

محمد وقد تزوج امرأة اكبر منه بخمسة عشر عاما ، وبقى معها عشر سنوات حتى فارقته الى ربها ؟! والاجابة الصادقة الأمينة على هذه التساؤلات تؤكد سمو الأهداف ونبل الصفات التى عرف بها رسول الله ، وتنفى عنه كل باطل وافتراء ، ولذلك كانت الحكمة الالهية جلية فى هذا الزواج اذ به يعرف قدر رسول الله وبخاصة فى جانب تعامله مع المرأة .

حياة خديجة مع رسول الله :

كان لخديجة بنت خويلد أثر فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها .

فلقد آنسته فى وحدته ، وازالت عنه همومه وأمدته بمالها ، ومكنته من التفرغ التحنث فى غار حراء حيث كان صلى الله عليه وسلم يأخذ زاده. ويمكث فى الغار يتحنث فيه الليالى ذوات العدد، ولولا مال خديجة لما استطاع الرسول أن يتفرغ للتحنث . ولا انشغل فى أمر بناته وأولاده . بل ان خديجة رضى الله عنها أعطت من مالها مامكن رسول الله من تربية ابن عمه على بن أبى طالب والانفاق عليه ، وكان صلى الله عليه وسلم قبل البعثة اذا جاء شهر رمضان ذهب الى غار حراء. ويمكث فيه ، ويطعم من جاءه من المساكين . فاذا قضى رسول الله من شهره ذلك كان أول ما يبدأ — اذا انصرف — بالكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعا أو ماشاء الله من ذلك ثم يرجع الى بيته وأهله .وظل يفعل ذلك كل عامحتى أتاه الوحى من الله تعالى.وذلك معنى قوله تعالى ((ووجدك عائلا فأغنى)) أى كنت فقيرا تقضى وقتك فى العمل لأهل مكة لقاء أجر تأخذه منهم . فأغناك بالنفس القانعة وبالمال الذى آتاك من زوجتك خديجة رضى الله عنها .

لقد كانت خديجة خير معين لرحلة الحياة بالنسبة لرسول الله قبل بعثته . فلقد كان يأتيها مهموما فتسرى عنه ، وتؤمله بمستقبل كريم ، **وتبشره بالخير الذى ينتظره . أخرج الدولابى عن عبد الله بن حزم انه قال كان من بدء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى فى المنام فشق ذلك عليه فذكره لصاحبته خديجة رضى الله عنها فقالت : أبشر يامحمد فان الله لا يصنع بك الا خيرا . فذكر لها انه رأى أن بطنه أخرج فطهر . وغسل . ثم أعيد كما كان . قالت: هذا خير فابشر .**

انها رضى الله عنها كانت تقابل خوفه بالطمأنينة وترد انزعاجه بالبشرى . وتدفع عن نفسه الوجل والاضطراب . بل انها كانت تفكر فى الأمر كثيرا مع رسول الله لدرجة انها اختبرت ما يأتى رسول الله لتعرف أهو ملك أم شيطان ؟ . يروى ابن اسحاق بسنده أن خديجة رضى الله عنها فى فترة خوف رسول الله من الملك قالت له : أى ابن عم . أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك اذا جاءك ؟

قال : نعم

قالت : فاذا جاءك فاخبرنى به .

فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة ياخديجة هذا جبريل قد جاءنى

قالت : قم يا ابن عم فاجلس على فخذى اليسرى فلما جلس قالت : هل تراه . قال : نعم ...

فتحسرت (تكشفت) والقت خمارها . ورسول الله جالس على حجرها ثم قالت له: هل تراه .

قال : لا ...

قالت : يا ابن عم : اثبت وابشر فوالله انه لملك . وما هذا بشيطان .

وما حكمت بذلك رضى الله عنها الا لمعرفتها بمنازل الشياطين ومنازل الملائكة . ولذلك فعلت مافعلت مشاركة لزوجها الكريم . واداء لواجبها كزوجة حصيفة أصيلة .

وكان لاقتناعها بصدق زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول له : ووالله ما يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم . وتحمل الكل . وتقرى الضيف وتعين على نوائب الدهر .

ولم تكتف رضى الله عنها بفراستها . وقوة ملاحظتها ، فى التسرية على زوجها رسول الله وانما ذهبت لابن عمها ورقة بن نوفل الذى كان يقرأ الكتب . ويسمع كثيرا من أهل التوراة والانجيل واخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى وسمع . فقال ورقة ابن نوفل : قدوس قدوس . والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتينى يا خديجة لقد جاءه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى وانه لنبى هذه الأمة . فقولى له : فليثبت.فرجعت خديجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة .

ان التاريخ يذكر لخديجة انها اول امرأة صدقت برسول الله وآمنت بدعوته ودخلت فى دين الله مع السابقين اليه .

وان التاريخ سيذكرها كزوجة مثالية رائدة لم تقف مع زوجها الفقير مالا وهى الغنية وتقول هذا مالى هذا مالى وليس لك وانما قالت بالفعل والسلوك مالى هو مالك وليس لى شىء معك . ولم تقف بعيدا عن فكر زوجها ومشاغله وانما وضعت نفسها فى موضعه تنظر وتتأمل وترى وتقص استنتاجها لرسول الله زوجها ، ولم تهتم بنفسها من دون زوجها . بل كانت تبقى فى بيتها وقلبها وعقلها مع زوجها فاذا غاب عنها ارسلت من يبحث لهاعنه. **فلقد حدث بعد أن فاجأ رسول الله الوحى أن خرج من الغار حتى اذا كان بوسط الجبل سمع من يناديه من قبل السماء : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل . يقول النبى صلى الله عليه وسلم : فوقفت أنظر اليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت اصرف وجهى عنه فى آفاق السماء فلا أنظر فى ناحية الا رأيته فيها كذلك فمازلت واقفا ما اتقدم أمامى وما أرجع ورائى حتى بعثت خديجة رسلها فى طلبى فبلغوا مكة ورجعوا وأنا واقف فى مكانى ذلك .**

لقد كانت تنعم بتلك الحياة وتسعد بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لدرجة أنها فى أيام حصار المسلمين فى الشعب قبلت راضية ان تعيش مع زوجها تحت الحصار . وكان يمكنها ان تعيش مع قومها بعيدا عن هذا التعب متعللة بكبر السن ، وكثرة الولد . وضعف الصحة لكنها لم تفعل ايثارا لزوجها ، ورضى بقدرها ، وجهادا صادقا منها لله ورسوله .

ولقد كان اشتراكها فى الحصار رحمة برسول الله والمؤمنين معه لأن ابن أخيها حكيم بن حزام ابن خويلد كانت تأتيه العير تحمل الحنطة من الشام فيوجهها الى الشعب : ثم يضرب أعجازها فتدخل عليهم فيأخذونها وما عليها من الطعام . وذلك من أجل عمته خديجة .

وفاء الرسول لخديجة :

ولقد أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة خديجة وفضلها على جميع زوجاته وعلى نساء العالمين . يروى مسلم بسنده عن على بن أبى طالب يقول : سمعت رسول الله . يقول : خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد . والمراد ان كلا منهما من خير نساء الأرض فى عصرها .

ويقول عنها رسول الله : ما رزقنى الله خيرا منها : آوتنى اذ منعنى الناس . واعطتنى مالها اذ حرمنى الناس . وصدقتنى اذ كفر الناس ورزقنى الله منها الولد .

وجاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له : يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك معها اناء فيه ادام أو طعام أو شراب فاذا هى آتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب .

وكان رسول الله يذبح الشاة ويرسل منه الى خلائلها ويقول : ارسلوا بها الى أصدقاء خديجة .

وكان رسول الله يقول لزوجاته بعد وفاة خديجة بمدة طويلة « انى قد رزقت حبها » .

انه الوفاء من رسول الوفاء . وانه تقدير للحق . واعتراف بالجميل .

وفاة خديجة :

عاشرت خديجة رسول الله خمسا وعشرين سنة انجبت فيها ثلاثة أولاد وأربع بنات . ووافتها منيتها فى عام سماه الرسول « عام الحزن » ودفنت بالحجون . ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرتها وشارك فى دفنها . بلا صلاة حتى لم تشرع الصلاة بعد . والله الموفق .

قول :

« من شغله القرآن وذكرى عن مساءلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه »

حديث قدسى

أنت تسأل والمفتي يجيب

الشيخ محمد خاطر

مفتي مصر السابق

س ١ : من ع.١٠ب ما معنى قول الله تعالى « ومن الناس من يعبد الله على حرف » . وفى من نزلت هذه الآية وما المقصود بالحرف ؟

الجـواب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله (وبعد) .

فيقول الله جل شأنه « ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين » .

(على حرف) . على طـرف من الدين لا فى وسطه وقلبه وهذا مثل لقلق هـؤلاء النـاس واضطرابهم فى دينهم وعـدم سكونهم واطمئنانهم كالذى يكون على طرف من المعسكر فان أحس بظفر وغنيمة قر واطمأن والا فر وطـار على وجهه .

ويقول الزمخشرى صاحب تفسير الكشاف انها نزلت فى اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسـه مهرا سريا وولـدت امرأته غلاما سـويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت فى دينى هذا الا خيرا واطمأن وان كان الأمر بخلافه قال . ما أصبت الا شرا وأنقلب .

فهذا صنف من الناس يقف على مفارق الطريق بين الايمان والكفر يضع احدى رجليه على طريق الايمان ويضع الأخرى على طريق الكفر .. انـه يعبد الله على حرف اى على جانب واحد دون أن يعطى الله وجوده كله فان اصابه فى دنيـاه خير اطمأن ووضع رجليه معا على طريق الايمان ، وان اصـابه شىء ابتلى به فى ماله أو ولده أو نفسـه **(انقلب على وجهه)** ، أى اعطى الايمان ظهره ونسى نعمة الله عليه واحسانه اليه .

وهذا نفـاق مع الله . وهذا النفاق أقبح وجها واشد نكرا من النفاق الذى يعيش به المنافقون فى الناس **(خسر الدنيا والآخرة)** . اشارة الى أن هذا النفاق مع الله يقضي على صاحبه بخسران الدنيا والآخرة جميعا اذ أن هذا المصاب بتركه التسليم لقضاء الله وخروجه الى ما يسخط الله قد جمع على نفسه محنتين احداهـمـا ذهـاب ما أصيب به والثانية ذهـاب ثواب الصـابرين بما حصل منه من سخط وذلك هو خسران الدارين وهـو الخسران المبين . أى الخسران العظيم

الواضح الذى ليس فيه شبهة اذ كانت خسارة الدنيا فيه محققة لانها وقعت فعلا وخسارة الآخرة ستتحقق ايضا لانها واقعة لا شك فيها . وهذا هو مصير من يعبد الله على حرف .

س ٢ : من ا٠م٠ر الشرقية يقول : هل يجوز تحنيط الميت ووضعه فى مكان ما غير القبر للذكرى ؟ وما حكم تكفين الميت . هل هو واجب أم سنة — هل يجوز عرض الميت المسلم على الناس ليروه قبل دفنه ؟

الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم — الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله (وبعد) .

فان أحكام الشريعة بشأن المحتضر اذا مات . أنه يندب شد لحييه بعصابة عريضة تربط فوق رأسه وتليين مفاصله برفق ويرفع عن الأرض ويستر بثوب صونا له عن الأعين وبعد التحقق من الموت يتبقى الاسراع بتجهيزه ودفنه — وقد وردت الاحاديث الكثيرة الدالة على الأسراع بالجنازة ودفن الميت .

— وفى الحديث (عجلوا فانه لا ينبغى لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهرى اهله) — وقد قرر الفقهاء أنه لا ينتظر به قدوم أحد الا الولى فانه ينتظر ما لم يخش عليه التغير — وحينئذ فلا يصح تحنيطه وعرضه على الناس لما أوضحناه من الاسراع بالجنازة والدفن والله جل شأنه يقول (الم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا) .

اما التحنيط لضرورة تأخر الدفن أو النقل فلا مانع منه اتقاء للضرر والأمراض ، ثم الدفن بعد لما أوضحناه .

أما حكم تكفين الميت : فقد قرر الفقهاء بأن تكفين الميت فرض كفاية على المسلمين اذا قام به البعض سقط عن الباقين وأقله ما يستر جميع بدن الميت سواء كان ذكرا أو أنثى وما دون ذلك لا يسقط به فرض الكفاية عن المسلمين . ويجب تكفين الميت من ماله الخالص الذى لم يتعلق به حق الغير فان لم يكن فكفنه على من تلزمه نفقته فى حال حياته فان لم يكن كفن من بيت مال المسلمين ان كان . والا فعلى جماعة المسلمين القادرين **وفى انواع الكفن وصفته تفصيل فى المذاهب الفقهية على النحو الآتى :**

١ — فقهاء الشافعية — يقولون — لا يجوز تكفين الميت الا بما كان يجوز له لبسه حال حياته. والافضل ان يكون الكفن أبيض اللون قديما مغسولا وتكره المغالاة فيه . وهو ثلاثة اثواب للذكر والأنثى يستر كل واحد منها جميع البدن الا رأس المحرم ووجه المحرمة وهذا اذا كفن من تركته ولم يكن عليه دين مستغرق للتركة والا كفن بثوب واحد .

٢ — وفقهاء الحنفية — يقولون — أحب الأكفان بالثياب البيض جديدة أو قديمة — والكفن عندهم ثلاثة أنواع كفن السنة — وكفن الكفاية — وكفن الضرورة .

فكفن السنة . للرجال والنساء قميص وازار ولفافة — والقميص من اصل العنق الى القدم — والازار من قرن الرأس الى القدم — ومثله اللفافة — ويزادللمرأة علىذلك خمار يستر وجهها وخرقة تربط ثدييها .

اما كفن الكفاية : فهو الاقتصار على الأزار واللفافة أو مع الخمار وخرقة الثديين للنساء مع ترك القميص فيهما .

واما كفن الضرورة : فهو ما يوجد حال الضرورة ولو بقدر ما يستر العورة وان لم يوجد شىء يغسل ويجعل عليه (الأذخر) أن وجد وهو نبت طيب الرائحة .

٣ — وفقهاء المالكية — يقولون — يندب زيادة الكفن على ثوب واحد بالنسبة للرجل والمرأة .

والأفضل ان يكفن الرجل فى خمسة أشياء قميص وازار وعمامة لها عذبة قدر ذراع تطرح على وجهه ولفافتان — وان تكفن المرأة فى سبعة أشياء ازار وقميص وخمار وأربع لفائف .

٤ — وفقهاء الحنابلة — يقولون — الكفن نوعان . واجب ومسنون . فالواجب ثوب يستر جميع بدن الميت مطلقا ذكرا كان أو غيره — أما المسنون فيختلف باختلاف الميت فان كان رجلا سن تكفينه فى ثلاث لفائف بيض من قطن ويكره الزيادة عليها — أما الأنثى والخنثى البالغتان فيكفنان فى خمسة أثواب بيض من قطن وهى ازار وخمار وقميص ولفافتان — ويكفن الصبى فى ثوب واحد والصبية فى قميص ولفافتين .

وفيما أوضحناه ما يرد على سؤال السائل بجميع اجزائه .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

س ٣ : من ايمن عبد الرحمن شطانوف يقول: فى بعض الدول وخاصة بلغاريا — لايستطيع المسلمون فيها أداء الفرائض كاملة بسبب قصر الليل والنهار ولذلك يكتفون فى الصلاة مثلا بثلاثة أومات فقط فهل يقبل عذرهم اذا كان هذا صحيحا؟

الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله (وبعد) .

فان الله قد فرض على كل مكلف خمس صلوات فى كل يوم وليلة وهى — الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر وقد فرضت بمكة ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة — على الترتيب المذكور فكان الظهر أول ما فرض — وهى ركن من أركان الاسلام المبينة فى قوله صلى الله عليه وسلم **بنى الاسلام على خمس — وعد منه « اقام الصلاة) .**

وقد ثبتت فرضية الصلاة بالكتاب والسنة والاجماع — اما الكتاب . فقوله تعالى **« ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » أى مفروضة محددة الأوقات — وقوله جل شأنه « وأقيموا الصلاة »** أما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم **« خمس صلوات افترضهن الله عز وجل . من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن . كان له على الله عهد أن يغفر له ... الى آخر ما جاء بالحديث . وأيضا قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما بعثه الى اليمن « أخبرهم ان الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة) . وقد انعقد الاجماع على ذلك .**

وقد بينت السنة أوقات الصلوات الخمس بالتعيين فلا تصح اذا قدمت على اوقاتها ويحرم تأخيرها عنها بغير عذر شرعى . الا فى جمع التقديم وجمع التأخير — وأوقات الصلوات الخمس كالاتى :

١ — يبتدىء وقت الظهر عقب زوال الشمس مباشرة الى ان يصير ظل كل شىء مثله سوى الظل الذى كان موجودا عند الزوال للشىء .

٢ — ويبتدىء وقت العصر من زيادة ظل الشىء عن مثله دون ظله الذى كان موجودا عند الزوال وينتهى الى غروب الشمس .

٣ — ويبتدىء وقت المغرب من مغيب جميع قرص الشمس وينتهى بمغيب الشفق الأحمر .

٤ — ويبتدىء وقت العشاء من مغيب الشفق الى طلوع الفجر الصادق .

٥ — ويبتدىء وقت الصبح من طلوع الفجر الصادق الى ما قبل طلوع الشمس .

واذا كان الأمر كذلك وكانت البلاد المسئول عنها يوجد بها الشروق والغروب أى الليل والنهار .فيمكن تحديد أوقات الصلوات الخمس على أساس المواقيت التى أوضحناها والتى بينتها السنة وقد أشار اليها القرآن الكريم (أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل) . ولا يغير من الأمر ان تكون المدد بين أوقات الصلوات الخمس متقاربة لقصر الليل والنهار فى هذه البلاد بل لابد من أداء الصلوات الخمس بالمواقيت الموضحة المحددة — واكتفاء هؤلاء القوم فى البلاد المذكورة بأداء ثلاث صلوات فقط — ان صح ذلك — فهو خطأ كبير ولا يقبل منهم ما يعتذرون به وعليهم أن يقوموا بأداء الصلوات الخمس حسب الأوقات التى أوضحناها فقد بينا مبدأ الوقت ونهايته ولا عبرة اطلاقا لقصر الليل والنهار والله سبحانه وتعالى اعلم .

س ٤ : من المواطن س.ع.م من محافظة القليوبية يقول فيه :

توفى رجل سنة ١٩٧٢ عن زوجته وعن بنته وعن ابن بنته المتوفاه قبله وعن أخته لأبيه وعن أولاد أخيه الشقيق ذكورا وأناثا فقط وطلب السائل بيان من يرث ومن لا يرث ونصيب كل وارث .

الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وامام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين (وبعد) .

فى وفاة المتوفى المذكور سنة ١٩٧٢ عن المذكورين فقط بعد العمل بقانون الوصية رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ يكون لابن بنته المتوفاه قبله فى تركته وصية واجبة بمقدار ما كانت تستحقه والدته ميراثا لو كانت على قيد الحياة وقت وفاته فى حدود الثلث طبقا للمادة ٧٦ من القانون المذكور . فبقسمة التركة الى أربعة وعشرين سهما يكون لابن بنته المتوفاه قبله منها ثمانية اسهم وصية واجبة والباقى وقدره ستة عشر سهما يكون هو التركة التى تقسم بين الورثة . لزوجته ثمنها فرضا لوجود الفرع الوارث .

ولبنته الموجودة على قيد الحياة وقت وفاته نصفها فرضا . ولأخته لأبيه الباقى (بعد الثمن والنصف) تعصيبا مع البنت . ولا شىء لأولاد أخيه الشقيق لحجب الذكور منهم بالاخت لأب التى صارت مع البنت عصبه بمنزله اخ لأب . ولأن الاناث منهم من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

وهذا اذا لم يكن للمتوفى المذكور وارث آخر ولا فرع يستحق وصية واجبة غير من ذكر . ولم يكن المتوفى قد أوصى لابن بنته المتوفاه قبله بشىء ولا أعطاه شيئا بغير عوض عن طريق تصرف آخر .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

س ٥ : من م.س.١٠ من جمهورية الجزائر يقول فيه :

رجل تزوج مطلقة ابنه التى لم يدخل ولم يختل بها فما حكم هذا الزواج ؟

الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وامام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه الى يوم الدين (وبعد) .

فالمقرر فقها انه يحرم على الرجل أن يتزوج بزوجة ابنه سواء طلقها هذا الابن قبل الدخول أو بعده لعموم قوله تعالى فى آية المحرمات (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) . والحلائل جمع حليلة وهى الزوجة .

وقد أجمع العلماء على تحريم ما عقد عليه الأبناء على الآباء سواء أكان مع العقد وطء أو لم يكن عملا بعموم النص .

وعلى هذا ففى الحادثة موضوع السؤال يكون زواج الرجل موضوع الحادثة بمطلقة ابنه باطل شرعا لأنها محرمة عليه شرعا سواء أطلقها الابن قبل الدخول أو بعده .

ويجب على الزوجين أن يفترقا طوعا فان لم يفترقا طوعا فرق بينهما قهرا بواسطة القضاء .

ومن هذا يعلم الجواب عما جاء بالسؤال .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

س ٦ : من على عوض عبد الرازق سلامة من النزل ـ منية النصر دقهلية .. يسأل

رجل يصلى ويعلم ان الربا حرام ولكنه احتاج لمبلغ من المال لزواج ابنه فلم يجد الا رجلا يتعامل بالربا ـ فهل يقع فى حرمة ، لو أخذ هذا المبلغ بالربا مع أنه فى حاجة اليه لزواج ابنه ولا يجد أى مصدر آخر سوى هذا المرابى.

الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله (وبعد) فان التعامل بالربا حرام ولم تقتصر حرمته على آكله فقط بل قد اشترك معه فى الاثم موكله وشاهده وكاتبه ـ وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تؤكد ذلك ـ **والله جل شأنه يقول : ((وأحل الله البيع وحرم الربا))** ويقول سبحانه **((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون))** .

ونقول للسائل ان هذا الرجل اذا أخذ المبلغ بالربا يقع فيما حرمه الله ورسوله ـ وما ذكره من أنه فى حاجة الى المبلغ لزواج ابنه لا يبرر تناول الحرام والوقوع فيه لأن هذا الأمر ليس من الضرورات التى تبيح له هذا المحظور ، اذ الضرورة الحقيقية ـ مالا يمكنه الاستغناء عنه الا اذا تعرض للهلاك .

هذا وأمر الزواج مبنى على القدرة على أعباء الزواج وتكاليفه ـ فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء)) (والباءة) تكاليف الزواج والنفقة .

أما المبالغة فى المهور واقامة الحفلات والاستدانة بالربا لذلك فأمر لا يجوز شرعا .

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

مع القراء

يحرره فؤاد هيبة

عزيزى القارىء

بالحب والتقدير ، يطيب لمجلتك الحبيبة منبر الاسلام أن تلقاك فى كل شهر ، وقد ازدانت صفحاتها بالجيد والجديد والتجديد .. أملا منها فى أن تحظى برضاك ، وتحقق أمانيك ومبتغاك من خلال دراسات موضوعية ، وأبحاث فكرية ، وآراء فقهية ، ومقالات ثقافية ، وقصائد شعرية ، وشخصيات اسلامية ، ولقاءات شهرية .. مما يحقق لها أن تكون مدرسة علمية دينية ، ورسالة حب الى الأمة الاسلامية .. تحقق لها الوحدة الأصيلة : والحركة الصحيحة والمعرفة الحقة ..

ومن ثم لم يكن عجبا أن تحتل رسائلك المقام الأول ، والمكانة السامية .. بل وتصبح المحرك الأساسى لكل عمل أصيل يرد على صفحات المجلة التى هى منك واليك ..

امجاد مصر السلام

من الطالب : محمد أبو المجد على محمد — بمعلمين دمنهور — يقول

نظرا لثقتنا الكبيرة بمجلتكم الغراء منبر الاسلام التى فى اعتقادى أنها الآن لا تنافسها مجلة أخرى تكتب فى اية مواضيع ولأن مجلتنا الكريمة تحافظ وتساهم فى المحافظة على أصول الاسلام من مادة العصر وزيفها وتعمل على اخراجه بمظهر جميل يواكب التطور العصرى مع الحفاظ على الاصل الكريم فلها منا التحية ولكل من يساهم فى اخراجها بهذا المظهر الجميل له منا التحية والتقدير ونظرا لأننى من قراء مجلة منبر الاسلام بل ولأنها مجلتى الوحيدة المفضلة رايت أنه من الواجب المساهمة فى اخراج المجلة ولو حتى بابسط الاشياء وكتبت هذه القصيدة مبادرة السلام مواكبا تطور الاحداث لا ابتغى بها منكم أجرا ان أجرى الا على الله انما كل ما ابتغيه هو نقل هذه الأحاسيس الصادقة الى كل قراء المجلة ولا سيما قراء باب الشعر وأرجو أن تكونوا مقدرين منى هذا ولكم الشكر والتقدير .

واخيرا لى رجاء ، اذا نشرت هذه القصيدة فى اى عدد من أعداء المجلة أن ينشر فوق الاسم صورتى المرفقة لهذه القصيدة داخل الرسالة ولكم الشكر والتقدير وهذه أمانة أحملكم اياها وأنا واثق ممن أئتمنت ولكم حرية حذف الأبيات اذا رأيتم حذفها اولا .

أمجاد مصر السلام

وقف الشعب موقف الأبطال
خلفك يا بطل السلام

لعهده بك البطل الشجاع الوفى
القوى من صفوة الكرام

تيضك الله لنصرة هذه الأمة
وبك أضاء سنا الظلام

فمذ توليت رئاسة مصر قمت
بصنع وتقديم أعمال عظام

ففى واحد وسبعين قطفت رؤوس
مراكز القوى كما تقطف الهام(١)

وصححت مجرى ثورة يوليو
بثورة التصحيح المباركة للأنام

وفى اثنين وسبعين قمت بطرد
العدو(٢) الخفى المستتر خلف اللثام

وفى ثلاث وسبعين حققت لمصر
وللعرب ما كان فى الماضى أحلام

يوم عبرت بنا من الهزيمة الى
النصر فى العاشر من شهر الصيام

وفى أربع وسبعين بذور السلام
بفك الاشتباك(٣) بخط انقسام

وفى خمس وسبعين فتحت للعالم قناة
السويس وعليها جرت الفلك(٤) كالأعلام

---

(١) الهام : جمع هامة وهى الرأس .
(٢) العدو الخفى : الشيوعيون .
(٣) قرار وقف اطلاق النار وفك الاشتباك الاول والثانى .
(٤) الفلك : السفن .

***

رسالة تونس .. حب وتقدير

من الطالب/رضا قماطى ـ تونس :

الى مجلتنا الاسلامية . سلام الله عليكم اما بعد ـ اننى أشكركم من أعماق قلبى لما تقوم به المجلة من أعمال جد نفيسة قل ان نجدها فى هذا العصر الذى أصبح تطوره تهورا وهدايته كفرا والحادا . انى اكتب هاته الكلمات انما أرسم فيها مدى حبى واعزازى لمجلتى الغراء . ولأسرة تحرير المجلة والجهود التى يبذلونها لاخراج الشباب التائه خاصة من الظلمات الى النور وهدايته الى الطريق المستقيم فألف . ألف شكر اليكم يامن اعتنوا وبصرتونا بالاسلام . وأخيرا انى من هواة المراسلة أرجو أن تنشروا عنوانى.

عزيزتى مجلة منبر الاسلام ..

من : عبد الرحمن محمد عثمان ـ دبلوم التجارة بالحسينية

سلام من عند الله عليكم وتحية منى اليكم ..

سلام من قلب مراسل عربى صديق من جمهورية مصر العربية ..

ان هذه مجلتكم التى تطلع فى مطلع كل شهر عربى .

انها هى المجلة الوحيدة التى نجحت فى جميع النواحى الدينية والسياسية والثقافية .

عزيزتى ..

هل تقبلينى صديقا لك من جمهورية مصر العربية ..

وهل تقبلينى لك من هواية مراسلتك العظيمة

عزيزتى ..

انى أريد الاشتراك بمجلتكم الكريمة .

فماذا رأيك ؟

عزيزتى ..

انى أرجو منك نشر اسمى وعنوانى وصورتى فى باب بريد التعارف .

المجلة تشكر لك ثناءك العظيم ، وترحب بك صديقا وفى انتظار صورتك لنشرها .. منبر الاسلام ..

***

رسالة كفر الشيخ الى الرئيس المؤمن محمد أنور السادات

عبده السيد المستكاوى أمام وخطيب بمركز قلين. محافظة كفر الشيخ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد

أتشرف بأن أقدم خالص شكرى وتقديرى لهؤلاء القائمين على نشر الاسلام داخل جمهوريتنا الحبيبة وخارجها المتمثلين فى مجلتكم الغراء ـ راجيا لكم دائما التوفيق ولرئيسنا المؤمن مزيدا من الانتصارات واهدى لرئيسنا الملهم بعضا مما يكنه له صدرى من حب وعرفان بالجميل ومنى له هذه الكلمات وأرجو أن تنشروها فى مجلتى الحبيبة مع رسائل القراء ..

ولبطل السلام هذه الكلمات :

عهد السادات من القلوب تحية
فى الحرب والسلم علت بسماتى

فالفجر لاح على يديه ونوره
فى العالمين يبدد الظلمات

والله بارك شعبه فى اسمه
فهو « محمد » جده السادات

بطل السلام دعا العدو بداره
حتى عجبنا لروعة الكلمات

والدنيا فى شرق البلاد وغربها
لمدينة لرئيسنا السادات

والمرأة الثكلى أراها تسارع
تدع الاله بأخلص الدعوات

فشهيدها جاء اليها مهرولا
فدماؤه لم تنسكب هدراتى

وأرى التفاؤل فى الوجوه تبسما
وأرى الطيور تردد النغمات

الحب فى الأرض جزء من رسالته
فلم القتال وتنسكب دمعاتى ؟

والحرب دوما لا تعود على الورى
الا بتمزيق القوى وشتات

والجرم فى قتل النفوس أساسه
جهل القيادة للزمان الآتى

يا مؤتمر بغداد أنظر جيدا
فالله دوما ناصر السادات

فلم التشنج والتمزق يا عرب ؟
و « الأقصى » مسلوب ويا حسراتى

كم من زعيم بينكم جمحت به
طيش الغرور وجيد الكلمات

ظنوا بأن الحرب فى مقدورهم
والبعض منهم فى عميق ثبات

مالى أراكم فى التمزق والغضب
تتسابقون فتكثر الكربات

هلا نسجتم منذ غابر عهدكم
مثل السادات لتأخذوا الدرجات

والله ادعو الله ملتمسا لكم
منه الهداية فى دجى الظلمات

ماذا استفدتم من حروب أربعة
الا الدمار ومقتل الفلزات ؟

وأنت يا رب جمعهم وقربهم
حتى تعود القدس يا هيهات

ويا رب وفق فى الشدائد شعبنا
وزين له الأخلاق والصلوات

رسائل وصلت قبل الطبع

من قاسم حسين عبد الحليم مطيره .. شكرا ونرجو ارسال الصورة .

— أحمد محمد أحمد عطا الله — روض الفرج
— مبروك مبروك عبد العزيز البقلى — الشهداء
— عبد العال عبدالفتاح أحمد عياد — شباس الملح
— دكتور صلاح مهدى محمد — مديرية الشئون الاجتماعية بأسيوط
— عطارد محمد عادل — جرجا
— ابراهيم حلمى عوف الكساء — المنصورة
— محفوظ أحمد ابراهيم عنوس — العاوين — المحلة
— أحمد عبد النبى ابراهيم — طنطا
— ربيع ابراهيم الدبيس — قليوبية
— طيفور أحمد محمد — المغرب — ابعث بصورتك
— حسن أحمد حسن ابراهيم شرارة — الشرقية (تعارف الشهر القادم)
— سمير إبراهيم محمد — الشرقية (تعارف الشهر القادم)
— عبد الرحمن أحمد عوض — القليوبية (تعارف الشهر القادم)
— امام محمد امام الطحلاوى — أشمون (تعارف الشهر القادم)
— شعبان محمد موسى — معهد أشمون الدينى (تعارف الشهر القادم)
— محمد حسين حسنين فراج طالب — روض الفرج (فتاوى الشهر القادم)
— الى المشترك رشاد محمد لاشين الحوالة وصلت وشكرا اليك لانها مرسلة باسم السيد رئيس التحرير والمفروض ان ترسل باسم المجلس الأعلى للشئون الاسلامية فضلا عن أن قيمة الاشتراك «١٦٠» وليس «١٤٠» قرشا .

وكذلك بالنسبة للمشترك بسيونى دسوقى خير الله ..

— حسنى جمعه عبد السلام — مدرسة سنورس الثانوية التجارية ترسل قيمة الاشتراك الموجود على الصفحة الاولى بالمجلة باسم « المجلس الأعلى للشئون الاسلامية »

تنبيه الى السادة القراء الذين يرغبون الاشتراك فى مجلة منبر الاسلام ان ترسل الحوالة بالقيمة والعنوان طبقا لما ورد بالصفحة الأولى بالمجلة على أن تكون الحوالات
باسم : المجلس الأعلى للشئون الاسلامية
وشكرا والى اللقاء ان شاء الله ...

فؤاد هيبه

بريد التعارف

الاسم : دكتور صلاح مهدى محمد
البلد : ج٠م٠ع
السن : ٢٦ سنة
المهنة : طبيب
الهواية : المراسلة وتبادل الصور وكتابة الشعر
العنوان : أسيوط ٠ مديرية الشئون الاجتماعية بأسيوط

الاسم : عبد العال عبد الفتاح أحمد عياد
البلد : ج٠م٠ع٠
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب
الهواية : كرة القدم والاطلاع وقراءة الكتب الدينية
العنوان : كفر الشيخ — دسوق — شباس الملح

الاسم : ايهاب عبد الرحمن رأفت
البلد : ج٠م٠ع٠
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب بكلية التجارة
الهواية : المراسلة والقراءات الدينية
العنوان : ٩ ش مصطفى صادق الرافعي
مصر الجديدة

الاسم : أحمد محمد أحمد عطا الله
البلد : ج٠م٠ع
السن : ٢٨ سنة
المهنة : فني كهربائى
الهواية : قراءة الكتب الدينية والاطلاع
العنوان : روض الفرج ٠ مصر ٠ ش وابور الطحين — حارة عبد الفضيل عبد الله رقم ١٩

الاسم : ربيع ابراهيم الدبيس
البلد : ج٠م٠ع
السن : ٢٠ سنة
المهنة : مدرس
الهواية : القراءات والمراسلات
العنوان : منية شبين القناطر — قليوبية

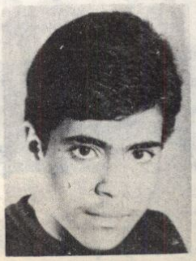

الاسم : طيفور أحمد محمد
البلد : المغرب
السن : ١٦ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة وقراءة الكتب الدينية
العنوان : ٢٠ وذقة المهدى بن تومرت تالبرجت — أكادير — المغرب

الاسم : ابراهيم حلمى عوف الكسار
البلد : ج٠م٠ع
السن : ١٦ سنة
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : الاطلاع وقراءة الكتب الدينية
العنوان : محلة دمنة / مركز المنصورة — دقهلية

الاسم : محفوظ أحمد ابراهيم عنوس
البلد : ج٠م٠ع
السن : ١٨ سنة
الهواية : قراءة الكتب والمجلات الدينية
المهنة : طالب ثانوى
العنوان : العامرية / مركز المحلة الكبرى — غربية

عوض محمود صالح
خليفة الطريقة البرهامية لحى السيدة زينب .
العنوان : ١٣ درب القمح بالسيدة زينب .
السن : ٤٨ سنة .
الهواية : الاطلاع الدينى وقراءة الأبحاث الدينية وتبادل المراسلات التى تهم الشئون الاسلامية .

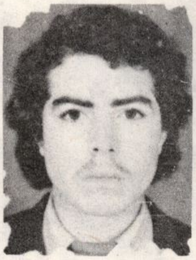

الاسم : رضا اللقب قماطى
البلد : تونس
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب
الهواية : تبادل الآراء الاسلامية
العنوان : ص ب (٨٥) القصرين — تونس

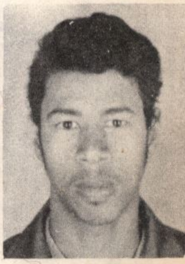

الاسم : قاسم حسين عبد الحليم
البلد : ج٠م٠ع
السن : ١٩ سنة
المهنة : خطاط ورسام
الهواية : المراسلة والاطلاع وكتابة الخطوط ورسم المناظر
العنوان : قنا . قفط . العليقات . نجع غلاب

الاسم : عماد حامد حسن الزهار
البلد : ج٠م٠ع
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب ثانوى أزهرى
الهواية : حفظ القرآن . وكرة القدم
العنوان : محلة سبك / أشمون / منوفية

الاسم : عبد الرحمن عثمان محمد عثمان
البلد : ج٠م٠ع
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب بدبلوم التجارة
الهواية : المراسلة وقراءة الكتب الدينية
العنوان : ازويلين — مركز الحسينيه — شرقية

الاسم : عطارد محمد عادل
البلد : ج٠م٠ع
المهنة : طالب جامعى
السن : ١٩ سنة
الهواية : المراسلة وقراءة الكتب الدينية
العنوان : جرجا — ش غرب البندر

في هذا العدد

صفحة

كلمة التحرير ١

لقاء الشهر

كلمة الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف في اجتماعه برجال الدعوة الاسلامية بمحافظة كفر الشيخ ٧٩/٥/٣ . . ٢

الازهر يعلن الحكم الشرعي في المعاهدة المصرية الاسرائيلية ٨

● نظرات ودراسات

● مع القرآن الكريم

تفسير سورة النساء الآيات من ٥٤ الى ٥٩

الأستاذ أحمد حسين ١٢

القراءات القرآنية ، وصلتها باللهجات العربية

الدكتور عبد الغفار حامد هلال . . . ١٨

المثل في القرآن الكريم

الدكتور أحمد غلوش ٢٣

من اعجاز القرآن الكريم حسن الترتيب والتنسيق

الدكتور محمد أحمد يوسف القاسم . . ٢٦

● في ظلال التشريع

حول تطبيق الشريعة الاسلامية

الدكتور عبد الفتاح أحمد الفاوى . . ٣٢

● مقام ومقال

حاجتنا الى الصدق مع النفس وأدب الحوار : الدكتور عبد المعطى بيومى . ٣٦

● من وحى السيرة

المضمون الاجتماعي للاسراء والمعراج

الدكتور عبد الرحمن النجار ٤٠

رحلة لابد منها

فضيلة الشيخ محمود حسنين العيسوى ٤٣

● حضارة الاسلام

جهاد السلام في الاسلام

الدكتور محمد كمال جعفر ٤٨

من أخلاق العلماء صداقة الفضلاء

الدكتور محمد رجب البيومى . . . ٥٢

ألف مليون مسلم على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى

الأستاذ أنور الجندى ٥٥

● التصوف والفلسفة الاسلامية

صدقتك على نفسك

الأستاذ حسن كامل الملطاوى . . . ٥٨

الدين في تصور مذهب المنفعة وموقف الاسلام منه

الدكتور حسن محرم الحوينى . . . ٦٣

صفحة

- **الدعوة والشباب**
  الدين والسياسة . . . . التحرير ٧٠
- **كتاب الشهر**

  قراءة فى كتاب القـرآن العظيم هدايتـه واعجازه فى أقوال المفسرين
  للشيخ محمد الصادق عرجون تقديم محمد ابراهيم الخطيب ٧٤

- **أخبار ، أحاديث ، تحقيقات**

  نص الحديث الذى أدلى به فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف للسيد مدير اذاعة الشعب ٧٨
- **أخبار العالم الاسلامى**
  من اعداد محمد حسن ابو حطب . . . ٨١

  نظرة موضوعية الى التعليم الدينى قررنا ازدواج المناهج .. فاين الحوافز ؟
  الأستاذ محمد نعيم ٨٣
- **من اقوال الصحف**

  اعداد : احمد عبد الرحيم السايح . . ٨٥
- **اخلاق ومواقف**
  اعداد : حامـد المرسى تقى الدين . . ٨٨
- **شخصيات اسلامية**
  بشر الحافى
  فضيلة الشيخ محمد على الطعمى . . . ٩٠
- **الشعر الاسلامى**
  يا أرض سيناء اتاك السلام
  الأستاذ عبد المنعم عبد الله حسن . . ٩٦
  من وحى نتائج الامتحانات
  الأستاذ محمد عبد السلام عطا . . . ٩٧
- **نادى القصة والمسرحية**

  يوسف الصديق ـ تمثيلية فى حلقـات ـ

  الحلقة الثانية
  الأستاذ بهاء الدين القبانى ١٠٠
  العودة ـ قصة قصيرة
  الأستاذ رستم كيلانى ١١١
- **الأسرة المسلمة**
  خديجة بنت خويلد رضى الله عنها
  الدكتورة نعمات محمد على . . . ١١٤

- **الافتـاء**
  انت تسال والمفتى يجيب

  فضيلة الشيخ محمد خاطر [مفتى جمهورية مصر العربية السابق] ١١٧
- **مع القــراء**
  يحرره فؤاد هيبه ١٢١
- **بريد التعارف** ١٢٤

مواقيت الصلاة

اليوم	رجب ١٣٩٩	مايو ١٩٧٩	الفجر		الظهر		العصر		المغرب		العشاء	
			ق	ت	د	ت	د	ت	د	ت	د	ت
الأحد	١	٢٧	١٤	٣	٥٢	١١	٢٨	٣	٤٩	٦	٢٠	٨
الإثنين	٢	٢٨	١٤		٥٢		٢٩		٤٩		٢٠	
الثلاثاء	٣	٢٩	١٣		٥٢		٢٩		٥٠		٢١	
الأربعاء	٤	٣٠	١٢		٥٢		٢٩		٥٠		٢٢	
الخميس	٥	٣١	١٢		٥٢		٢٩		١		٢٣	
الجمعة	٦	أول يونيه	١١		٥٢		٢٩		١		٢٣	
السبت	٧	٢	١١		٥٣		٢٩		١		٢٣	
الأحد	٨	٣	١٠		٥٣		٢٩		٢		٢٤	
الإثنين	٩	٤	٩		٥٣		٢٩		٣		٢٥	
الثلاثاء	١٠	٥	٩		٥٣		٢٩		٤		٢٦	
الأربعاء	١١	٦	٩		٥٣		٣٠		٤		٢٧	
الخميس	١٢	٧	٩		٥٤		٣٠		٤		٢٧	
الجمعة	١٣	٨	٨		٥٤		٣٠		٥		٢٨	
السبت	١٤	٩	٨		٥٤		٣٠		٥		٢٨	
الأحد	١٥	١٠	٨		٥٤		٣٠		٦		٢٩	
الإثنين	١٦	١١	٧		٥٤		٣٠		٦		٢٩	
الثلاثاء	١٧	١٢	٧		٥٥		٣٠		٦		٢٩	
الأربعاء	١٨	١٣	٧		٥٥		٣٠		٧		٣٠	
الخميس	١٩	١٤	٧		٥٥		٣٠		٧		٣٠	
الجمعة	٢٠	١٥	٧		٥٥		٣١		٧		٣٠	
السبت	٢١	١٦	٧		٥٥		٣١		٨		٣١	
الأحد	٢٢	١٧	٧		٥٥		٣١		٨		٣٢	
الإثنين	٢٣	١٨	٧		٥٦		٣١		٨		٣٢	
الثلاثاء	٢٤	١٩	٧		٥٦		٣١		٩		٣٣	
الأربعاء	٢٥	٢٠	٧		٥٦		٣١		٩		٣٣	
الخميس	٢٦	٢١	٨		٥٧		٣٢		٩		٣٣	
الجمعة	٢٧	٢٢	٨		٥٧		٣٢		٩		٣٣	
السبت	٢٨	٢٣	٨		٥٧		٣٢		٠	٧	٣٣	
الأحد	٢٩	٢٤	٩		٥٧		٣٢		٠	٧	٣٣	
الإثنين	٣٠	٢٥	١٠		٥٨		٣٣		٠	٧	٣٣	
السد												

أحل الله البيع وحرم الربا — فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله

الشركة الإسلامية للاستثمار الخليجي

الشارقة
دولة الإمارات العربية المتحدة

ت: ٣٥٣٠٧٥/٦
ص.ب: ٦١٢٩
تلكس: ٨٥٩٠/٦

تطرح

صكوك المضاربة الإسلامية لحامله

بشرائك للصك

تصبح شريكا بمالك فى شركة المضاربة الإسلامية

مع

الشركة الإسلامية للاستثمار (المضارب)

والتى

تستثمر لصالحك هذا المال بأكفأ الأساليب الاستثمارية

تحت رقابة

- هيئة الرقابة الشرعية برئاسة فضيلة الشيخ محمد خاطر مفتى مصر السابق
- مراقب الاستثمار د. عبد العزيز حجازى

ويضمن المضارب (الشركة الإسلامية للاستثمار) رأس مال المضارب حصيلة **الصكوك** وهذا مقرر شرعًا.

إذا ثبت أن المضارب قد أخل بشروط المضاربة أو قصر فى حفظ المال وما يرزق الله به من الربح يكون بين حامل الصك و الشركة الإسلامية للاستثمار بنسبة **تسعة أعشار** لحامل الصك والعشر للشركة الإسلامية للاستثمار (المضارب) نظير قيامه على إدارة المال واستثماره.

مطابع الأهرام التجارية

اتحاد
الاذاعة
والتليفزيون

صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات

تقدم

فى ذكرى الإسراء والمعراج

المصحف المجود
والمصحف المرتل

الشيخ محمود خليل الحصرى

الشيخ عبد الباسط عبد الصمد

الشيخ محمود على البنا

الشيخ مصطفى اسماعيل

تسجيلات للشيخ محمد رفعت

الشيخ ابو العينين شعيشع   الشيخ محمد محمود الطبلاوى

ابتهالات وتواشيح دينية للشيخ محمد الفيومى
الشيخ طه الفشنى   الشيخ سيد النقشبندى .
شرائط كاسيت

آخر ما نقدم